



مجلة فصلية تصدر عن اتعاد الكتاب العرب _ دمشق

العدد: 79 - محرم - 1421هـــ - نيسان - ابريـــل-2000 الســنة العشـــرون

في هذا العدد

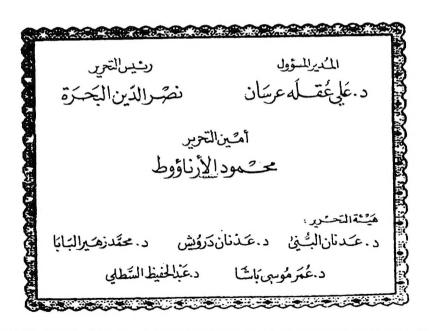
- الأضداد في اللغة العربية
- ملزمة من كتاب قديم وقصتما
- ابن الأثير الجزري وكتابه المثل السائر
 - من تاريخ الطب عند العرب
 - تحقة الملك العزيز بمملكة باريز
 - ابن كثير وكتابه التفسير

ط-ع

التراث العربثي

مجلسة فصليسة تصدر عن اتحساد الكتّساب العسرب – دمشسق

العــدد: 79 - محــرتم - 1421هـــ- نيســان- ابريــــل-2000- الســـنة العشـــرون



🗀 ترسل المواه والراسالات إلى المعنوان التالي :

المدين المستول المعاد الكتاب المرب ، محلة التراث الدربي ، دمصيق .. ص.ب : ٢٢٣٠ مانيد ١١١٧٢٥٥ ــ عاكس: ١١١٧٢٥٥ مانيد: ١١١٧٢٥٥ مانيد:



www.awu-dam.com



الخادالكتاب المرب ARAB WRITERS UNION DAMASCUS دمشق



[-أن تكون البحوث تراثية، أو تصب في باب التراث.

2-أن تكون جديدة، ولم نتشر من قبل.

3-النقيد بمنهج علمي دقيق، والتزام الموضوعية، والثوثيق والتخريج، وتحقق السلامة اللغوية.

4-لن تكتب بخط والمنسح، ويفضل أن تكون مطبوعة بوعلى وجه واحد من الورقة.

5-ألا تزيد عن ثلاثين صفحة.

6-أن تراعي علامات الترقيم.

7-توضع الحواشي في أسفل الصفحة، ويلتزم فيها المنهج العربي، أي يكتب اسم الكتاب، فالمولف، فالمحقق، فالجزء والصفحة.

8-يثبت في آخر البحث فهرس المصادر والمراجع وفق ترتيب حروف الهجاء الأسماء الكتب، مثال: (طبقات فحول الشعراء: ابن سلام- تع.محمود شاكر - القاهرة- مط. المدنى- ط3، 1974م).

9-يقدم للبحث بملخص عنه في بضعة أسطر، ويرفق لمحة عن سيرة المؤلف وعنواته.

10-يمكن أن تتشر المجلة نصوصاً نرائية محققة، لذا استوفى النص شروط التحقيق.

11-تخضع الأبحاث المرسلة للتحكيم العلمي.

12-لا تعاد الأبحاث إلى أصحابها، ويبلغون بقبول نشرها، أو الاعتذار لهم.

13-الأبحاث والمقالات التي تتشر تعبّر عن أراء كُتّابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة أو الاتحاد.

14-ترتيب البحوث داخل العند يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

الاشمستراك السمنوي

داخل القطر للأفراد :١٥٠ ل.س

الدوائر الرسمة داخل القطر : ٣٠٠ ل.س.

الدوائر الرسمية حارج الوطن العربي : ١٥٠١ ل.س أو (٤٠٠) دولار المستسير كي.

أعضاء اتحاد الكتاب : ٧٥ ل.س .

■ الاشتراك يرسل حوالة بريدية أو شبكاً بدفع نقداً إنى (محاسب بحلة التراث العربي)

المدقق اللغوي : ممدوح فاخوري

ص	🗖 الأضداد في اللغة العربية
نصر الدين البحرة 7	
	🗖 التعدين أساس علم الكيمياء
أ.د.محمد زهير البابا 23	□.ملزمة من كتاب قديم، وقصتها
د. عبد السلام العجيلي 50	ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
	🛘 مع الدكتور شوقي ضيف في مقدمة الرد على النحاة
د.جمیل علوش 63	🗖 ابن الأثير الجزري وكتابه المثل السائر
د.سمر روحي الفيصل 70	ـــ بن د پر دبرري و ـــ به علی مساور
	🗖 التشبيه الدائري في الشعر الأموي
د.اسماعيل أحمد العالم 77	🗅 تحليل نص من رسالة التوابع والزوابع
نادر حقاني 95	ے دیں میں سے دروی سائند
	🗖 من تاريخ الطب عند العرب
د.شاکر مطلق 111	🗖 تحفة اللك العزيز بمملكة باريز
د.مصطفى محمد العبدا لله 119	
	◘ رأي في المسألة التراثية
د.محمد أحمد النابلسي 123	🗅 الحفاية بتوضيح الكفاية للبيتوشى
د.محسن اسماعيل محمدو	ــ برحي حــي مبيرسي
طه صالح أمين آغا 132	
محمود الأرناؤوط 150	🗖 ابن كثير وكتابه التفسير
	0



الأضداد.. هي اللغة العربية

نصر الدين البحرة

رأينا أن وضع كتب الأخداد، يدخل في مجال التأليف المعجمي، فإنـه اقترن تاريخياً بولادة هذا النوع من الكتابة. وقد "ولدت معجماتنا اللغوية صغيرة متفرقة غير منظمة، ثم نمت شيئاً فشيئاً، وتوسعت وتكاملت جيلاً بعد جيل"(1)

وعلى الرغم من أن الصينيين واليونان قد سبقوا العرب في وضع المعاجم ببضع منات السنين، إلا أن العرب سبقوا أوروبا في هذا المضمار بأكثر من تسعة قرون ذاك أن تأليف أول معجم عربي يعود إلى القرن الثامن الميلادي، في حين يرجع تأليف أول معجم أوروبي إلى القرن السابع عشر، وهو معجم انكليزي(2).

ولقد جمعت ألفاظ اللغة العربية ودونت ورتبت خلال ثلاث مراحل تاريخية، بدأت الأولى منها أواخر القرن الثاني بلهجرة. وفي هذه أواخر القرن الثاني بلهجرة. وفي هذه المرحلة جمعت الأحاديث للشريفة والقصائد الشعرية وبعض الأعمال النثرية. "وكان علماء اللغة يأخذون الألفاظ العربية من أفواه عرب الصحراء، أو الوافدين على الأمصار، ممن لم تتأثر ألسنتهم بمخالطة الأعاجم."(3)

في المرحلة الأولى جمعت المفردات والألفاظ كيفيا دون ترتيب أو تنظيم "لأن الغاية كانت تتجه أولاً إلى الجمع والتدوين دون غيره، خوفاً على العربية من الغريب الدخيل (4) وعرفت المرحلة الثانية قدراً أكبر من التنظيم، كجمع الألفاظ التي تشترك في حرف واحد أو التي ترتبط برابطة الأضداد. وفي المرحلة الثالثة وضعت المعجمات الشاملة المنظمة، واعتمد مؤلفوها على ما كتب في المرحلتين السابقتين، فجمعوا وأضافوا ورتبوا ونسقوا.

وفي هذه الأثناء ظهرت كتب الأضداد وهي "التي جمعت ألفاظاً تـاُخذ معنيين متضادين، بحيث يمكن استخدام كل لفظة منها لمعنيين متنافرين، إذ أن كل لفظة تعني الشيء وضدّه"(5)

وبين الذين وضعوا معجمات الأضداد: الأصمعي، والسجستاني، وابن السكّيت وقطرب، وأبو الطيب اللغوي، وابن الدهان، والصغاني، وابن الأنباري. وقد قام المستشرق أوغست هفنر بتحقيق كتب الأضداد التالية:

- الأضداد تأليف الأصمعي. "ت- 215هـ"
- الأضداد -تأليف ابن السكيت ت- 244هـ"
- الأضداد- تأليف السجستاني ت- 255هـ"

ونشرتها معاً في بيروت سنة 1913م دار الكتب العلمية. ونشر هفنر أيضاً كتــاب الصـغـانـي فـي الأضـداد فـى السنة ذاتها وجعله ذيلاً للكتب الثلاثة.

أما كتاب قطرب "الأضداد" فقد حققه المستشرق هانس كوفار ونشره عام 1931 في مجلة "ISLAMICA" المجلد الخامس.(6)

وحقق الدكتور عزة حسن كتاب أبي الطيب اللغوي: "الأضداد في كلام العرب" ونشره المجمع العلمي العربي بدمشق عام 1382هـ - 1963م.

وتولى تحقيق كتاب ابن الدهان "الأضداد في اللغة" محمد أل ياسيين ونشرته مكتبة النهضة في بغداد ط2 سنة 1382هـ- 1963م.

أما كتاب الأصداد لابن الأنباري(7) محمد بن القاسم، فقد صدر في طبعة حديثة أولى في القاهرة سنة 1325هـ اعتنى بضبطها بالشكل وتصحيحها حضرة - ملتزم طبعها الشيخ محمد عبد القادر سعيد الرافعي، صاحب المكتبة الأزهرية مع العلامة اللغوي الشيخ أحمد الشنقيطي بعد مقابلتها على نسخة قديمة من خط المؤلف - يعني: ابن الأنباري"(8).

وصدر هذا الكتاب أيضاً في الكويت، من تحقيق "أبو الفضـل ابراهيـم" –الـتراث العربـي عـام 1960. وفي هذه الدراسة سنعتمد الكتاب الأول الذي حققه العلامة الشنقيطي.

وجهة نظر في تفسير "الأضداد"

يقول د. مراد كامل في تقديمه كتاب "الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية" لمجرجي زيــدان فـي طبعــة جديدة:(9)

في أوائل القرن العشرين استطاع "موريس جرامون" و "أنطون مييه" و "جوزيف فندريس" أن يثبتوا أن التغيرات الصوتية وغيرها من التغيرات اللغوية، لا يمكن القول إنها مماثلة للتغيرات التي تحدث في العالم الطبيعي، كما ذهب علماء اللغة خلال القرن التاسع عشر، ولكنها تدل على تفاعل بين الدوافع النفسية الفيزيولوجية، وبين نظام اللغة الذي تطرأ عليه التغيرات. والتغيرات تحدث في الأفراد في اللاشعور أو على هامش الشعور" (10).

يدخل التضاد في صميم هذه التغيرات التي تحدث في الأفراد على صعيد اللاشعور.فإن رؤية الشيء أو إلى الشيء أو الشيء أو المدينة الأفكار، فقد جعل الذلك قانوناً بثلاثة بنود:

🏶 🎞 الترادِّ عَدْمُ ع

- التداعي بالاقتران "اقتران شيء بشيء".
 - التداعي بالتشابه "فلان يشبه فلاله".
 - التداعي بالتضاد 'أبيض أسود'.

ولكن التصاد الهام جداً في اللغة العربية هو ذاك الذي يجعل المعنيين المختلفين وأحياناً: عدة معان الحامنين في قلب الكلمة الواحدة "فالجون" تعني الأبيض والأسود. و "القنيص" للصائد والمصيد. و "الكري" للمستأجر والمستأجر. و"الطرب" للفرح والحزن. وهذا ما يؤكد أن العقل العربي هو في طبيعته غير سكوني. بل هو جدلي Dialectical.

إن الدكتور عبد الكريم اليافي [11] في دراسة فريدة له عن أبي تمام يستخرج من بعض شعره من الأضداد ما يحمله على القول إن التضاد هو أساس التفكير عنده.

ويرى أيضاً أن أبا تمام "يرى من خلال التضاد أن الحركة هي الأصل في حُسن الطبيعة وجمال الأرض وهو يذهب أبعد من ذلك فيقول:

" حين نطالع شعر أبي تمام نجد أنه قد سـبق هيغـل وأمثالـه مـن الفلاسـفة بعصــور طويلـة فشـق طريق الديالكتيك المستند إلى صـراع الأضـداد، فهو في الحقيقة أبو الجدل الحديث".

ومن الأمثلة الموفقة التي يقدمها الدكتور اليافي في هذا المجال قول أبي تمام:

فصواب مسن مقلتس أن تصوبسا

من سجايا الطلول ألا تجييا

. تجــد الدمــع ســائلا ومجبيــــا

فاسألنها واجعل بكاك جوابا

وإذا كانت "الأضداد" توضح حركة الذهن العربي وجدليته، من خــــلال المفردات التـي هـي مــادة التفكير، فإنها تؤكد من جانب أخر، في الوقت نفسه، مرونة هذا الذهن وقابليتــه للنقــاش وســعة الرؤيــة اللغوية.

من أساليب التضاد

هنالك أكثر من أسلوب للنفي حسب حركة الذهن، فيمكن أن نقول مثلاً:

"طويل- وغير طويل أو- لا طويل" كذلك القول "قصير - غير قصير أو- لا قصير".

ومثل ذلك قولنا: "أسود- لا أسود أو- غير أسود" كذلك القول: "أبيض- غير أبيض أو- لا أبيض".

ولكن الطبيعي أن نقول "طويل وقصير" و "أسود وأبيض" مثلما نقــول "حركــة وسـكون" و "ظــلام وضياء" وهناك معجمات كثيرة اهتمت بهذه الأضداد في بعض فصـولها، هــي معجمـات المعــانـي مثــل "فقه اللغة" للثعالبــي و "تهذيب الألفــاظ" لابـن السـكيت و "الألفـاظ الكتابيـة"(12) للهمذانــي. وفيــه فصـــل

عنوانه باب الأضداد منه الفرح والغم. اليسار والفقر. المدح والثلب. الدنو والبعد. الإظهار والكتمان.. إلغ .

.. إلا أن ما يعنينا هنا هو اجتماع المعنيين أو أكثر في لفظ واحد، وهذا ما اهتمت به معجمات الأضداد، وبينها كتاب ابن الأنباري الذي نحن في صدد الحديث عنه.

في تعريف الأضداد

ورد في لسان العرب أن الضد هو كل شيء ضادٌ شيئاً ليغلبه. وورد التعريف نفسه في "تاج العروس" للزبيدي(13) وأضاف: "السواد ضد البياض، والموت ضد الحياة: قال الليث. ويقال: لقي القوم أضدادهم وأندادهم أي: أقرانهم. وقال الأخفش: الند هو الضد والشبه. وقال ابـن السكيت: حكى لنا أبو عمرو: الضد مثل الشيء. والضد: خلافه.

وجاء في "المصباح المنير" (14): الضد هو النظير والكفء. والجمع أضداد. والضد خلافه. و (ضادَه) (مضادة) إذا باينه مخالفة و (المتضادان) اللذان لا يجتمعان كالليل والنهار.

وأشار الشرتوني في "أقرب الموارد" (15) إلى ما دعاه "لغات الأضداد": اللغات الدالّـة على معنيين متضادين كالضد للمثل والمخالف.

كتاب ابن الأنباري

هناك إجماع بين الباحثين على أن كتاب "الأضداد" في اللغة لابن الأنباري هو واحد من أهم كتب الأضداد المطبوعة في اللغة العربية، وقد جمع فيه منتين وثلاثاً وتسعين لفظاً من ألفاظ الأضداد. وهناك من يقول إنها ثلاثمنة (16).

وهو يستهل كتابه بنبيان الغرض من تأليفه قائلاً: "وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف -يعني: الكلمات- المتضادة. صنفوا في احصائها كتباً نظرت فيها فوجدت كل واحد منهم أتى من الحروف - الكلمات- بجزء، وأسقط منها جزءاً. وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لها، فرأيت أن أجمعها في كتابنا هذا، على حسب معرفتي ومبلغ عملي، ليستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة في مثل معناه" (17).

وكان قبل ذلك، قد عرض وجهة النظر التي تعارض فكرة الأضداد أي أن يكون الحرف - الكلمة - مؤدياً عن معنبين مختلفين. ويظن أهل البدّع والزيغ والإتراء بالعرب أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم عند اتصال مخاطباتهم، فيسألون عن ذلك ويحتجون بأن الاسم منبئ عن المعنى الذي تحته، ودال عليه، وموضح تأويله.

فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان، لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطِب، وبطل بذلك تعليق الاسم على المسمى(18)".

ويردَ ابن الأنباري على هذا الاعتراض الذي تضمن وجهة نظره في قائله، وهو لا بد أن يكون من الشعوبيين(19) "أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب" فيقول:

تفأجيبوا عن هذا الذي ظنوه وسألوا عنه، بضروب من الأجوبة، أحدهن أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفانه واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد فمن ذلك قول الشاعر:

والفتى يسعى، ويلهيه الأمل

كل شيء ما خيلا الموت جلل

فدل ما تقدم قبل "جلل" وتأخر بعده على أن معناه: "كل شيء ما خلا الموت يسير" ولا يتوهـم ذو عقل وتمييز أن الجلل هنا معناه عظيم. ويقدم ابن الأنباري مثالاً آخر:

ولئسن سسطوت لأوهينسن عظمسى

فلئسن عفوت لأغفسون جلسذ

فاذا رمیت، یصبینی سیهمی.

قومس همعُ قتلسوا أميسم أخسى

ثم يتابع شارحاً: فدل الكلام على أنه أراد "فلنن عفوت لأعفون عفواً عظيماً، لأن الإنسان لا يفخر بصفحه عن ذنب يسير" فلما كان اللبس في هذين زائلاً عن جميع السامعين، لم يُنكر وُقوع الكلمة على معنيين مختلفين في كلامين مختلفي اللفظ"(20).

خطة ابن الأنباري في "الأضداد"

ا- لم يرتب كتابه حين وضعه ترتيبا أبجدياً، كما جرت العادة في وضع المعجمات. ولذلك فإنه بدأه بحرف هو السابع عشر في الأبجدية العربية هو "الظاء" في كلمة "الظن" التي استغرق شرحها زهاء خمس صفحات. في حين نجد حرفي "الألف" و "الجيم" في الصفحات الأخيرة من الكتاب، ورقمهما هو "308" و "309". وعدد صفحات الكتاب "المطبوع" هو ثلاثمئة وخمس وسبعون ورقة.

2- لم يميز ابن الأنباري في عرض مفرداته وشرحها بين فعل وبين اسم وبين حرف. كان يقدمها ويتحدث عنها كيفياً على هواه، منتقلاً من الحروف إلى الأسماء فالأفعال دون حرج. ففي صفحتين متتاليتين في الكتاب تحدث عن هذه الكلمات:

- "مُشبّ" -اسم: للمسنّ وللشاب.
- "أعبل" -فعل: إذا سقط ورقه. وإذا أخرج ثمرته.
- "طلعت" -فعل: على الرجل: أقبلت عليه. وأدبرت عنه(21).

3- يعتمد الإسهاب في الشرح، باستمرار، وربما لا تدعو الحاجة إلى ذلك. انظر إلى هذا

الإسهاب: في حديثه عن "أشد" يقول: "بلغ فلان أشده إذا بلغ ثماني عشرة سنة. وبلغ أشده إذا بلغ أربعون أربعون سنة. قال الله تعالى: "حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعون سنة". قال الفراء: ويقال الأشد أربعون سنة. قال وحكى لي بعض المشيخة بإسناد ذكره أن الأشد ثلاث وثلاثون سنة، والاستواء أربعون سنة (22).. إلخ..

4- يميل إلى الاستطراد كلما سنحت أمامه فرصة لذلك، ولا غرابة ما دام قد ولد بعد وفاة سيد الاستطراد وظريفه الجاحظ بعشرين سنة تقريباً: "الجاحظ: 163- 255هـ. ابن الأنباري: 271-328هـ" فلا بد أنه قرأه جيداً، وتأثر بأسلوبه في الكتابة. فلننظر ماذا فعل وهو في صدد كلمة "وثب". "يقال: وثب الرجل إذا نهض وطفر من موضع إلى موضع، وجمير تقول: وثب الرجل إذا قعد، وقال الاصمعي وغيره: دخل رجل على ملك من ملوك حمير، وكان الملك جالساً في موضع مشرف، فارتقى إليه، فقال الملك: ثب إيريد: اجلس فطفر فسقط فاندقت عنقه. فقال الملك: من دخل "ظفار" حمير أي: تكلم بلسان حمير، وقال بعضهم: معنى "حمير" تزيا بزيهم، ولبس الحمير من الثياب. و "ظفار" اسم مدينة باليمن، ينسب إليها الجزع الظفاري، و "ظفار" كسرت لأنها أجريت مجرى ما سمي بالأمر كقولك: قطام وحذام لأنهما على مثال: قوال ونظار ومن ذلك: حلاق من أسماء المنية، وطمار اسم جبل (23).

5- يقدم الحكاية مع الشاهد، بين وقت وبين آخر، خلال شرحه مفرداته في الأضداد. مثال ذلك ما كان وهو يتحدث عن لفظة الحن " فبعد أن بين أنها تقال للخطأ وللصواب، وبين وجوها وشواهد في ذلك، قال، موردا حكاية:

خَبْرِنا الأصمعي عن عيسى بن عمر قال، قال معاوية للناس: كيف ابن زياد فيكم. قالوا: ظريف على أنه يَلْحن، قال: فذاك أظرف له. ذهب معاوية إلى أن معنى يلحن: يقطن ويصيب (24).

وثمة حكاية مثلها –والحكايات كثيرة– رواها بعد العنعنة. قال: كتب معاوية إلى زياد كتاباً، وقال للرسول: إنك سترى إلى جانبه رجلاً، فقل له: إن أمير المؤمنين يقول لك قد شككت في قولك:

فان يك حبَهم رُشداً أصبه فان غيا

طوال الدهر ما تنسى عليًّا أحب النَّاس كلُّهم اليُّا وليس بمخطئ إن كان غيًّا والرجل المقصود هو: أبو الأسود، القائل:

يقسول الأردلسون بنسو قُشَسنير

بنسو عسم النبسى وأقربسوهُ

فسإن يك حبهم رشداً أصنية

فقال (الرسول) لأبي الأسود ما قال معاوية. فقال: قل له لا علم لك بالعربية، قال الله عز وجل: وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين أفترى ربّنا شك. فسكت معاوية لما بلغه احتجاج أبي

الأسود (25).

وكان ابن الأنباري يتحدث عن 'جَبْر'، فهي: للملك والعبد، مستشهداً بقول ابن الأحمر: فاسلم بعراووق حُبيت بسه

فإذا هو يستطرد إلى حديث أخر. قال:

أراد أيها الملك. وقولهم: جبرئيل. معناه: عبد الله. فالجبر العبد، و "الإيل" و "الإل" الربوبية. وكان ابن يعمر يقرأ "جبر إلى" بتشديد اللام. وقال بعض المفسرين "الإلى" هو الله جبل اسمه، واحتج بقول الله جل وعز "لا يرقبون في مؤمن إلا ولائمة قال: معناه لا يرقبون الله ولائمته. ويحكى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن المسلمين لما قدموا عليه، من قتال مسيلمة استقرأهم بعض قرآنه فلما قرئ عليه عجب وقال: إن هذا الكلام لم يخرج من إلى أي: من ربوبية. ويقال: الإلى القرابة والعهد (26)... إلخ

ثم لا ينتهي هذا الاستطراد، ذلك أننا نقرأ بعد قليل: "وقال بعض المفسرين: جبرئيل معناه: عبد الله. وميكانيل معناه: عبد الله. ومبدّد لله عز وجل(27)".

6- كان يلجأ إلى تأويل معاني الأضداد في ضوء الآيات القرآنية والحديث الشريف، من ذلك كلمة: "الأُمّة فنقال للواحد الصالح الذي يوتم به ويكون علما في الخير، كقوله عز وجل: "إن ابر اهيم كان أمة قانتا لله حنيفا" ويقال: الأمة للجماعة، كقوله عز وجل "وجد عليه أمة من الناس يسعقون" ويقال: الأمّة أيضا للواحد المنفرد بالدين. قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل، قلت: يا رسول الله، ان أبي قد كان على ما رأيت وبلغك، أفلا أستغفر له. قال: بلى، يُبغث يوم القيامة أمة وحده. ويفسر هذا الحرف -الكلمة من كتاب الله تعالى تفسيرين متضادين، وهو قوله جل وعز: كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين" فيقول بعض المفسرين: معناه كان الناس مؤمنين كلّهم. ويقول غيره معناه: كان الناس كلم في ذلك وجل، لما غرق الكافرين من قوم نوح بالطوفان، ونجّى نوحاً والمؤمنين، كان الناس كلهم في ذلك وجل، لما غرق الكافرين من قوم نوح بالطوفان، ونجّى نوحاً والمؤمنين، كان الناس كلهم في ذلك الوقت مؤمنين، ثم كفر بعضهم بعد الوقت، فأرسل الله اليهم أنبياء يبشرون وينذرون ويدلونهم على ما يسعدون به ويتوفر منه حظهم. ومن قال: الأمة في الآية معناها الكافرون، قال: تأويل الآية: كان الناس قبل إرسال الله نوحاً وغيره من النبيين والمبعوثين بعده يبشرون وينذرون، ويذلون الناس على ما يتدينون به، مما لا يقبل الله تعالى يقوم القيامة غيره. والله أعلم بحقيقة القولين وأحكم. (28)"

وفي مثل هذا يقدم تفسيرين متضادين لقول تعالى "والعاديات ضبحا" يقول بعضهم: العاديات الخيل. والضبّع صوت أنفاس الخيل إذا عدون. يقال: قد ضبح الفرس وقد ضبح الثعلب، وكذلك ما أشبههما. ويقال: العاديات الإبل. وضبحاً معناه ضبعا، فأبدلت الحاء من العين. كما تقول العرب: بعشر

ما في القبور وبحتر ما في القبور، فمن قال: العاديات الخيل، قال: هي الموريات قدحاً، لأنها توري الناس بسنابكها إذا وقعت على الحجارة، وهي المغيرات صبحاً، ومن قال: العاديات الإبل، قال: العاديات الإبل، قال: الموريات قدحاً الرجال، يتبين من رأيهم ومكرهم ما يشبه النار التي تورى في القذح. والمغيرات صبحا: الإبل يذهب إلى أنها تعدو في بعض أوقات الحج. ثم يقدم ابن الأنباري خبراً عن مجادلة كانت بين ابن عباس (ر) والإمام علي كرم الله وجهه، حول هذين التفسيرين. وقد قال الإمام على: ابن كانت أول غزوة في الإسلام لبدر، وما كان معنا إلا فرسان، فرس للزبير، وفرس للمقداد، فكيف تكون العاديات الخيل؟!. إنما العاديات ضبحاً من "عرفة" إلى "المزدلفة" ومن "المزدلفة" إلى "منى" فإذا كان الغد فالمغيرات صبحا إلى "منى" فذلك جمع. فأما قوله: فأثرن به نقعاً، فهو نقع الأرض حين تطوه بأخفافها. قال ابن عباس، فنزعت عن قولي ورجعت إلى قول عليًّ رضي "الله عنه (29)"

7- تبدو النزعة العربية واضحة لدى ابن الأنباري، بين موضع وبين آخر في الكتاب. فهو يمر بأسماء يعرفها كثيرون على أنها أعجمية، يرى وجها لعروبتها، لكنه يتحفظ قائلاً "لا قياس". من ذلك مثلاً اسم "يعقوب".

يقول ابن الأنباري: يكون عربياً لأن العرب تسمّي ذكر الحَجَل يعقوباً ويجمعونه: يعاقيب. قال سلامة بن جندل:

أودى الشعباب حميداً ذو التعاجيب

أودى وذلك شــأو غــير مطلــوب لو كــان يدركــه، رُكَـضَ اليعــاقيب

وكسى حثيثاً وهسذا الشسبب يطلبسه

وهناك اسم "اسحاق" وقوله فيه: يكون أعجمياً مجهول الاشتقاق، فيُمنَع الإجراء في باب المعرفة بتقل التعريف والعجمة. ويكون عربياً من أسحقه الله إسحاقاً أي أبعده إبعاداً، من ذلك قوله جل اسمه: "نسحقاً لأصحاب السعير" أي: بعداً لهم.

ومثل ذلك اسم 'أبوب' وفيه يقول ابن الأنباري: يكون أعجمياً مجهول الاشتقاق، ويكون عربياً مُجهول الاشتقاق، ويكون عربياً مُجْرَىٰ في حال التعريف والتنكير، لأنه يجري مجرى تخيّوم من: قام يقوم. ويكون فيعولاً من 'آب- يؤوب' إذا رجع.

قال عبيد بن الأبرص:

وكسل ذي غييسة يسؤوب

وغيانب المسوت لا يسؤوب

ويتمهل ليتحفظ مع أبي بكر الذي قال: ولا يقاس على هذه الأسماء الثلاثة، أعني: اسحاق ويعقوب وأيوب، غيرها من الأسماء الأعجمية مثل إدريس وغيره، لأنه لم يسمع من العرب إجراء سوى هؤلاء الثلاثة في باب المعرفة. و محال أن يعمل من هذا بالقياس ما تنكبه العرب ولا تعرفه(30).

الألفاظ والمعاني: النقائض والمترادفات

يتوقف ابن الأنباري منياً في مقدمة كتابه، أمام ما يمكن أن ندعوه: الأضداد أو النقائض، والمترادفات، فيقول إن أكثر كلام العرب يأتي على ضربين آخرين، أحدهما أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين المختلفان وقعد، وتكلم على المعنيين المختلفان كوقيلا: الرجل والمرأة، والجمل والناقة، واليوم والليلة، وقام وقعد، وتكلم وسكت. وهذا هو الكثير الذي لا يُحاط به. والضرب الآخر، أن يقع اللفظان المختلفان على المعنى الواحد، كقولك: البرر والحنطة. والعير والحمار، والذب والسئيد، وجلس وقعد، وذهب ومضى.

ويرفض ابن الأنباري أن يعد هذه الألفاظ مترادفات، كما درج بعضهم على ذلك. محتجاً برأي ابن الأعربي نقلا عما قاله أبو العباس: كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد، في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به. وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله.

ويؤكد ربط الأسماء بالمعاني في هذا الحديث، ناقلاً عن الرجل نفسه: الأسماء كلها لعلَّـة خصت العرب ما خصصت منها من العلل ما نعلمه منها وما نجهله.

ثم يتابع عن ابن الأعرابي، مسندا الكلام إلى أبي بكر، أن مكة سميت مكة لجذب الناس إليها. والبصرة سميت الكوفة لاردحام الناس بها والبصرة سميت الكوفة لاردحام الناس بها من قولهم: قد تكوف الرمل تكوفا إذا ركب بعضه بعضاً. والإنسان سمي إنساناً لنسيانه. والبهيمة سميت بهيمة لأنها أبهمت عن العقل والتمييز من قولهم: أمر مبهم، إذا كان لا يعرف بابه ويقال للشجاع: بنهمة لأن مقاتله لا يدري من أي وجه يوقع الحيلة عليه فإن قال لنا قائل: لأي علم سمي الرجل رجلاً، والمرأة امرأة، والموصل الموصل، ودعد دعداً. قلنا لعلل علمتها العرب وجهلناها أو بعضها (31).

الاتساع في الكلام

وفي معرض تأويله ارتباط الأسماء بالمعاني، يطرح فكرة أخرى لسنا ندري إلى أي درجة كانت جديدة في زمان ابن الأنباري هي "الاتساع في الكلام": وهنا ينقل عن قُطْرُب قوله: "إنما أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم في كلامهم، كما زاحفوا في أجزاء الشعر ليدلوا على أن الكلام واسع عندهم، وأن مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب. ثم ينوع ابن الأنباري على هذا اللحن، ناسبا الكلام إلى آخرين قالوا: إذا وقع الحرف الكلمة على معنيين متضادين، فالأصل لمعنى واحد، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع. فمن ذلك: الصريم. يقال لليل: صريم وللنهار صريم. لأن الليل ينصرم من النهار، والنهار ينصرم من الليل، فأصل المعنيين من باب واحد وهو القطع. وكذلك: الصارخ المغيين يصرخ بالإغاثة والمستغيث يصرخ بالاستغاثة، فأصلهما من باب واحد. وكذلك: السَّدَقة، الظلمة والسَّدُفة، الضوء. سميًا بذلك لأن أصل السدفة الستر، فكأن النهار إذا أقبل ستر ضوؤه ظلمة الليل،

@@@ التراث العرب في التعرب عنه التعرب عل

وكأن الليل إذا أقبل سترت ظلمته ضوء النهار (32).

المعانى بين أحياء العرب

وفي تقليبه الرأي حول المعنيين المتضادين لكلمة واحدة ينتهي ابن الأنباري إلى القول: إذا وقع الحرف -الكلمة- على معنيين متضادين، فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما، ولكن أحد المعنيين لحيّ من العرب، والآخر لحي غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء. قالوا: فالجوّن، الأبيض في لغة حي من العرب. والجوّن، الأسود في لغة حي أخر، ثم أخذ أحد الفريقين من الأخر (33).

ثم ينتقل إلى بحث في عين الفعل في الإطار نفسه.

التفاسير المتضادة: ذو القرنين

ويرى ابن الأنباري أن الأضداد يمكن أن تتضمن "التفاسير المتضادة" أيضاً، مما لا علاقة مباشرة له بالألفاظ. من ذلك مثلاً قوله تعالى "ويسألونك عن ذي القرنيان". وفي شرحه ذلك يعرض حكاية: أن خالد بن معدان قال سمع عمر رحمه الله رجلاً يقول لرجل ياذا القرنين. فقال: أما ترضون أن تسموا بأسماء الأنبياء حتى صرتم تسمون بأسماء الملائكة.

التفسير الثاني بعد العنعنة ينقله عن مجاهد. قال: ملك الأرض شرقها وغربة أربعة، مؤمنان وكافران. فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين.وأما الكافران فالذي حاج ابراهيم في ربه، يعنى: نمروذ وبخت نصر .

والتفسير الثالث ينسبه إلى الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه: قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن ذي القرنين أنبياً كان أم ملكاً؟

فقال: ليس بنبي ولا ملك، ولكنه عبد صالح أحب الله فأحبه، وناصح الله فناصحه. بعثه الله عز وجل اللي قومه فضربوه على قرنه الأيمن فمات. ثم أحياه الله فدعاهم، فضربوه على قرنه الأيسر . فمات وفيكم مثله. وقال الحسن: إنما سمّي ذو القرنين ذا القرنيـن لأنـه كـان فـي رأسـه ضفيرتـان من شعر يطأ فيهما. قال لبيد بن ربيعةً:

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً بالدبو قس جدث، أميم، مقيم

وذو القرنين هذا، قال، النعمان بن المنذر، لأنه كانت في رأسه ضفيرتا شعر.

أما التقسير الرابع فقد ذكره ابن شهاب الزهري الذي قال: سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرن الشمس من مشرقها، وقرنها من مغربها. وقال وهب ابن منبه: سمي ذا القرنين لأنه ملك فارس والروم(34).

الألفاظ والمعاني: وزن فعول

وينقل ابن الأنباري هذا الوجه عن قطرب؛ يقال: ركوب لـلرجل الـذي يركب.وركـوب للطريـق

الذي يركب. وأنشد

يَدَعْن صوَان الحصى ركوبا أى مركوباً. وأنشد لأوس بن حجر

تضمنها وهغ ركوب كأنه

إذا ضم جنبيه المخارم رزديَّ

الرزدق الصف من الناس، وأصله أعجمي.

وعلى هذا المنوال يتابع حديثه على وزن "فعول" قانلاً: وكذلك (الفجوع) يكون الفاجع والمفجوع. ومثل ذلك "دعور": تحتمل تأويلين أحدهما، ذعرت رجلاً مذعوراً. والتأويل الآخر، ذعرت رجلاً يذعر الناس.

وكذلك (الزجور) يقال للزاجر وللناقة التي لا تدر حتى تزجر.. و (الرغوث) و (النهـوز)(35).. الخ.

الألفاظ والمعانى: التصغير.

يقول ابن الأنباري إن التصغير من الأضداد، لأنه "يدخل لمعنى التحقير ولمعنى التعظيم. فمن التعظيم فمن التعظيم فمن التعظيم فول العرب: أنا سُريْسيرُ هذا الأمر. أي أنا أعلم الناس به. ومنه قول الأنصاري يوم السقيفة: أنا جُذينُها المُحكَّك، وغُذيقُها المُرجَّب. أي أنا أعلم الناس بها، فالمراد من هذا التصغير التعظيم لا التحقير. والجُذيل تصغير الجذل وهو الجذع وأصل الشجرة والمُحكَّك الذي يُحتك به. أراد: أن يُستفى برأيي كما تشتفي الإبل أولات الجرب باحتكاكها بالجذع. والعذيق تصغير العذق، وهو الكباسة والشمراخ العظيم. والمُرجَّب الذي يُعمد لعظمه. وقال لبيد في هذا المعنى:

دويهية تصفر منها الأسامل

وكسل أنساس سوف تدخس بينهم

فصغر الداهية معظماً لها، لا محفّراً لشأنها.

وبحث... في التصغير

ثم يدخل ابن الأنباري في بحث نحوي في التصغير فيرى أنه على ثمانية أوجه.. إلا أن ما يهمنا منها هنا:

- تصغير العين لنقصان فيها كقولك: هذا حُجَيْر، إذا كان صغيراً. وكذلك: هذه دويرة إذا لم تكن كبيرة واسعة.

ويكون التصغير على جهة تحقير المصغر في عين المخاطب وليس به نقص في ذاته ولا صغر كقول القائل: ذهبت الدنانير فما بقي منها إلا دنينير واحد. وكذلك: هلك القوم، فما بقي إلا أهل بيئت

- ويكون التصغير على معنى الذم كقولهم: يا فُويْسِق، يا خُبِيَّتْ.

- ويكون التصغير على معنى الرحمة والإشفاق والعطف كقولهم للرجل: يا بني ويا أُخي وللمرأة يا أُخية (36).

أمثلة أخرى من الأضداد: الأفعال

يرجع ابن الأنباري في فعل "يهوي" إلى "قطرب" لإنبات أنه من الأضداد، فيقول: يكون بمعنى يصعد، ويكون بمعنى ينزل، وأنشد

والدلو تهوي كالعقاب الكاسر

وقال: معناه تصعد. والمعروف في كالام العرب، هوت الدلو تهوي هُويِّـاً إذا نزلت. قال ذو الرمَّة:

بذات الصوى آلافه وانشلالها.

كأن هويَ الالو في البئر شسكَّةً

ألاف جمع ألف (37).

وفي تقديمه الفعل "أخفيت" الشيء: إذا سترته، وأخفيته إذا أظهرته، يستشهد بقوله تعالى "إن الساعة آتية أكاد أخفيها" فمعناه أكاد أسترها، وفي قراءة "أبي". أكاد أخفيها من نفسي، فكيف أطلعكم عليها. ويذهب إلى أن تأويل من نفسي، من قبلي ومن غيبي، كما قال تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إلا أعلم ما في نفسك إلا أعلم ما

ويستشهد على معنى الإظهار بقول الشاعر:

قبي أربع مسيةن الأرض تحليل.

وعلى معنى الإخفاء بقول الكندي:

يخفى التراب بأظلاف ثمانية

ومنا ضرار وابناه وحاجب

فان تدفنوا الداء لا نخفيه وان تبعثوا الحرب لا نقعه (38)

وفي "خبت" النار: إذا سكنت وإذا حميت يستشهد بقول الكميت:

مؤجّعج نسيران المكسارم لا المُخْبسى

أر اد بالمخبى المسكّن للنار.

ثم ينتهي إلى قوله تعالى "كلما خبت زدناهم سعيراً". يقول ابن الأنباري: قال بعض المفسرين معناه نوقدت. وهذا ضد الأول. ويروي عن الحجاج عن ابن جريج -بعد العنعنة- أنه قال في كلما خبت: خَبُوها توقدها، فإذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيئاً، صارت جمراً يتوهج، فإذا أعادهم الله عز وجل خلقاً جديداً عاودتهم(39).. ثم يتابع الاستشهاد والتأويل في هذين المعنيين المتضادين.

وفي عنعنة تنتهي إلى عبد الله بن الزبير يقدم الفعل تلحلح" بمعنى إذا أقام في الموضع وثبت،

18

ههه التر العربي ههههههههههههههههههههههههههههها العربة البحرة المعادة المعادة

وإذا زال، يروي عن رسول الله (ص) أنه لما هاجر إلى المدينة ودخلها، جاءت به ناقته إلى موضع المنبر فاستناخت وتلحلحت.

وفي تأويل ذلك، يقول: إذا كان تلحلح بمعنى أقام وثبت، فأصله تلحّح من الإلحاح، فاستثقلوا الجمع بين تُلاتُ حاءات، فأبدلوا من الثانية لاماً، كما قد قالوا: صرّصر الباب، وأصله: صرّ، فأبدلوا من الراء الثانية صاداً.

ويتابع: ويقال قد تحلحل الرجل إذا زال وأصله تحلل، فأبدلوا من اللام الثانية حاءً، كما قالوا: قـ د تكمكم الرجل إذا لبس الكُمة وهي القلنسوة، أصله(40): تكمم.

واعتماداً على قوله تعالى قل لا تعتذروا" يقدم الفعل "اعتذر" إذا أتى بعذر أو لم يأت. وفي تفسير الآية يقول: إنهم اعتذروا بغير عذر صحيح.ويقال أيضاً: قد عذر الرجل في الحاجة، إذا قصدر فيها. وقد أعذر اذا بالغ ولم يقصر من ذلك قولهم: قد أعذر من أنذر أي قد جاء بمحض العذر (41).

أضداد من الأسماء

"االحن" يقال للخطأ، ويقال للصواب. يقول ابن الأنباري: فأما كون اللحن على معني الخطأ، فلا يُحتاج فيه الله عز وجل التعرفنهم في لحن يُحتاج فيه الله عز وجل التعرفنهم في لحن القول معناه في صعناه في صعناه في صعناه في صعناه في صعواب القول وصحته (42).. إلخ.

و "المستخفى" يكون الظاهر ويكون المتواري، فإذا كان المتواري فهو من قولهم:قد استخفى الرجل، إذا توارى، وإذا كان الظاهر فهو من قولهم: خفيت الشيء، إذا أظهرته. من ذلك الحديث المرويّ: ليس على المختفي قطع معناه: ليس على النبّاش، وإنما سمّي النباش مختفياً لأنه يخرج الموتى ويظهر أكفانهم (43).

و "بعض" يكون بمعنى بعض الشيء وبمعنى كله. قال بعض أهل اللغة، في قول الله عـز وجل حاكياً عن عيسى عليه السلام "و لأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه"

معناه: كل الذي تختلفون فيه. واحتج بقول لبيد:

أو يعتلق بعض النفوس حمامها

تُدرُ اللهُ أمكنية إذا ليم أرضها

معناه: أو يعتلق كل النفوس، لأنه لا يسلم من الجمام أحد، والحمام هو القدر.

ويتابع ابن الأنباري قانلاً: وقال غيره: بعض ليس من الأضداد ولا يقع على الكل أبداً.وقال في قوله عز وجل: والأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه: ما أحضر من اختلافكم، لأن الذي أغيب عنه لا أعلمه، فوقعت (بعض) في الآية على الوجه الظاهر فيها. وقال في قول لبيد: "أو يعتلق بعض النفوس حمامها، لأن نفسي هي بعض النفوس.

و حرف من أسماء الأضداد، يقال للرجل القصير حرف، ويقال للناقة العظيمة حرف.وقال

بعض البصريين: يقال للناقة الصغيرة حرف، وللعظيمة حرف. وإنما قيل للعظيمة حرف لشئتها وصلابتها شبهت بحرف السيف في مضائه. قال الشاعر:

وإذا خليلك لم يُدمُ لك وصله فاقطع لُبانَتَه بحرف ضامر (45) أضداد.. من الحروف

قليلة جداً حروف الأضداد في كتاب ابن الأنباري، إذا قيست بالأسماء خاصة، وبالأفعال عامة. ومنها:

لا: ويكون هذا الحرف بمعنى الجَحْد وهو الأشهر فيها، ويكون بمعنى الإثبات وهو المستغرب عند عوام الناس منها. فكونها بمعنى الجحد لا يُحتاج فيه إلى شاهد. وكونها بمعنى الإثبات، شاهده قول الله عز وجل "وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون" معناه أنهم يرجعون. وكذلك قوله عز وجل "ما منعك ألا تسجد" معناه أن تسجد، فدخلت "لا" للتوكيد.

ويستطرد ابن الأنباري إلى أربعة أوجه نحوية في "لا"(46)

"ما" نكون اسماً للشيء، وتكون جحداً له، وتكون مزيدة للتوكيد، فيقول القائل: "طعامك ما أكلت" و هو يريد: طعامك الذي أكلته. فتكون "ما" اسماً للطعام. وتقول: "طعامك ما أكلت" و هو يريد طعامك أكلت، فيؤكد الكلام بـ "ما".

وتقول أيضاً "عبد الله ما قام" على جحد القيام. و "عبد الله ما قام" على إثباته، و "ما" زيدت للتوكيد. فكون "ما" جحداً لا يحتاج فيه إلى شاهد، لشهرته وبيانه. وكونها اسما شاهده قول الله عز وجل "ما عندكم ينفد وما عند الله باق". وكونها مزيدة للتوكيد شاهده قول الله عز وجل "ممّا خطاياهم أغرقوا" معناه: من خطاياهم، وقوله أيضاً "فبما نقضيهم ميثاقهم" فمعناه: فينقضهم ميثاقهم (47).

"هل" تكون استفهاماً، وتكون للتحقيق بمعنى "قد". يقول ابن الأنباري: تكون استفهاماً عن ما يجهله الإنسان ولا يعلمه، فيقول: هل قام عبد الله؟ ملتمساً للعلم وزوال الشك. وتكون "هل" بمعنى "قد" في حال العلم واليقين وزوال الشك. فأما كونها على الاستفهام، فلا يحتاج فيه إلى شاهد. وأما كونها على معنى "قد" فشاهده قول الله عز وجل: "هل أتى على الإنسان حين من الدهر" قال جماعة من أهل العلم، معناه: قد أتى على الإنسان..

ثم يستشهد بالحديث الشريف: قال النبي (ص) في بعض غزواته: "اللهم هل بلَّغت" قد بلغت. وقال بعض أهل اللغة إذا دخلت "هل" للشيء المعلوم فمعناها الإيجاب والتأويل(48).

■ الحواشي:

اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية. تباليف: د.
 عبد اللطيف الصوفي - دار طلاس - 1986 ص 34.

2- المصدر السابق -ص 35

3- المصدر السابق - ص 37

4- المصدر نفسه - ص 38

5- المصدر نفسه - ص 67

6- المصدر نفسه- ص 86

7- ابن الأثباري (271- 328هـ= 884- 940م): محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، أبو بكر الأنباري، من أعلم أهل زمانه في الأب واللغة، ومن أكثر الناس حفظًا للشعر والأخيار. قبل: كان يحفظ ثلاثمنة الف شاهد في القرأن. ولا في الأنبار على الفرات وتوفي ببغداد. وكان يتردد إلى أو لاد الخليفة الراضي بالله يعلمهم. من كتبه (الزاهر) في اللغة و (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) و (ايضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل) و (الهاءات) و (عجانب علوم القرأن) و (شرح الألفات) - رسالة نشرت في مجلة المجمع بنعشق. و (خلق الإنسان) و (الأمشال) و (الأضداد) وأجل كتبه خمى رأي الزركلي-(غريب الحديث) قيل إنه خمسة وأربعون ألف ورقة.وله (الأمالي) عن الأعلام" لفير الدين الزركلي -الطبعة الفامسة 1980 دار الطلع للملايين -المجلد السلاس- ص 334.

8- الأضداد في اللغة. تأليف: تاج اللغة محمد بن القاسم محمد بـن بشـــار الأنبــاري النحــوي المطبعة الحسينية المصريــة بكفـر الطمــاعين بمصر - أو أخر شهر شعبان 1325 هجرية.

9- دار الحداثـة -لبنــان- بـــيروت- الطبعــة الثانيــة 1982

10- المصدر السابق - ص8.

11- در اسات فنية في الأنب العربي- تأليف: د. عبد

الكريـم اليـافي – طبعـة 1972 - ص 110 ومــا بعد

الألفاظ الكتابية -تأليف: عبد الرحمن عيسى
 الهمذاني- مطبعة الاباء اليسو عيين في بيروت
 1899 - الطبعة الثامنة- ص 296

13 - تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي - تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر - مطبعة حكومة الكوبت - (1970 الجزء الثامن - ص 310.

14- المصباح المنير حَالَيْف: أحمدُ محمدُ بن على الغيومي المقري- المكتبة العصرية- صيدا-الطبعة الثانية 1997- ص 186

أقرب العوارد في فصح العربية والشوارد تاليف: سعيد الخوري الشرتوني - مطبعة
مرسلي اليسوعية ببيروت سنة 1889 ص
 679

اللغة ومعاجمها حتأليف: عبد اللطيف الصوفي - ص 71

17- الأضداد في اللغة. تــأليف: ابــن الأنبــاري-ص11

18- الأضداد- ص2

19- ابن درستويه (ت 347هـ) ألَف كتاباً في ابطـال الأضداد: اللغة ومعاجمها.

20- الأصداد في اللغة- لابن الأنباري- ص3،2، 4 21- الأصداد في اللغة- ص 350، 351

22- المرجع السابق -ص 192، 193

23- المرجع السابق -ص77

208 مرجع السابق- ص 208

25- المرجع نفسه- ص 244

26- المرجع نفسه- ص 346

27- المرجع نفسه- ص 347

235- الأضداد في اللغة- لابن الأنباري - ص235-236

39- المرجع نفسه- ص 151، 151 40- المرجع نفسه- ص 205، 206 41- المرجع نفسه- ص 280. 42- المرجع نفسه- ص 63 43- الأضداد في اللغة- ابن الأنباري- ص 155 65- المرجع السابق - ص 173 45- المرجع السابق - ص 173 46- المرجع نفسه- ص 163 48- المرجع نفسه- ص 163

التعدين أساس كين الكيمياء الكيمياء التعدين السهام الشعوب العربية في تقدم علم التعدين

أ.د.محمد زهير البابا

مقدمة:

علماء الآثار منذ القرن السابع عشر للميلاد بالتنقيب في مختلف الأقطار العصور. لقد تبين لهؤلاء العصور. لقد تبين لهؤلاء الباحثين وجود كثير من المدن، وخاصة في سورية، قد تحولت لتلال من الأحجار والأتربة، من جراء كوارث طبيعية، أو نتيجة حروب مدمرة قضت عليها. وبما أن العادة قد جرت، عند خراب مدينة ما، أن يعاد البناء فوقها، لذلك غالباً مايجد المنقبون طبقات متراكمة بعضها فوق بعض، تضم آثاراً تعود لأرمنة متدرجة بالقدم.

كانت آثار وادي النيل من أوائل ما اكتشف المنقبون. إلا أن جهلهم للخط الهيروغليفي حال دون معرفتهم للأحداث التاريخية وللمستوى الحضاري للشعب المصري في العصر الفرعوني. ولكن بعدما استطاع العالم شامبليون قراءة ذلك الخط اتضحت أسرار تلك الحضارة العريقة.

وهذا ماحصل أيضاً في بلاد الرافدين والهلال الخصيب، ذلك لأن الخط المسماري وقف عانقاً دون تفسير ماورد في الألواح الطينية التي وجدت بأعداد كبيرة في مدن سومر وآكاد وبابل وأشور، وخاصة في أوغاريت وماري وإيبلا. أما الأن فقد تمكن بعض علماء الآثار من أجانب وعرب، من قراءة ذلك الخط الذي دوّنت به لغات ولهجات عدة أقوام قطنوا في تلك المدن، منذ الألف الرابع قبل الميلاد حتى القرن الأول منه.

كانت شعوب العالم الغربي تعتبر الحضارة اليونانية، والتي يعود قدمها إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، ذروة الحضارات القديمة. ولكن بعد أن تم اكتشاف حضارة وادي النيل وبلاد

الرافدين، والتي يعود تاريخها إلى الألف الخامس والرابع قبل الميلاد، تغيرت نظرة علماء التاريخ للأمر، وصاروا يسعون لمعرفة العلاقات التي كانت تربط بين تلك الحضارات.

لقد بينت الأبحاث والندوات، التي عقدت وتُعقد في الوقت الحاضر، فضل شعوب الشرقين الأدنى والأقصى في اكتشاف كثير من العلوم النظرية والتكنولولجية، ومنها علم التعدين.

من المعلوم أن اكتشاف المعادن ومعرفة الطرق المؤدية للاستفادة منها تعد أحد الأسباب الأساسية للرفاهية التي تتمتع بها أكثر شعوب الأرض. وبما أن الثروة المعدنية لقطر من الأقطار تعد مصدراً رئيساً لدخله القومي غالباً، لذلك سأسعى في بحثي هذا أن أبين إسهام الشعوب العربية في اكتشاف مناجم المعادن، وبيان توزعها الجغرافي في بلادهم. ومعرفة طرق فحصها وتصنيعها معتمداً على الأمور الأتية:

1 -بيان المكتشفات الأثرية الحديثة والتي تبين تقدم علم التعدين في الأقطار العربية.

2-ذكر مارود في المؤلفات العربية التراثية، من كتب تاريخ وجغرافيا طبيعية، والتي تعرف عادة باسم المسالك والممالك، تقويم البلدان، المدن والأمصار... حيث نجد احصاءات ومعلومات دقيقة عن المناجم المنتشرة في تلك الأقطار، وعن صفات مايستخرج منها من فلزات معدنية، وكيف يتم صهرها وتنقيتها وسكبها، وغير ذلك من الأعمال التكنولوجية.

3'-المؤلفات العربية في علم كيمياء المعادن، وخاصة ماكتبه جابر بن حيان وأبو بكر الرازي، المخطوط منها والمطبوع، بالإضافة إلى الكتب التي تذكر الجواهر والأحجار في العالمين العربي والإسلامي؛ وهي من مؤلفات البيروني والأكفاني والتيفاشي وغيرهم.

التنقيبات الأثرية والمؤلفات التراثية

تدل على فضل الشعوب العربية في تقدم علم التعدين

لقد دلت التنقيبات الأثرية، التي جرت في البلاد الواقعة على أطراف الخليج العربي، أن تلك الأماكن كانت مأهولة بالسكان خلال العصر الجليدي. ففي مواضع مختلفة، منها رأس عوينة علي، الواقعة في شبه جزيرة قطر، وفي مواضع أخرى من البحرين، عثر المنقبون على أدوات حجرية تعود إلى العصر الحجري القديم (الباليوليتيك)، أي قبل خمسين ألف عام، وممّا عثر عليه أحجارً صوانية، على شكل حراب وسكاكين، وأخرى على شكل مناجل، مما يدل على أنها كانت تستعمل في تقطيع لحم الفرائس، أو لحصد المزروعات أو للدفاع عن النفس.

وفي جزيرة فيلكا عثر المنقبون أيضاً على آثار وسكن وهياكل يرجع عهدها إلى الألف الثالث قبل الميلاد. وقد تبين للباحثين أن هذه الجزيرة، وكذلك السواحل والجزائر الأخرى الواقعة على الخليج، كانت ملاجئ يأوي إليها الملاحون والتجار، خلال تلك الأزمنة، للاستراحة، وللحصول على مايحتاجون إليه عند أهل هذه السواحل من ماء عذب وغذاء.

\$\$\$ التراز العربي \$\$\$\$\$\$\$\$\$\$\$\$\$ أدمه و نهير البايا \$\$\$

ونظراً لأهمية هذه السواحل والجزائر سعت الشعوب، التي قطنت في بلاد الرافدين من أكاديين وبابليين وأشور ويونان، للاستيلاء عليها والتمتع بخيراتها ومواقعها الاستراتيجية.

ويقال أن سرجون الأكادي كان أول من استولى على البحرين وقطر حوالي عام (2300ق.م)، كما ذُكر أن جماعة من تجار أور كانوا يتاجرون مع البحرين منذ الألف الثاني قبل الميلاد، وقد أنشؤوا لذلك أسطولاً لنقل البضائع المستوردة والمصدرة.

وفي أسطورة سومرية، عُثر عليها مدونة على أحد الرقم بالخط المسماري، وجد علماء الأثار وصفاً لجزيرة البحرين، التي أطلق عليها اسم دلمون. ويقول كاتب تلك الأسطورة إنها أرض السلامة والنظافة، الجنة التي لايُعرف فيها الموت ولا الأمراض والأحزان، والتي لاينعب فيها غراب، ولاتفترس أسودُها وذئابها البشر ولا الأغنام.

كانت دامون محطة مهمة للتجارة بين الهند وإفريقية وسواحل الخليج، تستورد الأخشاب والتوابل والعقاقير من الهند وإفريقية، وتنقل النحاس من عمان إلى العراق، ومنه تحصل على ماتحتاج إليه من غذاء وكساء. ويقول العالم بارتون إن بعض الرسائل الملكية تدل على أن الملك مانشتوسي، والدنارام سين الأكادي، قد أرسل حملة عسكرية بحرية، عام (2306-2292)ق.م، عبرت البحر الأسفل (الخليج العربي)، وتغلبت على سكان السواحل، واستولت على الجبال الواقعة في الجنوب، وأخذت مافيها من الأحجار، فصنعت منها تماثيل قدمها الملك نذراً للإله أنليل. كما عُثر على نصوص تبين من دراستها أنها عقود جرت لتبادل الفضة والنحاس مع التجار.

صناعة الفخار والخزف والزجاج:

اهتم سكان بلاد الرافدين، شأنهم شأن بقيمة الشعوب المتوغلة بالقدم، بصنع الأدوات والأسلحة التي يحتاجون إليها من الأحجار المنتشرة في أطراف بلادهم. وبما أن المواد الغضارية تستر أكثر أرضيهم لذلك لجؤوا إليها لصنع الأدوات المنزلية، كما استفادوا منها لصنع ألواح كتبوا عليها بالخط المسماري الذي اخترعوه. وكانوا يكتفون بمزج الغضار بالماء وصنع تلك الأدوات ثم تركها لتجف تحت أشعة الشمس. وفي أوائل الألف الثاني قبل الميلاد اهتدوا لشيّ تلك الأدوات والألواح، وهذا ما أكسبها صلابة ومقاومة للتغنت، الناجم عن الرطوبة أو الاحتكاك. وفي منتصف الألف الثاني قاموا بطلى بعض تلك الأدوات بطبقة من الزجاج.

ويعن تزجيج الفخار من أوائل الصناعات الكيماوية التي اهتدى إليها الإنسان. ويقول الدكتور سارتون إنه يوجد في المتحف البريطاني بلندن لوح مسماري صغير، يعود تاريخه إلى عصر الملك جولكيشار (1690-1636)ق.م، نُقش على وجهيه وصفة عملية لتزجيج الفخار، أي تحويله لخزف. وتدل هذه الوثيقة على الطريقة التي كان يعمد إليها سكان الرافدين لطلي الفخار بطبقة رقيقة من مادة زجاجية، فتكسبه صلابة وملاسة ولمعاناً وجمالاً. ويتم ذلك بأخذ أوزان معينة من فتات النحاس والزجاج المكسر، تجعل بشكل سائل باستعمال الخل. وتغمس به الأواني الفخارية، ثم

تشوى داخل فرن تشتعل فيه النار، وتخرج منه بعد ذلك وتترك لتبرد في العراء، وبذلك يتلون الفخــار بلون أخضر.

ويقول سارتون إن هذه الوثيقة لاتقتصر أهميتها على كونها أقدم سجل معروف عن وصف عملية التزجيج، بل إن الوثائق الأخرى المماثلة لم تظهر في بلد آخر إلا بعد ذلك بألف عام.

لقد تفنن صانعو الخزف باختيار الغضار المناسب لصنع الفضار، فاليمنيون مثلاً كانوا يجلبونه من الصين. أما لتلوين الضرف فقد اهتدوا إلى معرفة الأكاسيد المعدنية المناسبة لتلوينها بالألوان المطلوبة. ومما ساعد على تقدم عملية التزجيج وجود قطع من الزجاج الطبيعي، مبعثرة بين الرمال، وهي تحصل في الطبيعة من اتحاد حبيبات الرمال الناعمة (وتركيبها أكسيد السيليسيوم) مع الأملاح القلوية الناتجة من احتراق النباتات.

وبما أن وادي النيل غني بالرمال وبملح النطرون، الذي يدخل في تركيبه فحمات الصوديوم وفحمات البوتاسيوم، لذلك اهتدى المصريون منذ فجر التاريخ أيضاً لصنع الزجاج. وقد تقدمت هذه الصناعة في مصر وفي غيرها من بلاد الشرقين الأقصى والأدنى، وخاصة بين القرنين السادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد. وأصبح العمال ينتجون أواني خزفية وزجاجية، جميلة الأشكال رائعة الألوان. وقد اشتهر الزجاج المصري بألوانه المتعددة، ومنها البنفسجي، علما أن هذا اللون ينشأ من أوكسيد الكوبالت، وهو معدن لايصادف في أرض مصر، مما يدل على قيام المصريين القدماء بالبحث عنه في الأراضى المجاورة لبلادهم.

ومن الأدوات الفخارية التي انفرد بصنعها سكان الرافدين الأختام، وألواح الكتابة (الرقم)، والتي كانوا يستعملونها لتدوين الرسائل والعقود غالباً.

كان الكهنة في بلاد الرافدين هم الذين يعرفون القراءة والكتابة بالخط المسماري، منذ الألف الثالث قبل الميلاد. فإذا أراد أحد الملوك أو الأمراء أن يُبرم معاهدة، أو يرسل رسالة إلى ملك آخر، أو أراد أحد الملاّك أو التجار أن يسجّل عقداً مع مستأجر أو بائع، التجا إلى أحد الكهنة أو الكتبة. وبما أن العقود والرسائل كانت تنقش على ألواح طينية غضة لذلك كان لابد لكل فرد يتمتع بمكانة اجتماعية أو مالية، أن يكون له خاتم خاص يدل عليه، فيمهر به العقد أو الرسالة. ويتفاوت حجم الخاتم، وطريقة نقشه، ونوع الحجر المصنوع منه، حسب مكانة صاحبه. لذلك وجد المنقبّون في خرائب مدن الرافدين أختاماً من الفخار أو العقيق أو اللازورد أو اليشب، أو غيرها من الأحجار الكريمة، منقوشة بأسماء أصحابها أو رموزهم.

التعدين أساس علم الكيمياء:

يقول العالم الفرنسي برتلو، في كتابه تاريخ علم الكيمياء "إن العلم البشري الأول ولد من صناعات التعدين البدائية. أي حينما اهتدى الإنسان لصنع الخلائط المعدنية، وقام بتزجيج الفخار وصنع الزجاج وصبغ الأقمشة، وتعلم استعمال الميزان...".

@ ﴿ الرادِ الْمُعْدُونِ وَهُونِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَلِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَلِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعَلِينِ الْمُعَلِينِ الْمُعَلِينِ الْمُعَلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعَلِينِ الْمُعَلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِينِ الْمُعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِينِ الْمُعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِينِ الْمِعِينِ الْمِعِينِ الْمِعِلِيلِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِينِ الْمِعِلِينِ الْمِعِيلِينِ

ويقول ديور انت، في كتابه تاريخ الحضارة: "إن النحاس كان أول معدن استخدمه الإنسان فيما نعلم، في أعلى مجرى الرافدين، في عصر يرجع إلى (4500ق.م). ثم نجده في مقابر البداري في مصر، ويرجع عهده إلى مايقرب من (4000ق.م). ونجده كذلك في آثار أور في زمن يرجع إلى (3000ق.م).

كان سكان وادي النيل من أوائل الشعوب التي اكتشفت الذهب والفضمة منذ فجر التاريخ. ذلك لأن هذين المعدنين يصادفان بشكل حبيبات من المعدن الحر، تجتمع على شكل عروق في باطن الصخور. وبتأثير السيول والأمطار تتفتت تلك الصخور وتتحرر منها الحبيبات التي تصادف بين الرمال في مجاري السيول والأنهار، والموجودة خاصة في جنوب وادي النيل.

أما النحاس فقد اكتشف في صحراء سيناء على شكل فلزات كبريتية، واستحصلوه منها بإحراقها بعد مزجها بالفحم النباتي الذي يرجع الأكاسيد المعدنية، ويحرر المعدن.

ونظراً لليّونة وقابلية التطريق، اللتين يتمتع بهما الذهب والغضة والنحاس، فقد صنعوا منها كثيراً من الأواني والأدوات والحلي، فاستعملوا بعضها للزينة وبعضها لتحضير الطعام. وقد أبدع المصرون في صنع التحف والتماثيل الذهبية، كما أبدع اليمنيون في صنع الحلي والأسلحة الفضية.

عصر البرونز والصفر:

لم يصلح النحاس النقي في صنع الأسلحة لليونته، كما لم يصلح تماماً لصنع الأدوات المنزلية، لأنه سريع التحول إلى مركبات سامة حينما تكون الأطعمة حامضة.

لذلك لجأت بعض شعوب الشرق الأقصى والأوسط والأدنى إلى خلط النحاس بمعادن أخرى، لتكسبه القساوة والصلابة وسهولة الانصهار، وبذلك بدأ عصر البرونز. ولكن الزمن الذي حصل فيه اكتشاف خلائط النحاس يختلف من بلد لأخر، ويمكن القول بأن ذلك قد تم بين الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد. ويذكر العالم سارتون أن المصريين قد استعملوا البرونز على نطاق واسع خلال حكم الأسرة الثامنة عشرة (1580–1350)ق.م.

يتألف البرونز المصري من معدني النحاس والقصدير، مع قليل من الشوائب. وبما أن القصدير غير موجود في أرض مصر، لذلك بحث علماء التاريخ والجيولوجيا عن مصدره، فوجدوا أن أقرب مكان يمكن أن يجلب منه هو مدينة جبيل (بيبلوس) على الساحل السوري.

إن عدم وجود فلزات تجمع بين النحاس والقصدير في مصر يدل على أن المنشأ الأول للبرونز لم يكن في مصر. وهذا أمر طبيعي لأن صناعة التعدين كانت منتشرة في عدة أماكن من العالم القديم. وقد كان للفينيقيين دور هام في نقل المعادن ونشر صناعتها بين دول البحر المتوسط منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد.

لقد عرف السومريون نوعاً أخر من البرونز، واستعملوه على نطاق واسع خـلال الألف الثـاني قبل الميلاد، وكان يتألف من مزيج من النحاس والرصـاص، وكلاهما كان متوافراً في منطقة الرافدين،

أو فيما يجاور ها من الأقطار.

كانت عمليات التعدين، كالمعالجات الطبية، كثيراً مايصاحبها الإخفاق. ولما كان سكان وادي الرافدين يؤمنون بتأثير الكواكب، في جلب السعد أو النحس، والشفاء أو المرض، لذلك فإن إمكان نجاح تحضير الخلائط المعدنية، وصهر المعادن وتنقيتها، كان مرتبطاً بظهور بعض الكواكب، أو بأوضاعها المختلفة بالنسبة إلى بعضها مع بعض. وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن كثيراً من العمليات التكنولوجية كانت تصاحبها طقوس دينية وثنية لاسترضاء الأرواح الخفية المسيطرة على باطن الأرض. وقد أسبغ الكيميانيون والفلاسفة على العناصر التي اكتشفت فيما بعد، صفات الكائنات الحية، كما اعتقدوا بأن الصهر والمزج، الذي يتم بين تلك العناصر، كثيراً مايودي إلى موت أو إحياء أو تزاوج أو افتراق بينها.

اشتهرت الشعوب القديمة من سكان الشرق بتجربتها الواسعة في صناعة التعدين، وقد انتقل تراثها الحضاري إلى سائر شعوب البحر المتوسط. وهنالك بعض الأساطير القديمة التي تؤيد ذلك، منها: أن أحد ملوك فينيقية، ويدعى قدموس Cadmus، قد جاء إلى بلاد اليونان بصناعة التعدين، وهو أول من استفاد من مناجم الذهب والفضة الموجودة في جبال مكدونيا.

 كما يحكى أن أميرا فينيقيا آخر يدعى تاسوس Tassus استثمر مناجم الذهب الموجودة في جزيرة تقع شمال بحر ايجه فسميت الجزيرة باسمه.

ظهور علم الكيمياء:

يقول العالم هولميارد إن مصر كانت المهد الأول لظهور الكيمياء، وذلك في عهد البطالسة. ومما يؤيد ذلك اكتشاف كتاب لفيلسوف يدعى بولس ديموقريطس، يعود تاريخه إلى نحو عام (200ق.م).

عاش هذا العالم في مدينة مانديس Mendès، الواقعة في دلتا نهر النيل. ويقول هولميارد إن كتاب ديمقر اطيس المذكور، والمسمى فيزيكا Physika، ينقسم إلى أربعة أقسام، تكلم فيها على صناعة الذهب والفضة والأحجار الكريمة والأرجوان. ويضم هذا الكتاب مزيجاً غريباً من وصفات ومقتطفات تتعلق بتجارب عملية منشؤها مصر وسورية وبابل وبلاد فارس.

ومما يميز ديمقر اطيس من أصحاب الصنائع والحرفيين اهتمامه بتحويل المعادن البخسة إلى ثمينة، وذلك تبلوين المعادن أو صبغها أو خلط بعضها ببعض أو إضافة بعض المواد الملونة لها، وخاصة الكبريت أو مشتقاته، وكذلك بعض المركبات الزرنيخية الطبيعية.

لقد تكلم كل من هولميارد وسارتون على برديات مكتشفة في مصر، تضم بعض المعلومات عن التعدين. وهذه البرديات محفوظة حالياً في متحفي ليدن واستوكهولم. إلا أن علماء الآثار لم يستطيعوا تعيين قدمها، أهي من عهد البطالسة أم ترجع إلى عهد قدماء الفراعنة.

ولكن من المؤكد أن المصريين قد أتقنوا صناعة الذهب وتصفيحه ولحمه وتحويله لأسلاك منذ عصر الأسر القديمة. وقد قام كيميائي مصري يدعى زوسيم Zosimos، عاش في النصف الثاني من

هِهِ البراز العربي ﴿ وَهُهُهُهُهُهُهُهُهُهُ البراز العربي البابا ﴿ وَهُهُ الْمُعَالِمُ الْبَابِا الْمُوهِ الْمُعَالِمُ الْمُعَلِمُ الْمُعَلِمُ الْمُعَلِمُ الْمُعَلِمُ الْمُعَلِمُ الْمُعَلِمُ الْمُعَلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعَلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلْمُ الْمُعِلِمُ الْمِعِلِمُ الْمُعِلِمُ عِلْمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِمِي الْمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ عِلْمُ عِلْمُ عِلْمُ عِلْمُ عِلْمُ عِلْمُ عِلْمُعِلْمُ عِلْمُعِلِمُ عِلْمُعِلِمُ عِلْمُعِلِمُ عِلْمُعِلِمُ عِلْمُعِلِمُ عِلْمُعِلِمُ عِلْمُ عِلَامِ عِلْمُعِلِمُ عِلْمُ عِلْمُ عِلْمُ عِلْمُ عِلْمُ عِلْمُ الْمُعِلِمُ عِلْمُ عِلَامِ عِلْمُ عِلَيْمِ عِلَامِ الْمُعِلِمُ عِلْمُ عِلَمُ عِلِمُ عِلِمُ عِلِمُ عِلِمُ عِلِمُ عِلْمُعِلِمُ عِلْمُ عِلَمُ عِلْمُ

القرن الثالث للميلاد، بوضع كتاب وصف فيه الأدوات اللازمة في هذه الصناعة. علماً أنه كان من أهالي مدينة بانوبوليس Panopolis، الواقعة على الضفة الشرقية من نهر النيل في صعيد مصر، والمعروفة حالياً باسم إخميم. وفي هذه المدينة أقام قدماء المصريين أبنية حجرية، على شكل غرف، زينت جدرانها بلوحات مصورة أو محفورة، يمثل بعضها صناعة التعدين، وإلى جانبها كتابة بالخط الهيروغليفي لشرح ماجاء فيها.

إن بعض هذه الأبنية لما تزل ماثلة الأثار، وقد وجد فيها قديماً أدوات ومواد كانت تستعمل في صناعة التعدين. وورد ذكر هذه الأبنية في عدة مؤلفات عربية، منها كتاب (الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر) لمؤلفه الطبيب والمؤرخ عبد اللطيف البغدادي (1231هـ/1231م).

لقد ثبت لعلماء الجيولوجيا والأثار أن مناجم النحاس والإثمد قد استثمرت منذ عصر الأسر القديمة، وأن تنظيم استثمارها حصل في زمن سنوسرت الأول (1980–1935ق.م). ويقول العالم سارتون أن المصريين أقاموا في سيناء مساكن للعمال والموظفين وحصوناً لصد غزوات البدو. ونستطيع البوم أن نرى بقايا تلك المستعمرات الخاصة بالتعدين والتي يرجع تاريخها إلى ثمانية وثلاثين قرناً قبل الميلاد.

مما سبق يتبين لنا أن المعادن الرئيسة التي اهتم بها المصريون كانت الذهب والفضة والنحاس والقصدير والإثمد (كبريت الانتموان) المستعمل في صناعة الكحل، أما صناعة الحديد فقد تأخر ظهورها في مصر لسببين:

أولا) لعدم اكتشاف مناجم الحديد فيها بصورة مبكرة.

ثانياً / صعوبة استحصال الحديد من فلزاته، والذي يتطلب درجات عالية من الحرارة وتقنيسات معقدة. ومن المحتمل أن يكون بعض صناع الحديد قد وقدوا إلى مصر في الفترة الواقعة بين القرنين الثاني عشر والسادس قبل المعيلا.

عصر الحديد:

يقول بعض المؤرخين إن الحيثيين هم الذين اخترعوا صناعة الحديد حول منتصف الألف الشاني قبل الميلاد. ومن بلاد السام ومصر في قبل الميلاد. ومن بلاد السام ومصر في الجنوب، وإلى بلاد مكدونيا في الغرب. ويقول سارتون: "من الراجح أن الغزاة الدوربين استطاعوا أن يفرضوا سيادتهم على شعوب البحر الإيجي بفضل أسلحتهم وأدواتهم الحديدية".

ومن المفيد أن نذكر بـأن العصـور التاريخيـة المتتابعـة، وهـي الحجـري والنحاسـي والـبرونزي والحديدي، لم تحدث في زمان واحد في جميع الأقاليم التي انتشرت فيها الحضـارات القديمـة، كمـا أن ظهور أحد هذه العصـور في إقليم معين ربما استمر فيه مدة أطول مما كان عليه في إقليم آخر، وذلك لأسباب عديدة منها:

- أ -أن جميع الصناعات من كيماوية وغيرها كانت ولم تزل تعتبر من الأسرار التي تجب
 المحافظة عليها كمصادر الدخل، وكثيراً ماكانت القبائل والشعوب والعائلات تحتكرها
 وتخفى أسرارها.
- 2 -أن الخامات الضرورية لصناعة التعدين لا تتوافر من ناحية الجودة والغزارة في جميع بقاع الأرض، لذلك كان لابد من وجود تجار ووسطاء يقومون ببيعها أو شرائها عن طريق المقايضة غالباً.

ويقول المؤرخ سترابون إن تجار صور الفينيقيين كانوا يقومون، بعد حروب طروادة بقليل، بتصدير مجموعة كبيرة من البضائع وتوزيعها في بلاد البحر المتوسط؛ ومنها الأواني الزجاجية والفخارية، والأدوات المعدنية المصنوعة من النحاس القبرصي. وكانوا يحصلون من مصر وجزيرة العرب وبلاد الرافدين، على معظم البضائع التي يبيعونها. وكثيراً مانسبت إليهم مخترعات (صناعة الزجاج مثلاً) لم يكونوا أهلها، بل عملوا على ترويجها.

لقد أنشأ الفينيقيون مستعمرات لهم في أماكن متعددة على سواحل البصر المتوسط وفي الجزائر المنتشرة فيه. وكانت أهم مستعمراتهم قرطاجة، التي تأسست عام 814 ق.م، وسقطت بيد الرومان عام 146 ق.م.

استطاع الفينيقيون أن يصبحوا سادة التجارة البحرية منذ القرن المثاني عشر قبل الميلاد، وكان منافسهم الوحيد الأسطول اليوناني. ولما وقعت الحرب بين اليونان والفرس من عام 478 إلى 448ق.م، كان الفينيقيون إلى جانب الفرس، فانتهت المعارك بهزيمتهم، ومن ثم سيادة اليونان على التجارة البحرية، وبقاء السيادة الفارسية على بلاد الشرق الأوسط بما فيها مصر.

ومن الأعمال الجرينة والمهمة التي قام بها القرطاجيون اجتياز ملاحيهم أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق)، وتوغلهم في البحر المحيط المظلم والمخيف. واكتشافهم جزر هيبرنيا والبيون (إيرلندة وإنجلترة)، ومن هناك استطاعوا الحصول على القصدير، وهو المعدن اللازم لصناعة البرونز في مصر وجزيرة قبرص.

كانت الحضارة الكنعانية التي نشأت في جنوب بلاد الشام أساساً ومرتكزاً في فلسطين، و قامت عليهما الحضارة الأرامية في سورية. وقد أطلق اليونان فيما بعد على الكنعانيين الذين احتلوا سواحل وأرض لبنان اسم الفينيقيين.

علم المعادن في أسفار وملاحم العالم القديم:

لم يكن عدد المؤرخين الأوائل، والذين ظهروا خاصة قبل الميلاد، كبيراً. كما لم يكن لديهم الوسائل العلمية الصحيحة التي تمكنهم من التحقق من صدق الأخبار التي تتقل إليهم. لذلك كانت المبالغة والتحريف من الأمور الشائعة في مؤلفاتهم، حتى عُذَت بعض أخبارهم من الأساطير التي لايعتمد على صحتها. وقد سجل بعضها في زمرة كتب النوادر أو عجانب المخلوقات والكائنات.

هُهُ الراز العرب البابا العرب البابا العرب البابا العرب البابا العرب البابا العرب البابا الع

وسنتكلم فيما يلي على مرجعين هامين، ورد فيهما ذكر المعادن، وكانا مصدريـن لاستقاء أخبـار أمم غابرة، أحدهما كتاب العهد القديم، والثاني ملحمتا هوميروس الإلياذة والأوذيسة.

لقد شمل كتاب العهد القديم، بأسفاره العديدة (39 سفراً) وجملة إصحاحاته (929 إصحاحاً) تاريخ البشرية، منذ ظهور آدم عليه السلام، ونوح وإبراهيم الخليل وذريتهما حتى عهد النبي زكريا. وبقي هذا الكتاب السماوية. وحينما ظهر وبقي هذا الكتاب السماوية. وحينما ظهر المؤرخون الحديثون، وكان أكثر هم من اليهود، استمر بعضهم بالاعتقاد في صحة ماجاء بالتوراة خاصة، أو بكتاب العهد القديم بصورة عامة. وقد شمل اعتقادهم أموراً دينية أو تاريخية أو علمية.

كان إبر اهيم الخليل يقطن وعشيرته في أور (الكلدانيين؟)، كما جاء في سفر التكوين، ثم انتقل منها إلى حاران، حيث تزوج من عشيرته (الأراميين)، وبعدها تابع الطريق مع أخيه لـوط إلـى أرض كنعان (فلسطين).

ويقول الدكتور أحمد سوسة (في كتابه العرب واليهود في التاريخ):

"إن الحضارة الكنعانية تعود إلى عصور موغلة في القدم. فمنذ العصر الحجري الحديث (7-5 الاف سنة ق.م) بدأت هذه الحضارة تنمو وتتقدم. فكان الكنعانيون أول من اكتشف النحاس اللين، ثم اهتدوا إلى الجمع بين النحاس والقصدير في إنتاج البرونز. وبذلك أصبح استعمال البرونز شائعاً في المدن الكنعانية منذ أو اسط الألف الثالثة قبل الميلاد". ومن المحتمل أن يكون الكنعانيون قد أخذوا صناعة الحديد من الأقوام المجاورة لهم مثل الحثيين".

من المعتقد أن إبر اهيم الخليل ظهر في بلاد الرافدين بين القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد، وأن موسى ظهر في مصر خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد، زمن الملك رعمسيس الثاني (1301–1235)ق.م.

وحتى ذلك العصر لم يكن استعمال الحديد شائعاً في وادي النيل وأرض كنعان، وإنما كان النحاس والبرونز هما المستعملان في صنع الأسلحة والأدوات المنزلية. وحينما ظهر الملك داوود وابنه سليمان، وذلك بين القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد، بدأت صناعة الحديد بالظهور والانتشار.

وفي كتاب التوراة مايشير إلى استيلاء الحثيين على القسم الشمالي من أرض كنعان، ذلك لأن ابر اهيم الخليل، بعد عودته من مصر، اضطر إلى أن يدفع مبلغاً من الفضة إلى ملك الحثيين، لكي يسمح له بدفن زوجته سارة في قبر يقع في مغارة حبرون (مسجد الخليل حالياً). كما أن عيسو بن إبر اهيم اتخذ زوجتين من الحثيين، وهذا ما أغضب أباه وجعله ينصح ابنه الثاني إسحاق بالذهاب إلى بلاد آرام النهرين (حاران) ليتزوج من نسل أخيه ناحور. وأرسل إبر اهيم أحد عبيده ليكون واسطة للزواج وأعطاه خزاماً وإسوارين من الذهب ليقدمها هدية للعروس.

وفي سفر الخروج (الإصحاح 17) ورد ذكر حرب جرت بين العماليق وبني إسرائيل في زمن

موسى عليه السلام، ولكن لم ترد أي إشارة عن نوع المعدن الذي استعمله المحاربون في صنع السيوف. وفي الإصحاح (25) من السفر المذكور جاء ذكر الهدايا الواجب تقديمها إلى الرب، وهي تتألف من ذهب وفضة ونحاس واسمانجوني وأرجوان وقرمز وجزع. وكان على بني إسرائيل أن يصنعوا أيضاً تابوتاً لحفظ كتاب العهد (صحف موسى) ومائدة من خشب السنط، على أن تغشى سطوحهما من الداخل والخارج بصفائح من الذهب النقي، وأن يزين التابوت بإكليل من الذهب. وأن يصنعوا منارا (شمعدانا) من ذهب نقي يحمل سنة شعب. كما جاء وصف للمسكن (خيمة الاجتماع) الذي يجب أن يضم عشر شقق مبنية من البوص المبروم، ويعلوه خيمة تصنع من شعر الماعز، وأعمدتها من النحاس...

وجاء في الإصحاح (28) من سفر الخروج أيضاً: على بني إسرائيل أن يصنعوا ثياباً وأطواقاً وسلاسل من الذهب، لهارون وبنيه، لتقديسهم، وليكونوا كهنة لهم (وهم اللاويّون). وأما الثياب فيجب أن يصنعها حانك حاذق، من ذهب وفضة، و(تزيّن بأحجار) اسمانجوني وأرجوان...

وفي الإصحاح (31): كنم الرب موسى قائلاً: "إني دعوت صائيل بن أورى بن حور أن يعمل من الذهب والفضة والنحاس مخترعات، وأن ينقش الحجارة للترصيع". وقد قام هذا الصانع (الحوري) بحياكة ثباب هارون وبنيه، كما قام بصنع التابوت والمائدة والمنار، وغيرها من الأدوات والأواني الثمينة.

وفي الإصحاح (32): إن بني إسرائيل، لما أبطأ موسى بالنزول إليهم (وهم في صحراء التيه) قالوا لأخيه هارون: تم فاصنع لنا ألهة تسير أمامنا. فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في أذان نسائكم وبناتكم وأتوني بها، فصنع منها عجلاً مسلوكاً. فقالوا هذه ألهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر".

وهذا القول يؤكد أن بني إسرائيل كانوا يعبدون العجل أبيس (Apis)، الذي كان أحد الألهة المقدسة في مصر، وأنهم لم يكونوا موحدين قبل خروجهم منها.

وفي الإصحاح (31) من سفر العدد: "كلم الرب موسى قائلاً: انتقم لبني إسرائيل من المديانيين"، ذلك لأن أهل مدائن صالح قد تحرشوا ببني إسرائيل ونهبوا بعض أموالهم عند خروجهم من مصر.

وبعد أن قام جنود إسرائيل بتنفيذ الانتقام، وقضوا على جميع الذكور الأحياء من أهل مدين، أتـوا الى موسى والعازر الكاهن (ابن هارون) وإلى جماعة بني إسرائيل بالسبى والغنائم.. فقال العازر للجند الذين ذهبوا للحرب: هذه فريضة الشريعة التي أمر بها الرب موسى: الذهب والفضـة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص، كل مايدخل النار تجيزونه في النار فيكون طاهراً. وأما كل مالا يدخل النار فتجيزونه في الماء، وتغسلون ثيابكم في اليوم السابع، فتكونون طاهرين، وبعد ذلك تدخلون المحلة.

وبعد ذلك أحصيت الغنائم، ثم قسمت المواشي والسبايا على المحاربين، وعلى اللاويين الحافظين

﴿ وَهُمُ الْمُورِ الْمُعَلِِّينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَلِِّينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَلِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِي

لشعائر الدين. أما الذهب وكان يضم أساور وخواتم وأقراط وقلاند، أخذها موسى واليعازر، وأتيـا بهـا إلى خيمة الاجتماع.

إن وجود هذه الكمية الكبيرة من الذهب، في مدائن صالح، بالإضافة إلى أنواع المعادن المختلفة، المهمة في الصناعة، يدل على التقدم الحضاري لسكان تلك المنطقة التي تقع شمال الحجاز. علما بأنه لم يرد في التوراة خبر يبين الطرق التي اتبعت في تصنيع تلك المعادن. وقد ظهر الإسرائيليون في جميع حروبهم كغزاة وقتلة ومخربين للحضارة أكثر منهم بناة ومبدعين.

اليونانيون يقتبسون العلم والصناعة من مصر وبلاد الشام:

إن أقدم مؤلف تاريخي محفوظ حتى الأن، ويتكلم على بلاد اليونان، هو الإليادة والأونيسة. وتنسب هاتان الملحمتان إلى شاعر ضرير يدعى هوميروس، وقد خلّد بهما الحرب التي قامت بين أثينا وطروادة. أما تاريخ هذه الحروب فقد جعلها بعضهم نحو عام 1280ق.م، وأرجعها بعضهم الأخر إلى عام 180ق.م، علماً بأن البناء الفني واللغوي لهاتين الملحمتين، كما يقول المؤرخ سارتون، لم يك من المستطاع قبل القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد. كما أنه يوجد فارق زمني بين الملحمتين لايقل عن قرن أو أكثر.

لقد بنى هذا المؤرخ استنتاجاته المذكورة على إحصاء قام به، فقد وجد أن الإلياذة تذكر البرونز (14) مرة، مقابل كل مرة يذكر فيها الحديد. أما في الأوذيسة فالبرونز يذكر أربع مرات لكل مرة يذكر فيها الحديد، مع العلم أن جذور الملحمتين نبتت في عصر البرونز، ولكن هوميروس في الأوذيسة كان أكثر معرفة بالحديد وأقل معرفة بالبرونز من هوميروس الأول، وعلى هذا الأساس فرض سارتون وجود مؤلفين أحدهما للإلياذة ودعاه هوميروس الأول، والآخر ألف الأوذيسة ودعاه هوميروس الثاني.

الإلياذة والأوذيسة لهوميروس:

أسطورتان يونانيتان، غنيتان بالمعلومات التي تدل على حضارة اليونان، وصلتها بالحضارات الشرقية، وخاصة المصرية والكنعانية البابلية. ويقول المؤرخ سارتون "إن الموازنة بين التقافة الهوميرية وغيرها من التقافات الشرقية ليست عادلة، لأن العصر الهوميري لم يستمر إلا بضعة قرون قليلة، على حين أن نمو التقافات الأخرى ظل مستمراً عشرة أمثال مدته".

لقد أنشأ الكريتيون مدناً ومستعمرات كثيرة على السواحل الغربية للأناضول، وظهر فيها علماء وحكماء منهم طاليس المالطي (ت545ق.م). والذي يقال بأن أصله فينيقي، وتلقى علومه في مصر، وكذلك فيثاغورس الساموسي (ت503 ق.م) الذي زار مصر أيضاً، واطلع على الطرائق الهندسية والمعمارية فيها.

لقد جاء في الإلياذة قصة حرب نشبت حـول مدينـة إليون، في أرض تسمى طروادة، تقع في

الزاوية الشمالية الغربية من الأناضول.

أما سبب هذه الحرب فهو أن باريس Paris، ابن ملك اليون، قام باختطاف هيلانة زوجة مانيلاوس ملك اسبارطة. ولما كان أغاممنون، ملك مسنيا، أخا لمانيلاوس، ورئيسا لتحالف ملوك الإخائيين الذين كانوا يحكمون بلاد اليونان، لذلك استنفر الجميع لمعاقبة الطرواديين. وقد اشتهر من هؤلاء أوذيس (اوعوليس) الذي حذق فنون الحرب ووضع الحيل، ومنها حصان طروادة. كما اشتهر أخيل كبطل صنديد، ولكن قلبه كان خالياً من الرحمة.

لقد ورد في الإليادة فقرات عديدة تدل على أنواع المعادن التي عرفها الإغريق، والأدوات والأسلحة التي صنعت منها.

-كان الحداد هيفست Hephaestus الإسبارطي الأعرج يقوم بصنع مراجل تحملها ثلاث عجلات ذهبية لتكون في دار الأرباب. كما كان يقوم بصنع التروس والدروع والرانين (جران) لحفظ الساقين. وكان يصنع في الكور برونز أ وقصدير أ وذهبا وفضة. كما صنع درعاً وخوذة بحافة من ذهب، وصنع رانين من القصدير.

وصنع ترساً لأخيل Achille يتألف من خمس طبقات، طبقتان من البرونز، وطبقة من الذهب وطبقتان من القصدير. وبعد مقتل بتروكل Patroclus دعا أخيل قومه إلى سباق مركبات وخيول، تكريماً لصديقه الميّت، وأحضر من سفنه كثيراً مما يصلح للجوائز، كالمراجل والأباريق المصنوعة من البرونز والحديد.

كما جرى سباق للجري قدمت فيه جوائز للفائزين، كان أولها كأس للمزج يتسع لسنة مكاييل، ليس لحسنها مثيل، صنعت في صيدا وجلبها تجار فينيقيون.

وفي مباراة رمي القرص الحديدي قام أخيل، وبيده قرص ثقيل من الحديد وقال: "إن هذا القرص هو لمن يبعد مرماه فيفوق الجميع، أما جائزته فهي كمية من الحديد تكفيه خمسة أعوام للعمل في مزارعه مهما اتسعت".

أما في مباراة رمي السهام فكانت جائزة الأول عشرة فؤوس من الحديد ذات حدين، وجائزة الثاني عشرة فؤوس ذات حد واحد. وفي مباراة رمي الرماح كانت الجائزة رمحاً طويل السنان، ومرجلاً لم تمسّه نار، يساوي ثمن ثور.

وبعد مقتل هكتور، ابن الملك بريام Priam ملك طروادة، بيد آخيل الذي احتفظ بجثته، أرسل الإله زوس Zcus رسولاً إلى بريام يقول له: اذهب واحمل معك من الهدايا القيمة مايرضي قلب آخيل، وارجع بجثة ولدك، فأمر بريام أن تهيأ مركبة وتملأ بمجموعة من الدثارات والبسط والجلابيب، مع عشر وزنات من الذهب، ومرجلين بهيين لهما قوائم ثلاث، وأربعة سيوف وكأس ليس لجمالها نظير ". ولانعلم مم كانت تصنع تلك المراجل والسيوف، والغالب أنها من البرونز.

أما الأوذيسة فهي الملحمة الثانية التي تنسب لهوميروس أيضاً، وفيها وصف لعودة الإغريق إلى

بلادهم، بعد رحلة دامت عشر سنوات، لاقوا خلالها كثيراً من المشاق والأهوال في البر والبحر. وكلمة الأوذيسة مشتقة من أوذيس (أو عوليس) ملك ايتاكا، وقد خلده هوميروس في ملحمته وجعله خير أبطال الإغريق وأشجعهم.

تزوج أوذيس قبل سفره من بنلوب، ورزق منها ولدأ اسمه تليماك. وحينما عاد أوذيس إلى بلده وجد حشداً من الخطّاب قد اغتتموا فرصة غيابه، وصغر سن ولده، فأخذوا يبذرون أمواله ويلحون على امرأته للزواج من أحدهم.

ونجد في الأونيسة وصفاً رائعاً لعادات الإغريق وطرائق معيشتهم وآداب سلوكهم. أما الإلياذة فهي الملحمة التي مثّلت استعداد الإغريق للحرب، وتصرفهم في القتال حتى نوال النصر.

لقد ورد في الأوذيسة عدة فقر فيها ذكر لأنواع المعادن المستعملة منها: أن أوذيس كان يدخر في منزله قبل سفره الذهب والبرونز والثياب، إلى جانب زيت الزيتون والنبيذ. وأن أغنياء الإغريق كانوا يتناولون النبيذ بكؤوس من الذهب، ويشربون الماء بأباريق من ذهب أيضاً، ويغسلون أيديهم بطست من الفضة.

كانت مصر منذ القدم مصدراً لمعدن الذهب، ويدل على ذلك أن مانيلا ملك إسبارطة صادف بطريق الرجعة ريحاً شديدة قرب جزيرة كريت، فساقت سفينته إلى مصر. وهناك تاه طويلاً بين قوم غرباء اللسان، لكنه استطاع أن يجمع كثيراً من الذهب عن طريق عمله كعبد أسير.

كانت مدينة صيدا مركز أ لصناعة الأدوات الفضية والذهبية المتقنة، وقد تردد ذكرها عدة مرات في الملحمتين، منها أن الملك مانيلا، حينما أراد أن يكرم تلماك، قدم له كأساً من الفضة وحواشيها من الذهب، وقال له إن ملك الصيداويين كان قد أهداها إليه.

واشتهر الغينيقيون بصنع سلاسل ذهبية تحمل كرات من الكهربا، وكان خطاب بنلوب يقدمون لها هدايا، منها اثنا عشر مشبكاً ذهباً، واثنتا عشرة قلادة، وسلاسل فيها خرزات من الكهربا. وهي غالباً من صنع الفينيقيين أيضاً.

دراسات تاريخية حديثة ورد فيها ذكر المعادن:

نظمت جامعة حلب بالتعاون مع جامعة روما نــدوة عالميـة، بتــاريخ 17-1992/10/20، حــول تاريخ سورية والشرق الأدنى خلال الفترة الممتدة من 3000 إلى 300 سنة قبل الميلاد.

وكان من بين البحوث التي ألقيت موضوع عنوانه: "رسائل جديدة عن تاريخ حلب وشمال سورية في القرن الثامن عشر قبل الميلاد"، ألقاه الدكتور فيصل عبد الله، من جامعة دمشق، وجاء فيه مايلي:

كانت مدينة ليمار (مسكنة) المنفذ التجاري لمملكة حلـب (يمحـاض) علـى الفـرات. وكـانت دولـة قطنة في منطقة حمص المنافس المزمن لمدينة حلب. وقد توطّدت العلاقات بين مملكتي حلب ومــاري

بعدد من التحالفات الحربية، في مواجهة أعداء حلب في الجبال الشمالية وأعداء ماري في الشرق. وكانت حلب منطقة عبور نحاس الجبال إلى ماري، والمجلوب غالباً من قبرص عن طريق قطنة وفلسطين. وبما أن حلب كانت أيضاً بحاجة للقصدير لإنتاج البرونز كانت تستورده عن طريق تل ليلان (شبات انليل)، وإما بواسطة مملكة ماري".

لقد ورد في بعض النصوص المكتشفة في هذه المملكة وصدف رحلة قام بها ملكها الأموري زمري ليم، حفيد حمورابي، إلى حلب، من أجل تكريم إلاهها أدو، مصطحباً معه أواني ثمينة من ذهب وفضة. كما ورد في رسالة أخرى اكتشفت حديثاً وصف الهدايا التي قدمت إلى الأميرة شبتوبنت ياريم ليم ملك حلب، وزوجة زمري ليم ملك ماري، وكان من بينها خاتم ذهب وزنه ست مثاقيل.

لقد أنقن سكان ماري صياغة المعادن الثمينة وسكب البرونز، بدليل أن زمري ليم قد أرسل إلى حلب عن طريق إيمار (مسكنة) تمثالاً للإله بعل، وطبلاً كبيراً من البرونز بلغ من الضخامة والثقل ماجعل نقله من الصعوبة بمكان.

الرحلات الاستكشافية وأثرها في علم الجغرافية:

يقول المؤرخ فيليب حتى، في كتابه تاريخ لبنان: "كانت كنعان خلال الألفين الشالث والثاني قبل الميلاد جسرا عبرت عليه البضائع المصرية في طريقها إلى بابل، والبضائع البابلية إلى مصر. ولم يقتصر الأمر على البضائع المادية بل تعدّاها إلى انتقال الأفكار والتيارات الحضارية. كما أن الإغريق اقتبسوا من الفينيقيين الكثير: في الدين، واللغة، والزراعة، والصناعة، وفن العمارة، والأدب، والكتابة".

من المسلّمات التاريخية أن أكثر الشعوب القديمة كانت تشكل قبائل مفطورة على حبّ التنقل والترحال منذ فجر التاريخ. ويعود ذلك لعدة أسباب أهمها: طلب الرزق من ماء وغذاء، وطلب الأمان، خشية الحيوان والإنسان، والفرار من أمكنة ينتشر فيها الوباء أو الكوارث الطبيعية.

ولكن حينما استقرت أكثر تلك القبائل في أماكن آمنة، يتوافر فيها الرزق والعمل، فقد أصبح للانتقال والرحلات الفردية أو الجماعية غايات أخرى، أهمها التجارة، وطلب العلم، وحب الاستطلاع.

ويقول العالم سارتون إن عدداً من المؤرخين اليونان قاموا برحلات عديدة القصد منها جمع معلومات خاصة بالجغرافيا البشرية، منهم هيرودوت وكيتسياس وهانون في القرن الخامس ق.م، وكسينوفون وبتياس في القرن الرابع ق.م، وباتروكليس السلوقي وإراتوستنيس البرقاوي في القرن الثلث ق.م.

ترك هؤلاء العلماء والرحّالون مذكرات عن أسفارهم البرية والساحلية، ورسوماً وخرائـط بدانيـة استفاد منها السلوقيون والرومان في فتوحاتهم، كما استفاد منها علماء التاريخ والجغرافية العـرب فيمـا بعد.

لقد اعترف الفيثاغوريون، حوالي القرن الخامس ق.م، بكروية الأرض، ولما جاء إراتوستتيس

هههالتران العربي هههههههههههههها أد.محمد نهير البايا المههههههههها

وضع خريطة للعالم مستنداً إلى أسس الجغرافية الرياضية المبنية على كروية الأرض. ولد هذا العالم في برقة نحو عام 273ق.م، وتلقى علومه في أثينا، ثم انتقل إلى الاسكندرية بدعوة من بطليموس الثالث، حيث قضى بقية حياته، وتوفي عام 192 ق.م. ترك هذا العالم عدة مؤلفات أهمها (مذكرات جغرافية) استفاد منها العالمان سترابون وبطليموس القلوذي. وتتألف هذه المذكرات من ثلاثة أجزاء: الأول: مقدمة تاريخية. والثاني: قياس الأرض والجهات المسكونة منها. والثالث: الخرائط وتقويم اللهدان.

استرابون Strabon:

ولد نحو عام 64ق.م في مدينة أماسيا عاصمة مملكة بنطس الواقعة على البحر الأسود. وهو من أسرة آسيوية يونانية، تعلم في روما وأتم دراسته في الاسكندرية. وتعود شهرته لتأليفه كتابين: الأول مفقود وعنوانه (دراسات تاريخية)، والثاني موجود وهو موسوعة بالجغرافية الطبيعية والبشرية، تعد من أهم ماتركه اليونانيون من تراث علمي، وهي تتألف من (17) جزءاً.

قام استرابون بعدة رحلات شملت كثيراً من بقاع آسيا الصغرى واليونـان وايطاليـا ومصـر والحبشة. أما بقية البلاد التي تكلم عليها، وهـي الهنـد وفـارس وبيـن النهريـن، فقد كـانت مقتبسـة مـن مؤلفات من سبقه من الرحّالين وأصحاب الأخبار.

ألم استرابون بالعلوم الفلكية التي عرفها المصريون والكلدانيون. وذكر أن الفينيقيين من أهل صيداهم الذين نقلوا مبادئ علم الفلك والحساب إلى بلاد اليونان. عاش استرابون في زمن الامبراطور الروماني أوغسطس، وتكلم على مناجم الفضة الموجودة في إقليم لوريون في اليونان، وعلى صناعة الزجاج المتقدمة في الإسكندرية.

ويقول العالم سارتون: إن كتباب استرابون، على الرغم من ضخامته وأهميته، فإن الحكومة ورجال الأعمال في الامبر اطورية الرومانية لم يستفيدوا منه. والسبب في ذلك ربما يعود لإخفاء أصحاب هذه الموسوعة النسخ الأولى منها لاستخدامها في أغراضهم الخاصة. وإن المؤرخ يوسفوس كان أول من اطلع على هذا الكتاب، واستفاد منه في القرن الأول للميلاد، بينما لم يعرفه أحد من علماء اليونان ولا بطليموس القلوذي و بليني الروماني.

وفي العصر البيزنطي (القرن السادس للميلاد) اكتشف أول مخطوطاته، ثم ظهرت له بعد ذلك ثلاث مخطوطات أخرى باليونانية. ثم ترجمت أجزاؤه إلى اللاتينية على دفعات، وأخيراً طبع بكامله باللغتين اليونانية واللاتينية بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر للميلاد.

لقد بقي كتاب استرابون مجهولاً عند المؤرخين والجغرافيين المسلمين، علماً بأنه ترجم إلى الفرنسية في خمسة مجلدات، بأمر من نابوليون بونابرت، كما ترجم إلى الإنكليزية، وظهر في ثمانية مجلدات بين عامى (1917-1932)م.

بطليموس القلوذي (Ptolémus Claudius):

فلكي يوناني، ولد في مدينة تدعى (Ptolmais Hermius)، التي كانت في مصر العليا خلال القرن الثاني بعد المديلاد. اشتهر بتأليف كتابين: الأول في الرياضيات وعلم الفلك، عرف باسم الماجسطي (Almageste)، والثاني في وصف الأرض وعرف باسم الجغرافية (Géography). ترجم الأول إلى العربية في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور ترجمة أبي يحيى البطريق، ثم أعاد نقله فيما بعد الحجاج ابن مطر وغيره.

أما كتاب الجغرافية فقد استخرج منه محمد بن موسى الخوارزمي كتابه المعروف باسم (صـورة الأرض من المدن والجبال والبحار والجزائر والأنهـار)، وذلك فـي خلافـة المـأمون (196–218هـ) الذي و لاه رئاسة بيت الحكمة.

. ويقول المرحوم الدكتور عمر فروخ إن الجغرافيين العرب صنعوا صورة للأقاليم (خريطة) تظهر عليها المناطق والبلدان، موقعة بأسمائها العربية. غير أن حدود القسم المعمور من الأرض، وكذلك حدود الأقاليم، كانت كلها حسب ماوردت في كتاب المجسطي لبطليموس.

تطور علم الجغرافيا في الدول العربية الإسلامية:

اندفعت القبائل العربية منذ ابتداء الدعوة الإسلامية إلى خارج الجزيرة، فتعرفت بلاداً وأقاليم وشعوباً غريبة عنها، علماً ولغة وديانة وغذاء وملبساً. وعلى الرغم من التفاوت الحضاري بين القبائل العربية وتلك الشعوب، فقد استطاع الإنسان العربي المؤمن أن يسيطر على تلك الشعوب بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يأخذ عنها ويستفيد منها كثيراً من الأمور المادية والعلمية، وأن يمنحها السلام والإيمان بالوحدانية، والعدالة الاجتماعية.

وفي القرن الثاني للهجرة تحولت الدولة الأموية إلى امبراطورية مترامية الأطراف، تضم دويلات عديدة، تخضع السلطة الخلافة الدينية والزمنية. وأصبح من الواجب أولاً: معرفة حدود تلك الدول وحمايتها من هجمات الأعداء.

تُانياً - التجسس على الأعداء، وتسقط أخبر اهم، وذلك كما فعل الرشيد حينما أرسل رجيلًا إلى بلاد الروم، كما ذكر ابن حوقل.

ثَالثًا - توزيع القوات المسلحة حول المناطق السكنية المكتظة لحمايتها من اللصوص وقطاع الطرق، وذكر أسماء المدن والقرى والمسافات الفاصلة بينها.

رابعاً – معرفة مصادر المياه من أنهار وينابيع، ومنحدرات السيول، وذلك لتنظيم السقاية والـريّ، والبريّ، والبريّ، والبشاء السدود عند الحاجة لـدرء أخطار الطوفان وتنظيم ري الحقول، وتعداد المحاصيل الزراعية والحيوانية، وأنواع النقود والأوزان المتداولة.

خامساً - تعيين المواقع التي توجد فيها المعادن (المناجم)، للاستفادة من الفلزات والأحجار

الكريمة التي تحتوي عليها، مع بيان الجهات التي تستفيد منها.

سادساً - من المعلوم أن المناطق التي كان يقطن فيها أهل الذمة، كان سكانها يخضعون لنسريبة الجزية، كما أن أراضيهم المزروعة كانت تخضع لضريبة الخراج، لذلك كان على دواوين الدول الإسلامية إحصاء السكان وتقدير الغلات لمعرفة وجباية الأسوال المترتبة على تلك المناطق، ومن ثم أداء نققات الخلافة والإمارات، ومايحتاج إليه مال المسلمين.

المعادن والتعدين في الجزيرة العربية:

يقول الدكتور جواد على في كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام:

"لقد اكتشفت المعادن، وخاصة الذهب والفضة والنحاس، في الجزيرة العربية منذ أقدم العصور. وبما أن الصناعة لاتقوم إلا في مكان تتوافر فيه إمكانياتها، من استقرار وأمن وتوافر المواد الأولية ووجود حاجة إليها، لذلك فإن حالة البداوة التي كانت سائدة في بطن الجزيرة العربية لم تكن مؤهلة لاستثمار تلك الخامات. إلا أن الأقطار الواقعة في أطراف الجزيرة بدأت فيها صناعة التعدين في وقت باكر".

واليمن كانت في مقدمة الأقطار العربية بهذه الصناعة. وقد انتشرت منتجاتها المتعددة في جزيرة العرب وخارجها، فزادت صادراتها على وارداتها. وهذا ماجعل المستوى المعاشي فيها أعلى من المستوى المعاشي لبقية الأقطار العربية، وكانت تجارة المعادن الخام والمصنعة، وتصدير الأحجار الكريمة، من أكثر نشاطاتها.

كانت الصناعة في الجزيرة العربية محتقرة بصورة عامة، وهي عمل لايليق بالعربي الحر أن يقوم به، لهذا قامت الصناعة على أكتاف العبيد والخدم والأعاجم.

كان الرقيق منتشراً في كل مكان من الأقطار العربية، ولاسيما في الأماكن الزراعية ومراكز التجارة والتعدين. وكان يشكل اليد العاملة المتوافرة الرخيصة والماهرة. ويُطلق اسم أهل القرى على المستوطنين الذين يعثرون على منجم (معدن) فيقومون باستثماره. وهم يعملون لحسابهم إذا كانوا لحراراً، أو يعملون لحساب مالكهم إذا كانوا عبيدا.

وكان للرقيق عدة مصادر، فالأبيض منه كان يأتي من العراق وبلاد الشام. والأسود من سواحل أفريقية والحبشة وبلاد النوبة. وكانت أسواق اليمامة والبحرين وعمان مصدراً للرقيق الوارد من السند والهند.

يعد العالم اليمني أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، والمعروف بـابن ذي الدّمنـة، أحد رواد علم الجيولوجيا والمعادن في بلاد اليمـن. وإلـى جـانب ذلـك كـان شـاعراً ومؤرخـا ومفكراً متعدد الجوانب، وكثير المؤلفات. ولد الهمداني في مدينة صنعاء عام 280هـ/ 893م. وفي عام 292هـ/905م انتقل من صنعاء إلى صعدة، حيث أمضى أربعة عشر عاماً مع أبيه الذي كان يتاجر بالذهب، ويعمل في حمل الحجاج والتجار إلى مكة من صعدة. وفي إحدى تلك الرحلات جاور الحسن بمكة سنة 306هـ، وأمضى فيها نحو سبع سنوات، تلقى خلالها علوم اللغة والنحو والحديث والجغرافيا. ثم عاد إلى صعدة بعد أن اقتنى كتبا ومؤلفات عربية هامة ودواوين شعر. ويقال أنه وقف على نقول عربية مبكرة لكتب بطليموس.

وبعد عودة الهمداني إلى بلده بدأت المرحلة المهمة في حياته وهي تتجلى في التفكير والدراسة والتأليف. وفي عام 319هـ/931م غضب عليه الإمام الناصر لدين الله أمير صعدة، بسبب وشاية نقلها اليه بعض الشعراء المنتسبين إلى عدنان، ومنهم أيوب بن محمد البرسمي الذي ينسب إلى الفرس. فأدخل الهمداني السجن وبقي فيه مقيداً حتى عام 321هـ/933م. وبعد أن أطلق سراحه خرج من صعدة إلى صنعاء. ويقول القاضي محمد بن علي الأكوع إن وفاة الهمداني كانت بين عامي (360-360)هـ، وأنه صنف مالا يقل عن عشرين مؤلفاً في مختلف العلوم، بقي منها:

- 1-كتاب الإكليل: ويعد أشهر مؤلفات الهمداني، وهو موسوعة تتألف من عشرة أجزاء. تكلم فيها عن أنساب بني جمير، وفضائل القحطانيين، وسير ملوكهم وأساطيرهم، ومدافنهم وكنوزهم، واللسان الحميري، وحروف المسند. وقد حقق طبع أربعة أجزاء من هذه الموسوعة، وهي الأول والثاني والثامن والعاشر، وبقية الأجزاء الأخرى مفقودة.
- 2-كتاب صفة جزيرة العرب: وهو كتاب حقق وطبع عدة مرات، كان آخرها عام 1403هـ/1983م.
- لقد تجلت في هذا الكتاب المواهب التي تحلَّى بها الهمداني كعالم في الجغرافيا والتاريخ والأثار واللغة العربية وعلم الأنساب.
- 3-كتاب الجوهرتين: وهو من أجود مؤلفات الهمداني وأنفعها، ويتعلق بمعدني الذهب والفضة، من حيث تعدينهما وصياغتها، وكل مايتصل بهما. وقد ترجم الكتاب إلى الألمانية ونشره باللغتين الأستاذ كريستوفر تول Christopher Tool في مدينة إبسالا بالسويد عام 1968م.

لقد استعان الخلفاء والأمراء منذ القرن الثالث للهجرة ببعض العلماء الذين قاموا برحلات ووضعوا مؤلفات في علم الجغرافية الطبيعية والإنسانية. وأطلق على تلك المؤلفات أسماء شتى منها: صورة الأرض- المسالك والممالك- حدود العالم- حدود الجزيرة العربية- من أثار البلاد وأخبار العباد- كتاب البلدان- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. كما أطلق على بعضها اسم الرحلات، مثل رحلة ابن بطوطة، ورحلة ابن جبير، وكان القصد منها حب الاطلاع على مافي الكون من عجائب المخلوقات ومصادر الثروات وغرائب العادات. وبما أن أسماء كثير من البلدان قد دخلها التصحيف والتحريف، أو لم تعين أماكنها وحدودها بدقة، لذلك أصبح من الضروري وضع مؤلف يشمل الأسماء

الصحيحة لجميع البلدان التي ورد ذكرها في الكتب المذكورة. وهذا مافعله عبد الله البكري (ت 487هـ) في معجم ما استعجم من البلاد والأماكن، وياقوت الحموي في معجم البلدان، الذي ألفه سنة 625هـ.

لقد توالى ظهور المؤلفات التي تحمل اسم المسالك والمصالك منذ القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد. وهي مؤلفات تبحث بصورة خاصة في الجغرافية الوصفية، وتبيّن حدود الأقاليم السبعة على الكرة الأرضية، وماتضم من بلدان ومدن وقرى، مع تقدير المسافات التي تفصل بينها، وتصف الجبال والأنهار والمحاصيل الزراعية والصناعية التي تنتجها. وتعدد مساجدها وكنائسها وأسواقها ومناجمها، وتتكلم أحيانا على علمانها وحكامها. وأول هذه المؤلفات ماكتبه جعفر المروزي (ت274هـ/887م) ولكن كتابه في المسالك والممالك لم يزل مفقوداً. ثم ظهر كتاب يحمل الاسم نفسه، مؤلفه أحمد السرخسي، قرأ علي يعقوب بن إسحاق الكندي، وعلم المعتضد بالله العباسي ونادمه، وولي الحسبة والمواريث، وسوق العبيد ببغداد. مات مقتولا (895هـ/889م).

- ولعبيد الله بن خرداذبة كتاب في المسالك والممالك اقتبسه من كتاب الجغرافية لبطليموس. وهو مؤرخ وكاتب أصله من خراسان (ت 300هـ/913م). تكلم في كتابه عن بلاد فارس ومقاطعاتها ومدنها. وتحدث فيه عن طريقة جمع الذهب في منطقة جيحون فقال: ويخرج أهلها على شط النهر ويمدون مسوك (جلود) الماعز، الشعر إلى أعلاه. ويشدونها ويستوثقون منها بوضع الأوتاد حواليها. وينزل أحدهم في النهر على الشط فينضح الماء على تلك المسوك، ويقوم آخر بمسح الماء من المسوك ويرسله، والماء كدر تقيل. فإذا عرفوا أن أصول الشعر قد امتلات من الرمل والذهب أخذوه وبسطوه على وجه الأرض في عين الشمس، حتى إذا جف نفضوه على انطاع مفروشة وأخذوا منها الذهب.

ولإبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، والمعروف بالكرخي (ت 346هـ/957م) كتاب أيضاً في المسالك والممالك، تكلم فيه عن صفات بلاد الإسلام وغيرها. وكان وصفه موجزا أحياناً، ولكن ملاحظاته كانت في معظم الأحيان دقيقة وقيمة، وقلما نقل عن غيره. لقد سعى الاصطخري في كتابه للكلام على بلاد الإسلام التي زارها، فوضع لكل إقليم من أقاليمها خريطة، تبين توزع مدنه وقراه وجباله وسهوله وأنهاره. وذكر مواردها الطبيعية وصناعاتها التقليدية، والأماكن التي تستخرج منها المعادن والأحجار الكريمة. فتكلم مثلاً على جبل رضوى، وقال إنه يقع بالقرب من ينبع، وهو جبل منيف ذو شعاب. ومن واديه يحمل حجر المس إلى سائر الآفاق، وبواسطته تصقل السيوف والأحجار.

- ومن الرحالة المشهورين الذين وضعوا كتاباً في المسالك والممالك أبو القاسم محمد بن على النصيبي، والمعروف بابن حوقل. كان تاجراً رحل إلى بغداد، ثم دخل المغرب وصقليا، وجاب بلاد الأندلس وغيرها من بلاد الإسلام، وكان حياً عام (367هـ/978م). عاش في ظل الدولة الحمدانية، وبدأ سفره من مدينة السلام عام 331هـ وكان غرضه كما قال تصوير الأقاليم التي لم يذكرها أحد،

وقد فصل بلاد الإسلام إقليماً إقليماً وصقعاً صعقاً.... وكورة كورة، وتكلم عليها مستوفياً الأغراض المارة الذكر.

أما المعادن والأحجار التي تكلم عليها، ففي اليمن، ومن جبل شبام، يؤخذ الجمست والعقيق والجزع. وإلى غربي بحر القلزم يوجد أرض قفرة تنتهي ببادية البجة، وهي تقع بين الحبشة وأرض النوبة ومصر، وفيها يكثر الذهب. كما يؤخذ هذا المعدن أيضاً قرب أسوان. وعلى بعد عشر مراحل يوجد حصن على البحر يسمى عيذاب، يجتمع به الناس الذين يقومون بجمع الذهب.

وفي أرض فارس تكثر بصورة عامة المعادن، من فضة وحديد وأنك (قصدير) وكبريت، مما يغني أهلها عن جلبها من البلاد الأخرى. كما يكثر الحديد بجبال اصطخر، وفي قرية من كورة اصطخر، تعرف بدار أبجرد، يكثر معدن الزئبق. وعند الكلام على مقاطعة كرمان قال إن جبال القفص غنية بالحديد، وإنه بالقرب من جبال البارز يوجد شعب يعرف بدرفارد غنى بمعدن الفضة.

لقد اعتمد ابن حوقل في جمع هذه المعلومات كما يقول من سادة النواحي ووكلاء التجار وقراءة الكتب. وكان لايفارقه كتاب ابن خرداذبة وكتاب الجيهاني وتذكرة أبي الفرج قدامة بن جعفر.

أما الجيهاني فهو أبو عبد الله أحمد بن محمد. أديب وكانب، تولّى الـوزارة للسـامانيين ببخـارى. من أثاره كتاب الرسانل، العهود والخلفاء والأمراء، كتـاب المسـالك والممـالك، وكـان معـاصراً لابن حوقل.

وفي الأندلس كانت هنائك دوافع كثيرة لتشجيع طلاب العلم على القيام برحلات خارج بلدهم. لقد عاشوا في ظل اضطرابات اشتدت بصورة خاصة قبيل حكم المرابطين وبعد حكم الموحدين. وكان منهم محمد بن عبدون الجبلي، وأبو العباس النباتي، وابن ميمون، وابن البيطار وغيرهم. كما كان منهم من اكتفى بالتجول في أنحاء الأندلس فوصف مدنها وقراها ومعادنها. وكان من أشهرهم عبيد الله بن عبد العزيز البكري. وهو لغوي ومؤرخ وجغرافي، ولد بقرطبة وتوفي فيها عام (1094هـ/1094م). له عدة مؤلفات منها معجم ما استعجم من البلدان، بالإضافة إلى كتاب المسالك والممالك، والذي انتهى من تأليفه عام (460هـ/1058م).

اقتبس البكري كثيراً من المعلومات التي أوردها في كتبه من مؤلفات المؤرخ والجغرافي الكبير أحمد بن محمد الرازي الكناني، الذي عاش في قرطبة وتوفي فيها عام (344هـ/955م). كما اعتمد البكري على تاريخ الطبري، ومروج الذهب للمسعودي، وخاصة بما يتعلق بتاريخ الجزيرة العربية وجغر افيتها الطبيعية. ويعتبر كتاب المسالك والممالك لمحمد بن يوسف الوراق أحد المصادر الأساسية للبكري، بالنسبة إلى كل مايتعلق بالمغرب العربي. ومن مراجعه أيضاً كتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته، الذي وصف بلاد قمار (الهند الصينية)، وكان حياً سنة 290هـ.

وتكلم البكري على ما يوجد في البلاد الواقعة وراء النهر من معادن الذهب والفضة والزنبق بمــا لايقارن به مدن في سائر البلاد كثرة. وفي الشمال المغربي وعلى ساحل البحر ولد في مدينة سبتة أشهر جغرافي عربي، هـ و محمد بن عبد الله الحسني، والمعروف بالشريف الإدريسي. تلقى علمه في قرطبة، وطاف في أنحاء الأندلس، ثم انتقل إلى جزيرة صقلية، حيث اتصل بملكها النورماندي روجر الثاني، الذي حكم من عام (562هـ/166هم) إلى عام (585هـ/188هم). وألف لـه كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الافاق)، الذي يعتبر من أفضل ماكتب عن جغرافية أوربة بصورة عامة والأندلس بصورة خاصة.

يتألف كتاب نزهة المشتاق المطبوع من جزأين، تكلم الإدريسي في مقدمة الجزء الأول عن الكرة الأرضية من ناحية شكلها وبحارها وأقاليمها فقال: "والأرض في ذاتها مستديرة، لكنها غير صادقة الاستدارة، فمنها منخفض ومنها مرتفع، والماء يجري من أرفعها إلى أخفضها، والبحر المحيط يحيط بنصف الأرض إحاطة متصلة". ويشبه الإدريسي الكرة الأرضية ببيضة مغرقة في الماء إلى نصفها، والماء في طست، هو البحر المحيط...

ويشكل القسم المسكون من الأرض ربعها، وقد قسمه العلماء إلى سبعة أقاليم، كل إقليم منها مار من المغرب إلى المشرق فوق خط الاستواء. وليست هذه الأقاليم بخطوط طبيعية، لكنها خطوط وهمية محدودة.

اطلق الإدريسي على البحر المتوسط اسم البحر الشامي، واعتبره خليجاً يتفرع من البحر المظلم عن طريق المجاز (مضيق جبل طارق) المسمى بالزقاق، وعلى طرفيه من ناحيتي الشرق والغرب الجزيرة الخضراء وجزيرة طريف. وعلى الساحل الإفريقي تجاه الجزيرة الخضراء تقع مدينة سبتة. ويقول الإدريسي إنه يصاد فيها شجر المرجان الذي لايعد له صنف من صنوف المرجان المستخرج من جميع البحار. وفي مدينة سبتة سوق لتفصيله وحكّه وتقبه وصنع خرز منه، وهو ينظم عقودا تحمل إلى غانة وبلاد السودان.

ثم تحدث الإدريسي عن المعادن (المناجم) المنتشرة في إسبانية فقال: وعلى ضفة نهر تاجه الشمالية تقع مدينة لشبونة، وفي جنوبها يقع حصن المعدن، وسمى بذلك لأنه عند هيجان البحر يقذف بالذهب والتبر. فإذا جاء الشتاء قصد أهل تلك البلاد هذا الحصىن لجمع الذهب. وفي جبال طليطلة يوجد معادن الحديد والنحاس، ولكن الإدريسي لم يتكلم على الصناعة فيها بالتفصيل، لأنها كانت قد وقعت بأيد الإسبان. لكنه تكلم على مدينة المرية وقال إنه كان يصنع فيها أصناف الأدوات النحاسية والحديدية. وبالقرب من النهر الكبير تقع قرية بطرنة، وبها معدن التوتيا الذي فاق جميع معادن التوتيا طعاً.

ثم تكلم الإدريسي عن مدينة فرنجولش التي تقع على نهر ملبال، المار من السبيلية وقرطبة. وهي مدينة حصينة وعلى معد ستة عشر ميلا مدينة حصينة وعلى بعد ستة عشر ميلا منها حصن قسطنطينة وبجبال معادن الحديد الجيد الذي يرسل إلى جميع أنحاء الأندلس. وبشمال مدينة قرطبة، وعلى بعد مرحلة منها، يوجد الحصن الذي به معدن الزئبق، ومنه يصدر الزئبق والزنجفر (كبريت الزئبق الطبيعي) إلى جميع أقطار الأرض.

ويقول الإدريسي إن هذا المنجم كان يخدمه أكثر من ألف عامل، فقوم للنزول فيه وقطع الحجر، وقوم لنقل الحجر، وقوم لناء الأفران وقوم للناء الأفران والحرق. ويذكر الإدريسي أنه رأى ذلك المنجم، وأخبره العمال أن عمقه من وجه الأرض إلى أسفله يبلغ أكثر من (250) قامة.

ثم انتقل إلى جزيرة سردينية فقال إنها كبيرة القطر كثيرة الجبال قليلة المياه. وأهلها في الأصل روم أفارقة متبربرون ومتوحشون. وفيها معادن الفضة الجيدة، ومنها تخرج إلى كثير من بلاد الروم.

وحينما زار الإدريسي صقلية، وصف بالتفصيل أهم معالمها، وذكر أماكن وجود مناجم الحديد والذهب بالقرب من مدينة مسيني، ففي الجبل المجاور لها يوجد معدن الحديد، وعلى بعد مرحلة منها منجم للذهب. وقال عن جزيرة كريت إن فيها معدن الذهب أيضاً، ولكن لم يعين مكانه والاصفائه وكميته. ولما وصل إلى جزيرة قبرص وصف أرضها وأشهر مدنها، وقال أن فيها معادن الزاج المنسوب إليها لكنه لم يتكلم على طريقة تحضير النحاس فيها.

ثم انتقل الإدريسي إلى الساحل السوري فعدد مدنه المشهورة وهي طرابلس الشام وجبلة وانطرسوس وبلنياس وحصن المرقب واللاذقية. وعين مسافات بعد بعضها عن بعض، لكنه لم يذكر شيئاً عن صناعاتها المعدنية. وتابع طريقه إلى جزيرة ابن عمر ومنها إلى أرمينية، حيث يوجد قرية عامرة تدعى التل، وهي على نهر سريط، وعلى بعد مرحلة من جبل جوغان، وهناك منجم حديد جيد يستخرج منه الكثير ويحمل إلى الأفاق. وحينما وصل الإدريسي بكلامه إلى مدن العراق ذكر أن في القادسية يصنع الزجاج، وفي جبل ماردين يوجد جوهر الزجاج الجيد.

وتكلم بعد ذلك على بلاد خراسان، وكانت مدينة نوقان دار الإصارة، وبها قبر علي بن موسى الرضا رضي الله عنه. وإلى جانبها جبل منه يقطع البرام لسائر البلاد، وفيه معادن الفضة والنحاس والحديد. ويوجد بها من أحجار الفيروزج والخماهن والدهنج والبلور الشيء الكثير.

المؤلفات العربية في كيمياء المعادن:

إن أول اهتمام ظهر للعرب في علم الكيمياء كان أوائل العصر الأموي، وذلك على يد خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (ت705هـ/705م). لقد سعى هذا الأمير للحصول على مؤلفات يونانية وقبطية، تكلم أصحابها على صنعة الكيمياء. واستعان براهب اسكندراني يدعى اصطفان لترجمة ماجاء فيها وشرحه. أما صنعة الكيمياء فكان يراد بها قديماً تحويل المعادن البخسة، كالزئبق والنحاس وغير هما إلى فضة أو ذهب. وفي كتاب الفهرست لابن النديم أسماء عدد كبير من قدماء الفلاسفة وأصحاب الصنعة، ممن تكلموا عليها في مؤلفاتهم، والتي نذكر منها: كتاب الاسكندر في الحجر، كتاب اصطفان، كتاب سرجس الراهب، كتاب وسيموس، كتاب أرس الأكبر والأصغر ... ويقول ابن النديم إن خالد بن يزيد، بعد أن أتقن الصنعة، وضع عدة مؤلفات منها: كتاب الحرارات، الصحيفة الكبرى والصغرى. كما يوجد له كثير من الشعر

في هذا المعنى، رأى منه ابن النديم نحو خمسمائة ورقة.

لقد انتشرت كتب الصنعة في مصر، منذ القرن الثاني بعد الميلاد، كما ثبت وجود ترجمات سريانية لبعضها في بلاد الشام، تعود للقرن السادس الميلادي. وكانت هذه المؤلفات تضم كثيراً من الأوهام والطلاسم والرموز الغامضة.

وبعد وفاة خالد بن يزيد ظهر عدد من الباحثين العرب والمسلمين، ممن اهتم وألّف بهذه الصنعة، وقال بإمكان تحقيق الهدف منها، وذهب أخرون إلى أنها مستحيلة التحقيق، ولاجدوى من ممارستها.

وفي أواسط القرن الثاني للهجرة اشتهر كيميائي آخر مارس هذه الصنعة هو أبو عبد الله جابر بن حيان الكوفي (ت196هـ/813م). لقد أنكر بعض أهل العلم، وكبار الوراقين، كما يقول ابن النديم، وجود جابر بن حيان. وقال بعضهم إنه إذا كان له حقيقة فإنه لم يصنف إلا كتاب الرحمة، وأن المصنفات الكثيرة التي تنسب إليه قد وضعها بعض الناس ونحلوه إياها.

وهذا القول بعيد عن الواقع، لأن جابر بن حيان كان تلميذاً للإمام جعفر الصادق رضمي الله عنه، وله مصنفات كثيرة ومشهورة. وعلى الرغم من أن أكثرها قد فقد إلا أنه بقي منها نحو ثمانين كتاباً أو رسالة، وهي محفوظة في أشهر مكتبات العالم، ومدونة باللغة العربية أو اللاتينية، أو بكليهما.

لقد ذكر جابر بن حيان في مؤلفاته التجارب والطرائق والقواعد التي استند إليها في بحوثه، بطريقة تتراوح بين الغموض والوضوح. لذلك نصحه أستاذه ومرشده، الإمام جعفر، أن يلجأ إلى ايضاح أفكاره، وهذا ماذكره في كتابه (الرحمة). أما الإنجازات التي تمت على يد جابر في حقل الكيمياء فمنها تحضير بعض الحموض: حمض الخل (روح الخل) - حمض الكبريت (زيت الزاج) - حمض كلور الماء (روح الملح) - حمض الأزوت (الماء القوي). كما اهتدى لتحضير الماء الملكي، وهو المذيب العام لجميع المعادن، من مزج الماء القوي مع روح الملح، وهي الطريقة التي لم تزل مستعملة حتى اليوم.

لقد اعتمد جابر على النظرية التي تقول بأن جميع المعادن ناشئة من اتحاد الزنبق مع الكبريت داخل الأرض. وعلى الرغم من بطلان هذه النظرية إلا أن جابر استطاع في أثناء التجارب التي قام داخل الأرض. وعلى الرغم من بطلان هذه النظرية إلا أن جابر استطاع في أثناء التجارب التي قام بها على هذين العنصرين أن يحصل على أشكال الكبريت المختلفة، وهي الأصغر والأبيض والأحمر. وأن يحصل على الزنجفر الأصفر (Shg2) بطريقة اصطناعية، وأن يحصل أيضا على أكسيد الزئبق الأحمر. وهي سلسلة من العمليات الكيماوية التي أمكن بها الحصول على مركبات معدنية ذات ألوان مختلفة، مما جعل جابر وغيره من أصحاب الصنعة يتابعون تجاربهم، دون كلال أو ملل، للحصول على الغضة والذهب بطريقة اصطناعية.

ومن أعلام الكيمياء، الذين ظهروا في العصر العباسي، أبو بكر محمد بن زكريا الرازي. وهو طبيب بيمارستاني، قام باجراء التجارب العملية للحصول على الإكسير، وهي المادة الأساسية واللازمة لتحويل العناصر الخسيسة إلى ثمينة. كما قام بتأليف عدة كتب وصف فيها تجاربه والأدوات

التي استعملها في.عمله. ومن أشهر مؤلفاته كتاب سر الأسرار، الذي تكلم فيه على تصنيف وتحضدير العقاقير الكيماوية، وهو يعد بحق واضع أساس المداواة الكيماوية Chimiotherapic.

لقد قسم الىرازي كتابـه المذكـور إلـى ثلاثـة أبـواب: معرفـة العقـاقير –معرفـة الألات– معرفــة التدابير – وقسم العقاقير إلى ثلاثة أقسام: عقاقير ترابية (أي معدنية)– عقاقير نباتية– عقاقير حيوانية.

وقسم العقاقير الترابية إلى ستة أقسام: أرواح (أي مواد طيارة)- أجساد (أي معادن)- أحجار (أي فلزات)- زاجات وشبوب (أي أملاح متبلورة)- بوارق (مساحيق تساعد على صهر المعادن)- أملاح (وهي المواد الناتجة من تبخر المياه الطبيعية).

ويمتاز الرازي، من جميع من عمل في علم الصنعة من العرب والمسلمين، بوضوح تفكيره وشرحه، وابتعاده عن استعمال الأحاجي والرموز، واعتماده على التجربة وإن كان ذلك يتعارض مع فكرة الإكسير.

أما الأعلام الذين ناهضوا فكرة الصنعة والإكسير فأشرهم:

الكندي وابن سينا.

كان أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (ت252هـ/866م) فاضل دهره، وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها. ألف فيها عدداً كبيراً من الكتب والرسائل. ومن العلوم التي طرقها صنعة الكيمياء، وله فيها عدة رسائل منها: رسالة في تلويح الزجاج، رسالة في أنواع السيوف والحديد، رسالة فيما يطرح على الحديد والسيوف حتى لاتتثام ولا تكلّ، رسالة في كيمياء العطر.

كان الكندي من أشد المعارضين والمنتقدين لأصحاب الصنعة، الذين يدّعون إمكان تحويل المعادن بعضها إلى بعض وله في ذلك رسالة في التنبيه على خدع الكيميائيين، وأخرى في بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخدعهم.

ومن العلماء الذين شاركوا الكندي رأيه ببطلان صناعة الذهب الرئيس ابسن سينا (ت428هـ/1037م). فقد ذكر في كتابه الشفاء فصولاً تتعلق بالكيمياء، تكلم فيها على تكوين الصخور والأحجار، وخواص المعادن والفلزات، وهو من أنصار النظرية التي تقول بأن الفلزات تشكل من اتحاد الزنبق بالكبريت، ولكن هذا الاتحادية في باطن الأرض، ولكي تتحول المعادن بعضها إلى بعض لابد من مرور آلاف السنين عليها.

يقول العالم الفرنسي برتلو: إن الفلاسفة والعلماء اليونان لم ينتبهم أي شك بصحة النظرية التي تقول بإمكان الكيميانيين الحصول على الذهب بالطرق الاصطناعية. إلا أن التشكك ظهر خلال القرن الثاني عشر للميلاد وذلك بعد أن ترجمت مؤلفات ابن سينا إلى اللغة اللاتينية، علماً بأن هذه المؤلفات كانت مبنية على الفلسفة والمنطق، دون أي تجربة أو برهان عملي.

المؤلفات العربة في علم الجواهر والأحجار:

اتند اهتم بعلم المعادن، البخسة منها والثمينة، فئتان من العلماء العرب والمسلمين، الأولى منهما هي فئة الكيميانيين أصحاب الصنعة، وقد جننا على ذكر بعضهم، والفئة الثانية هم الجوهريون، أي الخبراء بفحص المعادن، وتقييم اللآلئ والأحجار الكريمة، من نواحي الجودة وكشف الغش والثمن. ومن المؤلفات التي ظهرت في علم الجواهر والأحجار أربعة كتب مشهورة باللغة العربية وهي:

1-كتاب الجواهر والأشباه، ليعقوب بن إسماق الكندي (ت252هـ/866م).

3-كتاب أز هار الأفكار في جواهر الأحجار، لأبي العباس التيفاشي (ت651هـ/1253م).

4-كتاب نخب الذخائر في أحوال الجواهر ، لمحمد بن إبراهيم بـن سـاعد الأنصــاري، المعروف بابن الأكفاني (ت749هـ/1348م).

كان الكندي، كما يبدو من مؤلفاته، خبيراً بالمعادن، الثمين منها والمبتذل، ولربما كانت رسالته في الجواهر والأشباه، وكذلك رسالته في السيوف وأجناسها، من أوائل ماكتب باللغة العربية في هذا القبيل. ولكن للأسف الشديد لم يعثر من الرسالة الأولى إلا على بعض الاقتباسات والمقتطفات، التي أوردها البيروني في كتابه (الجماهر في معرفة الجواهر). أما الرسالة الثانية فهي من أكثر المخطوطات العربية شهرة في الوقت الحاضر، وقد اكتشفها ولخصها في المجلة الأسيوية البارون بورغستال سنة 1854م. ثم حققها ونشرها عبد الرحمن زكي في مجلة كلية الأداب، جامعة فؤاد الأول سنة 1952م. والسبب في شهرة رسالة الكندي في السيوف أنها أول مرجع عربي تكلم فيه صاحبه عن صناعة السيوف في البلاد العربية والإسلامية. لقد عدد الكندي من أنواع السيوف خمسة وعشرين نوعا، وأطلق على كل نوع اسم المكان الذي كان يصنع فيه. فهناك السيوف اليمانية، والقاحية والهندية، وهي سيوف كريمة (عتيقة)، ثم السيوف الخرسانية والبصرية والدمشقية والمصرية والكوفية، وهي سيوف (مولدة)، أي أن فولاذها مصنوع حديثاً. ويصنع السيف العربي من الحديد، السيف الأنيث (النرماهن)، أو يصنع من الفولاذ، أو من الحديد ورأسه من الفولاذ ويقال له السيف الأنيث (الشابرقان). لقد وصف الكندي مختلف أنواع السيوف، وميز بين السيوف التي تطبع من حديد معمول في المكان نفسه، كما تحدث عن صناعة السيوف، ولكن وصفه لطريقة العمل لم يكن كافياً لمعرفة أسرار هذه الصناعة.

أما البيروني فهو يعد من غير شك رائد من كتب، في علم الجواهر والأحجار، خلال العصر العباسي. وقد قام بتحقيق كتابه (الجماهر في معرفة الجواهر)، ونقله إلى اللغة الإنكليزية، المستشرق الدكتور فرتيز كرنكو. وتم طبعه في مدينة حيدرأباد في الهند عام 1938م.

يضم كتاب البيروني خمسة وأربعين بحثاً عن اللَّالين والأحجار، منها سبعة معادن، وخمسة

عشر مركباً معدنياً. أما المعادن فهي: الزئبق، الذهب، الفضة، النحاس، الحديد، الأسرب (رصاص)، الخارصيني (توتيا). ففي مبحث الزئبق وصف طريقة استحصاله من مناجمه، إذا كان حراً، ووصف طريقة تحضيره من أحجاره الحمر (Sing) بالتقطير، وفي مبحث الذهب تكلم على جمعه بين الرمال، وتنقيته وفصله عن حبيبات الرمل بوساطة الزئبق.

ويعود الفضل للبيروني بتوضيح طريقة تحضير الفولاذ المصهور بالبواتق، والذي كانت تصنع منه السيوف الدمشقية، وهو يقول بهذا الصدد: "ولمزيد بن علي، الحداد الدمشقي، كتاب في وصف السيوف التي اشتملت رسالة الكندي على أوصافها. ابتدأ العمل بنصاب الفولاذ، وصنعة الكور، وعمل البواطق ورسومها، وصفة أطيانها وتطيينها. ثم أمر أن يجعل في كل بوطقة خمسة أرطال من نعال الدواب ومساميرها، المعمولة من النرماهن، ومن كل واحد من الروسختج والمرقشيتا الذهباني، والمغنيسيا الهشة وزن عشرة دراهم. وتطين البواطق، وتودع الكور، ويملأ فحما وينفخ عليه بالمنافيخ الرومية، كل منفاخ برجلين، إلى أن تذوب وتدور. وقد أعد له صدراً فيها إهليلج وقشر رمان وملح العجين وأصداف اللؤلو بالسوية مجرسة، في كل صورة أربعين درهما، يلقى في كل بوطقة واحدة. ثم ينفخ عليها ساعة نفخاً شديداً بلا رحمة. ثم تترك حتى تبرد..."

ولكن من الفائدة أِن نذكر ، عند الكلام على تحضير الحديد والفولاذ، جابر بن حيان. ذلك لأنه سبق البيروني بما يقرب من قرنين، فألف (كتاب الحديد)، وهو مخطوط يوجد منه ثلاث نسخ موزعة في باريس وطهران ودبلن. وفيه وصف لاستخراج الحديد الصب من خاماته، بالإضافة إلى وصف صنع الفولاذ بالصهر داخل البواطق. وقد تكلم على ذلك بإسهاب كل من الأستاذين: الدكتور أحمد يوسف الحسن رئيس جامعة حلب، ومدير معهد التراث العلمي العربي سابقاً، والدكتور عفيف البهنسي المدير العام للمتاحف والآثار في سورية سابقاً.

أما المركبات المعدنية التي ورد ذكرها في كتاب (الجماهر في معرفة الجواهر) للبيروني فهي:

اللازودر: فحمات النحاس الطبيعية Azurite، السنباذج: مسحوق من بلورات الألومين Emeri، الدهنج: فحمات النحاس المائية Malachite، المرتك) أكسيد الرصاص الأصفر الدهنج: فحمات النحاس المائية Malachite، الأسرنج: (أو السيليقون) أكسيد الرصاص المناطب Litharge Pbo، الأحمر Minium pb3 o4، الأحمر Minium pb3 o4، المخاطيس: Marcgassite الاسفيداج: خلات الرصاص (الصنعي) - فحمات الرصاص (الطبيعي)، الخماهن: حجر أسود قابل للجلي Chalcopytite، المرقشيتا Fc s2.

الزجاج: سليكيات الصوديوم والبوتاسيوم، البورق: بورات الصوديوم المائية Borax، البلور: الطبيعي (كريستال)، البلور الصنعي الزجاج مع أوكسيد الرصاص.

التنكار: بورات الصوديوم الطبيعية Tincal، المينا: تستحصل من معالجة الرمل بأكسيد معدنى

泰泰泰 التر المسربي 泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰

Email نطرون: فحمات الصوديوم المائية Natron الشبه: خليط نحاس مع توتيا أو رصاص Laiton، الاسفيدوري: النحاس الأبيض (خليط النحاس مع الفضة)، الصفر: خليط نحاس مع قصدير Bronze، التوبال: خبث المعادن الذي يطفو على وجهها، أو يعلق في قبة الكور عند صهرها، الطاليقون: خليط من النحاس مع توبال النحاس فيه سمية.

مما تقدم يتبين لنا أن علم المعادن والتعدين يعتبران من العلوم المهمة التي مارستها الشعوب التي كانت تقطن في مصر والشام وبلاد الرافدين، منذ أقدم العصور. وبما أن تاريخ التكنولوجيا، الذي يضم هذين العلمين، لم يكتب بصورة علمية واضحة، لأن ذلك يكشف عن أسرار صنعات سعى أصحابها لإخفائها، لذلك قام بعض المستشرقين، منذ قرن ونصف تقريباً بدراسة ونشر بعض المؤلفات العربية التراثية المتعلقة بهذه العلوم. ولكن العمل لما يزل يحتاج لمتابعة وتعمق، علماً بأن الباحث في علم التكنولوجيا يجب أن يتوافر فيه شرطان:

> الأول: أن يكون ضليعاً من اللغة العربية وملماً باللغات اليونانية والهندية والفارسية. والثاني: أن يكون اختصاصياً بمادة البحث.

ان كتاب الجماهر في معرفة الجواهر، تبين بعد طبعه أنه يحوي كثيراً من المصطلحات والجمل المبهمة، والأخطاء الناجمة عن التصحيف والتحريف، لذلك لابد من إعادة النظر فيه، علماً بأن البيروني كان على اطلاع تام على اللغة العربية والفارسية والهندية، ولكنه لم يكن ملماً باليونانية.

ملزمة هي كتاب قديم، وقصتها

د.عبد السلام العجيلي

في المورد العرب في الوروبا ضيفًا على المؤتمر ومحاضراً فيه. وكان ذلك الحضور فرصة في أوروبا ضيفًا على المؤتمر ومحاضراً فيه. وكان ذلك الحضور فرصة طبية للتعارف وللقاء زملاء لي من الأطباء العرب المقيمين في عديد من البلدان الأوروبية. من بين هؤلاء كان الدكتور سعيد العزاوي المقيم منذ سنين كثيرة في مدينة دورتمند، في غربي ألمانيا، جراح قلب في مشافيها. وجمع بيني وبين الدكتور سعيد انتماؤنا الفراتي، هو من دير الزور وأنا من الرقة، فساقنا ذلك إلى التحدث عن بلدتينا في الماضي والحاضر، قلت له إن الرقة، في الماضي، خربت ولم تعد مسكونة وذلك بعد هجمات المغول عليها. أولى الهجمات كانت لجيوش هولاكو، وآخرها لجيش تيمورلنك. وقد أرخ الأقدمون الهجمات الأخيرة التي دمرت المدينة دماراً كاملاً بكلمة "خراب"، الني تساوي بحساب الجمل 883، الحين هجرت المدينة ولم يعد يقطن فيها ساكن، وظلت هذه حالها ما يقارب خمسة قرون، فلم الحين دوردها إلا في نهاية القرن التاسع عشر.

كل هذا قلته لزميلي الدكتور سعيد العزاوي فيما تحدثنا به في جلساتنا في أمسيات انعقاد المؤتمر.

قال لي الدكتور سعيد: هذا صحيح فيما يتعلق بغزوات التتر وتخريبهم الرقة. ولكن مدينتك لم تختف من الوجود تماماً بعد انسحاب جيوش المغول من الديار الشامية. عندي كتاب لرحالة ألماني يتحدث فيه مؤلفه عن زيارته للرقة في آخر القرن السادس عشر، وفي عام 1575 على التحقيق، ويقول عنها إنها كانت مسكونة في ذلك الحين، وإن حامية تركية كبيرة تعسكر فيها وتقوم فيها بمهمة حماية سكانها وبحفظ الأمن في المناطق التي تحيط بها.

هذا الذي سمعته من الدكتور العزاوي كان جديداً على، إذ ساق إلى معلومات تخالف ما كنت

هِهِ البَرِ الْمَعْدِينِ هِهِهِهِهِهِهِهِهِهِ السَّامِ العَدِينِ هِهِهِهِهِهِهِ السَّامِ العَدِينِ هِهِهِ

أحفظه عن تاريخ بلدتي. استفهمت منه عن الكتاب الذي يذكره، وعن مؤلفه، وعما إذا كمان يمكنني الاطلاع عليه.

أخبرني بأن المؤلف هو الدكتور ليونهارت راوفولف، طبيب رحالة زار بلاد الشرق الأدنى وطبع كتابه عن مشاهداته فيها في عام 1582. كما أخبرني بأنه هو، أعنى الدكتور العزاوي، يملك نسخة من ذلك الكتاب في طبعته النادرة التي يصعب فهم محتواها على القارئ الألماني اليوم. ذلك لأن لغة الكتاب هي اللغة الألمانية التي كان الناس يتكلمونها قبل أربعة قرون. ما قاله لي زميلي كان شينا شانقاً لي، ومهماً فوق ذلك.

قلت له هذا، فوعدني بأن يرسل إلي عند عودته إلى دارتموند بصورة للصفحات التي تكلم فيها الدكتور راوفولف عن الرقة وعما رأه فيها وعما جرى له عند مروره بها.

وقد وفى الدكتور سعيد بوعده لي، فجاءتني منه ملزمة مصورة من كتاب الدكتور راوفولف.

جاءتني هذه الملزمة بعد أكثر من سنة من تلاقينا في باريس. ولم يكن ذلك عن إهمال منه أو نية خلف في ما وعد، ولكنه شاء أن يُصحب الملزمة بترجمة لمحتواها إلى اللغة العربية فاستغرقت هذه الترجمة من وقته ووقت قرينته الألمانية، على ما ذكر لي في رسالته، أكثر من عام لصعوبة فهم ما كتبه الدكتور راوفولف بلغة كانت مستعملة قبل أكثر من أربعمائة عام. وقد صدقته في هذا. إذ إني حين عرضت الملزمة على العاملين في معهد غوته في دمشق اعتذروا عن عدم تمكنهم من فهم ما تتضمنه لقدم لغتها. وقد استعنت بترجمة الدكتور العزاوي، على عموميتها واختصارها، فاقتبست منها مقاطع ضمنتها محاضرة ألقيتها في مهرجان الفرات للثقافة والتراث الذي أقيم في بلدتي، الرقة، في منتصف أيلول 1998. إلا أني ظللت حريصاً على أن أحصل على ترجمة كاملة ومفصلة لهذه الملزمة، كمقدمة للبحث في أمر ترجمة كتاب الدكتور راوفولف بكامله.

كان لا بد للمعرفة الكاملة لمضمون هذه الملزمة من أن يترجم ما فيها من لغته القديمة المكتوب بها إلى ألمانية عصرية. وقد تطوعت لأداء هذا سيدة ألمانية هي زوجة قريب لي حين زرت هذا القريب في مدينتهما فيرزبورغ، في ألمانيا. وعلى أن هذه السيدة تعمل معلمة للغة في مدارس بلدتها فإنها، مثل غيرها، لم تستطع فهم لغة الملزمة فعهدت بها إلى زميل لها، وهو أستاذ جامعي متخصص. قام هذا الأستاذ بالترجمة إلى اللغة الحديثة وتاقيتها أنا في العام الفائت. وكنت في هذه الأثناء قد عثرت في أحد المراجع في مكتبتي على عنوان كتاب الدكتور راوفولف المستخلصة منه هذه الملزمة. إنه عنوان مكون، على الأسلوب المتبع في تلك الأيام، من عدة سطور تؤلف عرضاً لمحتويات الكتاب المعنون بها، ونصه هو الآتى:

(الوصف الحقيقي لرحلة تصلح لتكون في هذا الزمن مدخلاً إلى بـا٠: المشرق التي تضم سورية، وبلاد العرب، وما بين النهرين، وبلاد بابل وآشور، وأرمينية. الخ، المتميزة والكثيرة الموارد)

هذه هي الترجمة التقريبية التي قمت أنا بها لعنوان الكتاب. أما الملزمة نفسها فقد تفضل الصديق الكريم المهندس عبد الله الحجار بترجمة محتوياتها من اللغة الألمانية الحديثة إلى لغتنا العربية، وهي ما تتضمنه الصفحات التالية من هذا المقال.

من مدينة الرقة وموقعها والإعلام أيضاً عن انسحاب ملك العربية واتحاده مع الأتراك والتصادم أو "الزعل" الذي حصل لنا مع الجمركي

الفصل الثالث

. تقع الرقة وهي مدينة في بلاد الرافدين داخل منطقة الصحراء العربية على نهر الفرات العظيم بين سلسلتي جبال بحيث لا يمكن رؤيتها إلا بالوصول إليها. وفيها قصر يسكنه Sangiachen متصرف تسلم جميع المدينة مع Spacchis 1200 (سباهي) تحت وصاية السلطان التركي.

بنيت هذه المدينة على نحو سيء وحُميت بسور ضعيف، وقد بنيت بعد سقوط المدينة القديمة الته كانت تليها بالنسبة إلى مجرى النهر حيث يشاهد سور المدينة المنهار مع بقايا أخرى من السور والأقواس التي ما زالت قائمة، وما زال قائماً بناء عال يقدم إطلالة جيدة (مثل الأشياء المخربة جداً والمستعملة) للتفتيش عن مثله.

ويجعلنا نفترض أنه في الزمن القديم قد سكنها وملكها ملوك وأصحاب أراض وبين هذه الخرانب والمدينة الجديدة ما زال هناك قصر قديم محمي بشكل جيد من الاحتلال التركي لأنه يقع بين فارس والعربية أمام القوى الخارجية ليحميها بالكامل من الأذى.

وفيما عدا ذلك فقد دمرت المدينة القديمة كلها، وسويت بالأرض بحيث لا يوجد مكان أفضل من هنا ليتدرب فيه الأتراك على الركض والطعن كما رأيتهم عدة مرات يتدربون وأنا جالس على السور القديم.

ولمسح هذه المدينة قام التتر مع ملكهم هو لاكو Haalcno باحتلالها والسيطرة عليها عام 1260 كما أخذ مدينة حلب وقلعتها بعد ذلك بقليل وذلك بمساندة أيتون Aylon ملك الأرمن ومساعدته. ويعتقد بعضهم أن هذه هي المدينة القديمة المسماة الرها Rhages وسميت كذلك إديسا Edessa التي أرسل إليها طوبيا الذي يخاف ربه Tobias ابنه من نينوى إلى صديقه الطيب غابل Gabel ليسترجع النقود التي استعارها منه، لكن هذه المدينة تبعد عن نهر الفرات مسيرة يوم وتقع داخل أرض تكاد يستحيل احتلالها.

بعد أن انتهينا من ذلك ظهر رجل الجمرك (الجمركي) على الحصان على حافة النهر وطلب من

الرجل التركي على السفينة الأخرى تسليم بضاعته وطعامه ومستلزماته Bögen فامتنع هذا بشدة (لأن مثل ذلك لم يحصل من قبل أبداً). فوقعا لذلك في خصام بحيث إنهما شهرا السلاح الواحد أمام الأخر ولما لم يتدخل أحد بينهمــا لتهدنتهمـا كــادا يصـــلان إلــى التصـــادم والمعركــة المباشــرة. لكـن الجمركــي تصرف بحكمة وأظهر احتراماً لأننا مع بضاعتنا لم نصل بعد إلى Carahemit (المدينة التي تقع على بعد 4أيام سفر من نهر دجلة الهائج) ونصل هنـاك إلـى المـاء. وهنــاك كذلـك الجمـرك يخصــه أيضــاً ويأخذ أكثر مما يفترض أخذه هنا. كما أن التركي لم يعد يزعجـه لأنـه لا يحمـل معـه بالسـفر سـوى الحبوب فقط ولا يريد الانتظار أطول من ذلك فتركه أخيراً يغادر وجاء الاثنان معا إلينا لأنه اعتقد أنه معنا كغرباء يستطيع أن يفرض طلباته على نحو أسرع. وهكذا اضطجع بيننا الليلة بكاملها في السفينة (خوفاً من أن نفرغ جزءاً من البضاعة في الطريق أمامه) وشتمنا بشدة وقال: لأننا غير مسموح لنا بالسفر في هذه البلاد كأجانب فإنه يجب أن يسجننا لأننا جواسيس مثل الحالات الأخرى السابقة. لذلك عنده أسباب موجبة لمصادرة بضاعتنا وإرسالنا كجاسوسين إلى القسطنطينية لنكون عبدين لدى سادته النبلاء والسلطان. ولما أدركنا قراره غير القانوني ومن ثم ظهر لنا احتياله الذي حاوله معنا لم يجعلنـــا ذلك نخاف بل أظهرنا جوازاتنا التي حصلنا عليها من الباشا والقاضي بطب وأريناه إياهما. عندما شاهدهما وأخذهما عرف أنه لا يجرؤ على أن يعارضنا عندها لم يتركنا من دون إظهار سخطه علينــا وبدأ فورا يقاتل جميع التجار في السفينتين ويطلب منهم المال الكثير كرسوم جمركية. وعندما اعترضوا بشدة لم يعط الجمركي أي راحة ولم يقبل أي اقتراح مساومة وعلاوة على ذلك أخرج من السفينة أشجارا ومجاديف ليمنعنا من متابعة السفر وليعذبنا أكثر. لكن التجار وقد عرفوا جدية الموضوع لم يجزعوا وإنما أرسلوا حالاً في الحادي عشر من أيلول أحد رجالنا مع أحد الزنوج إلى كر اهيميت Carahemit إلى الباشا الكبير، وكان ابن الباشا محمد، لإعلامه بهذه الأمور والصعوبات.

وعندما أدرك الجمركي ذلك ركب حالاً مع ابنه متوجهين إلى الباشا. وعندما لم يقابل الباشا (الذي كان في ذلك الحين في مكان آخر وهو Gicslct ويبعد مسافة 3 أيام سفر، تمهل وكان رجلنا أيضا يبحث عنه.

وعاد أدراجه حالاً. ومع أنه لم ير الباشا أعلمنا كذباً أنه بناء على أمر الباشا يجب أن يدفع كل شخص 10 دوقات Ducaten . لكن جماعتنا (Unscrigen) لم يعرفوا أكان ذلك صحيحاً أم لا ولم يتقوا به وقبل أن يدخل الجمركي السفن ويفتشها وضعوا جانباً أفضل وأكبر قسم من البضاعة ودفنوا الكثير في الرمل ليلاً.بحيث إن الأتراك والزنوج مروا عدة مرات جيئة وذهاباً دون أن ينتبهوا إلى البضاعة المختاة:

وجاء الجمركي وتابعه في الصباح الباكر وفتش كل شيء بشكل جدي كما لو كان لديه أمر خاص بذلك لكنه، كما كان متوقعاً، لم يجد شيئاً مما كان يتوقعه. وبينما كان يتابع القيام بواجبه بجدية عاد أخيراً رجلنا مع الجواب بأن الباشا مستاء كثيراً لمعارضة الجمركي بشكل غير مسموح به لأوامر وأنظمة سلطانه الكبير وعرقلة سفرنا هذه المدة الطويلة. لذلك كتبت إلى Sangiachen وطالبته

بدفع غرامة وأن يتكفّل بعدم توقفنا مدة أطول من ذلك وأن يؤخذ الجمركي كسجين ويُرسل إلى القسطنطينية ويقدّم للتحقيق معه، مرة كل 15 يوماً على أمل أن يدفع حياته لقاء أعماله الخاطئة.

بينما كنا جالسين أمام مياه نهر بابل كمساجين ننتظر بصبر حل مشكلاتنا حدث في أثناء هذه العراقيل أن ملك العرب مع أتباعه في 21 أيلول تحرك داخل البلاد بحشد كبير ومن عدة أماكن متجهأ نحو الجنوب ليجد مراعى أفضل للماشية والخيل والحمير والجمال وسواها لتبقى على قيد الحياة، لأنه في بلاده لا يوجد مدن وأسواق وقرى كثيرة ليستطيع أن يسكن مثلنا بمنازل ثابتـة. وليس لديهم زراعة وتجارة وهم مسرورون عندما يكون لديهم حيوانات كثيرة ومراع جيدة لـترعي فيهـا. وعندما يصلون إلى مكان مستنقع صغير ينمو فيه بعض العشب والحشائش ينصبون خيامهم ويبقون هناك إلى أن يحصل نقص في الكلأ فيجبرون على الرحيل مفتشين عن مكان آخر. وعندما يتركون المكان يأخذون معهم عمالهم وخدمهم وحيواناتهم وجميع أغراضهم. كما استطعت أن أر اقبهم هذه المرة. وعندما اقتربت عدة مجموعات كبيرة أغلق الأتراك مدينتهم أربعة أيام أمامهم حتى مر الجميع، وينسحبون على الخيل مع الأكل والعتاد في الأرض وعلى الجمال كذلك ويأخذون معهم منها كميات كبيرة فمثلاً عندما يتحرك الملك هنا وهناك (كما يقول بعضهم) يأخذ معه 150000 جمل. وأنا نفسي شاهدت عدة مرات مسيرة 3-4 ألاف جمل وهـي حيوانـات قويـة وصبـورة وتحمـل حمـولات ثفيلـة، وبدرجات حرارة عالية تبقى من دون ماء للشرب تتحمل 4 أيام. ويترك حراً (فارغاً) مـا بين ساقيها من الأمام والخلف بحيث إن من يسير خلفها في القافلة يجب أن ينتبه كي لا "يتطرش" ويتوسخ، وخيولهم أصيلة وسريعة ومحبة للعمل وتعطى يومياً علفاً للأكل مرة واحدة فقط (على الرغم من أنها محملة تسير طوال اليوم في الصحراء الواسعة).

ويزيلون عادة عنها شعر اللبدة (حول الرقبة) والذنب لتكون عارية تماماً وسطح أقدامها الحافية يبدو مماثلاً لذنب الأسد. أما نساؤهم فيجلسن على حمير صغيرة وكذلك على الجمال العالية مع أو لادهن بصناديق كل ثلاثة أو أربعة معاً. كما يعتنين بأنفسهن فإنهن سمراوات بلون البشرة مثل غجرياتنا تقريباً وأكثر من ربعهن سوداوات. هذا الاختلاف بلون البشرة خاصة يجعلهم يتركون في أثناء تجوالهم أحياناً في الأماكن التي يعيش فيها السود بعض السوداوات ويستبدلون بهن أخريات. ويعيش ملك العرب دائماً في الفلاة وضمن حراسة جيدة ولا يقيم أبداً في مكان مغلق. ومن المؤسف جدا أنه مع ابنه دائماً يجول مثل التتر بحيث إن المرء لا يعرف أحياناً أين يلقاه.

في الصيف يتوجه أكثر نحو الشمال ليتجنب الحرارة الشديدة كما أنه يعود في الشتاء نصو الجنوب ليهرب من البرد وليحصل على شروط إقامة أفضل له ولجماعته. وأدى هذا أحيانا إلى قرب التصادم بين العرب والأتراك إذ إن هناك خصومات بين القوتين أدت إلى القتال والخسائر فيما بينهما.

وعلى الرغم من ذلك (وحسب اعتقادي) يجب عليهما أن يبقيا متحدين ومتفقين ومن الثابت بشكل خاص: إذا هاجم عدو تركيا الكبرى يجب على العرب أن يكونوا حليفاً لها ويساندوها. وكذلك يعتبر التركي ملك العرب كابن عم له ويبرهن أنه صديق جيد بدفع 60000 دوقات (دوقية) سنوياً كمرتب

هِهِ الرَّادُ الْعَرِبِي هِهِهِهِهِهِهِهِهِ مَا العَمَالُ العَمِيلُ العَجِيلُ الْعَجَيلُ اللّهُ الْعَجَيلُ اللّهُ الْعَجَيلُ اللّهُ الْعَجَيلُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

متحقق أو أموال حماية. ومن الأن وصاعداً يرسل التركي إلى الملك الجديد بعد وفاة الملك السابق علماً مع إشاراته كي يقدم له جميع الهدايا في احتفالات الدخول (تسلّم الحكم) ويقوي ويجدد اتحاده القديم معه. ولا يشكل الدين أي دافع أو سبب لأن الشعبين يؤمنان الإيمان نفسه (جميع الاحتفالات التي يعتمدونها في الصلاة وسواها واحدة). ويتخذون بحسب قوانينهم عدة نساء ولا يختارون من المستوى الأعلى بدلاً من مستوى آخر لأنهم يجب أن يشتروهن من أهلهن دائماً. لذلك وهكذا اتخذ ملك العرب ابنة نجار فقير من الرقة زوجة له وأصبحت بمقام عال كالأخريات لديه (مع أنها لم تكن من مستواه). أبوها وأخوها أيضاً كانا شجاعين وغالباً ما كانا يأتيان الينا ليكلمانا ولم يبديا أي شفقة للمعاملة السينة (غير القانونية) التي عاملنا بها الجمركي. ومنشرتهما لا تعمل بالماء كما هو الحال لدينا (مما يعرفون عنه القليل) لكنهما نشرا الخشب بأنفسهما وبأيديهما.

في أثناء مماطلة تأجيل سفرنا الطويل جاء شاب عربي من أقارب ملك العرب المقربين إلى الماء حيث كنا، وكان يتبعه دائماً عشرون خادماً مع أقواسهم ودروعهم. وكان يلف على رأسه عمامة بيضاء جميلة ويلبس رداء صوفياً بنياً بينما كان خدمه يضعون قليلاً من اللباس ومع بعضهم قلنسوات لباد على رأسهم ويلبسون قمصاناً طويلة زرقاء داكنة اللون مع أكمام واسعة أحاطوا بعضها بحزام من الجلد علق به خنجر منحن (معوج) يعتنون بحمله.

في أحد الأيام بينما كان بعضنا في أعلى سور المدينة مجتمعين يرقب بمتعة الوادي الواسع لنهر الفرات الكبير جاءنا الرجل وجلس مع أنباعه مقابلنا وفاجأنا أحد أنباعه بتقديم لحم ممزوج ببازلاء صفراء مجففة تناولنا بعضها بسرور. ولإظهار شكرنا أرسلنا إليه لوزا وتينا وجوزا وحلويات طيبة من حلب لننال حظوة لديه. وهكذا أكل كل منا جزءا من هديته وشربنا من ماء الفرات. وعندما أنهينا الطعام وكدنا نمل أشار السيد إلى عازف الوتر ليعزف على آلته. فسحب آلته (وهي على شكل قيثارة) بقصد أن يسمعنا تقديمات جديدة وخاصة ولما نظرت بإمعان رأيت أوتارا ضخمة مشدودة غليظة كالأسلاك التي شد فيها قوسه، وبدأ يعزف بعض ألحان لغنائه على نحو فني كما يُعتقد.

وقد استغرق ذلك ساعتين تقريباً وكان برأيه ممتازاً لكن الزمن كمان طويـلاً بالنسبة الينـا وقـد سررنا أخيراً عندما توقف عن العزف.

في الجوار (الضاحية) وجدت نوعاً أكازياً Akazicnart بقرون مستديرة وبنية يسميها العرب شوكاً Schamuth في الجوار (الضاحية) Schamuth يحملها Algul إعداد المستوعة المستوعة

مستديرة أو مستريحة .

وما يزيد على نصفها أزهار بشكل نجمة بيضاء مع 6 أوراق مدببة من نوع Ornithogali كل واحد من سوقها خاصة ولم أر أطرافها وجذورها صغيرة وليفية بعضها قليل القساوة وجاف نسبياً. وكل ما تبع كان شبيها بالد Polycnemo Dioscorca أما إذا كان ذلك يتحمل ويبقى فسوف أسأل العلماء وليحكموا على ذلك ما عدا ذلك شاهدت في الذهاب أشجار الطرفاء Tamariskenbäunmo وبعدها نوعاً من Agni casti نوعاً منه الأخرى تماماً لكن أصغر كثيراً وليس لها سوى 3 أوراق دبقة قوية Kiccb blitter وهو هنا ينمو وأهمها ومعظمها يفوح منه رائحة هو Qalega ويسمى لدينا Gcissrauto (نبات التيس) وهو هنا ينمو عالياً بحيث إنني بين الحين والآخر لا أرى سواه وأنا أنظر على مدى أميال من الطريق.

سكان سلسلة الجبال والصحراء الكبرى من خلال مسيرتنا مع عاداتهم القديمة وحياة الفاقة والتعب التي يحيونها

الفصل الرابع

بأمر الباشا القوى والطيب وهو ابن محمد باشا حررنا أخيرا من حجزنا الطويل وغادرنا ظهر 27 أيلول. وسفرنا هو عبر الصحراء الواسعة حيث، وعلى مدى عدة أيام سفر، لم نشاهد ما يلفت النظر سوى أكواخ صغيرة مبنية بفروع الشجر ومغطاة بقماش خشن حيث يقيم الزنوج مع جميع أدواتهم المنزلية يتنقلون تحت حرارة الشمس اللاهبة والمطر والعجاج (الغبار) taubefall والقوى مما جعلنا ندهش كيف يستطيع أناس فقراء مع كثير من الأطفال أن يعيشوا في المناطق الرملية الجافة الخالية من أي شيء يساعد على العيش. لذلك فإن الشعب الفقير قليل اللباس وشديد الجوع غالباً ما يلمحنا من بعيد فيتوجه نحو الماء ويسبح نحونا ليظفر بقطعة خبز. وعندما نرمى إليه ملء قبضتنا من الخبز يتخاطفها الكثيرون بجوع شديد وكذلك السمك ويأكلونها. ويقوم بعضهم بجمع كسيرات الخبز بسرعة ويضعونها في منديل (وهو مربوط مع القميص على الرأس بشكل مضحك) ويسحبونه وراءهم. وبعد سفر طويل في مناطق الصحراء وصلنا أخيراً إلى جبل عـال خشـن وغير مضيـاف حيث لا يشاهد لا مزارع ولا مروج لا بيت أو قصر أو طريق أو ممر كما لو أن الشعب هنــاك ليـس لديه للسكن سوى الأكواخ والخيام كما هو الحال في الصحراء، فالجفاف الكبير والقصط بسبب بقائهم في الجبال ليس طويلا في مكان محدد لم يؤمن لهم سكناً ثابتـاً وهـو يتجولـون هنـا وهنـاك ويهـاجمون وينهبون القوافل ويساعدون أنفسهم كما تعلمون. وهذه الجبال كما أعلمت تمتد حتى نهر الأردن والبحر الميت والبحر الأحمر حيث جبل سيناء وحورب وغيرهما حيث تقع بترا التي سماها النبي أشعياً كذلك. إن العرب الساكنين في هذه الصحراء وخارجها معروفون جداً في رمي القوس والحراب المصنوعة من القصب ويوجد منهم عدد كبير يتقاتلون في الصحراء وهم شعب قديم ينحدر من أبناء اسماعيل خاصة ومن أول أو لاده نبيوط Nabaioth ومنذ زمنه سمى المتخاصمون الأنباط Nabathäer

والأرض ولاية الأنباط كما شهد المؤرخ يوسيفوس في الكتاب الأول الفصل 21 بالكلمات التالية: وأولاد إسماعيل الاثنا عشر الذين ولدتهم امرأة مصرية مثل أمه هاجر Hager (وسميت نسبة لها كذلك هاجر كما نرى في الكتاب الأول من الأخبار Chronik الفصل السادس) المولودة بمصر وكان لهم الأرض من نهر الغرات حتى البحر الأحمر احتلوها وسموها ولاية الأنباط. ومن هؤلاء يمكن أن نعد كذلك المديانيين Madianiter وقد سمى أراضيهم المؤرخ بلينيوس Plinius باسم Schaenitis (إذ هناك عدا الأكواخ والخيام المذكورة لا يوجد أي بيوت للسكن يقيم فيها السكان).

ضمن هذه الشروط يمكن قبول أن النبي أشعيا في الفصل 60 وكذلك داؤود في مزموره رقم 120 يتكلمان عن هذا الشعب، ويذكر خاصة أكواخ كيدار Kedar الذي يقوم حوله ريف يسكنه شعب يقيم في أكواخ وهو من نسل قيدار بن اسماعيل الذي أبوه ابراهيم وكان قد أرسل مع أمه في الصحراء. وهذا يسمى: يؤلمني أن أكون غريباً تحت مسك Mesceh ويجب أن أسكن تحت سقف أكواخ كيدار. في زمننا هذا يحسب العرب مع شعوب أخرى Sarazeren. ازدادوا كثيراً وانتشروا في كل مكان. وكانوا أيام داؤود أقوياء لذلك يصلي النبي القديس بحرارة وجدية (كما يقرأ في المزمور 38): إن السيد (الرب) مثل هذا الخيال يقود رماحاً قصبية وهذا يعني أن الأعداء الذين يقاومون بالجيش والسلاح إقامة كنيسته ورعيته المحبوبة سوف يعاقبهم ويبددهم.

وأعود الأن إلى عملى السابق، سألنا العرب في رحلتنا أين نجد ملككم أو أين يمكن أن نلقاه إذ إن رئيسنا (Patron) تعب كثيراً من كثرة السؤال والكلام. وهنا تظهر الطاعة الكبرى والانتباه الكبير للمرؤوسين (الأتباع) نحو سادتهم. ولما اعتادوا مشاهدتنا كأجانب ومعرفتنا كغرباء غيرنا وضع غطاء الرأس ووضعناه حسب طريقتهم مما جعلنا بشكل رئيسي نستظل من حرارة الشمس اللاهبـة (والتي كانت هنا غير قليلة). ومع ذلك عندما يريد أي شخص الذهاب إلى ملكه ليقدم له رداء أو لتسلم جــواز أو لإعلامه بأمر فإنه من السهل القيام به خلال السفر ولا بد من ايجاده بعد مدة (قريبــا) وهذا اللقــاء تحت الأتراك ليس عظيماً إذ يمكن تنفيذه باسم السلطان التركي إذا رضي المرء بذلك وقد لا يكونون مستعدين لذلك، إلا إذا كان لهم مصلحة أو منفعة أيضاً. وهم يذكرون بالعرفان دائماً سلطانهم الكبير ولا يقولون شيئا عنه وعن مملكته إلا بفخر وشجاعة وخاصة عندما يترقبون القوة العظمي والاعتبار وتوسيع المملكة عندها يشعرون هم أنفسهم بالمجد والافتخار. خلال سفرنا في مناطق الصحراء لم نستهلك كلانا كثيرا من الطعام لأن المدن والقرى تتباعد بعضها عن بعض إذ إن المرء لا يستطيع الوصول إلى حاجته اليومية بسرعة (كما هو الحال لدينا على نهر الدانوب والرايس) ويمكنه الاستراحة بها حسب رغبته. وكان علينا أن نساعد أنفسنا ببعض الطعام مثل اللبن المكثف والجبن والفاكهة والعسل... الخ وبعض الخبز. العسل جيد وبلون أبيض ونأخذ منه معنا في السفر مع القوافل وفي السفن وكذلك قناني جلدية ملأي نتركها بأوعية صغيرة (نأكلها مع الكعك اليابس) ونضع معها بعض قطع زبدة. إن هذا الطعام (الذي طالما تناولناه غالباً) ذكرني بيوحنا المعمدان السابق للسيد المسيح والذي أكل إلى جانب الأطعمة الأخرى في الصحراء العسل وكان ذلك يساعده. ولكننا أردنا

شيئاً ساخناً وحياة أفضل. وأرسلنا بعض العمال (بعدما قام رئيسنا بتوظيفهم) لجلب الخشب وآخرين لحفر حفرة في الشاطئ لتستعمل كفرن لطبخ الطعام، وتناول بعضهم طعاماً من الرز والأخرون من الحبوب المطبوخة كما ذكر أعلاه وكل حسب حاجته. وإذا أرادوا أكل خبز طازج بدلاً من ذلك واحتاجوا إلى أكل الكعك اليابس كانوا يخلطون الماء والطحين ليصبح عجيناً ويعدونه على شكل كاتو بسماكة إصبع ويوضع على النار في الفرن ليسخن ويفرش الفحم كله على الرماد ويترك حتى ينضج. مثل هذه الطبخات كانت جيدة المذاق وطيبة للأكل، وبعض العرب كان لديهم في خيامهم صحون واسعة نحاسية أو من الحجر لصنع الكاتو.

في اليوم الرابع وكان آخر شهر أيلول وصلنا ظهراً إلى آخر الجبل حيث يوجد خارجه وعلى جبل مرتفع قصر عظيم وحصين مبني على شكل مثلث يسميه الأهالي زلبية Scloby . رأسان من المثلث يصلان حتى النهر ويمتد الثالث في أعلى الجبل ويبدو بموقعه وكانه بادن Baden في سويسرا، وعلى الرغم من أنه حالياً مهدم فإنه بسوره ومبانيه الضخمة في الأعلى وفي الطرف المقابل للجبل وعلى طول النهر محصن في اليابسة وقرب الماء والمرور من خلال الأبراج مسدود. كما يقوم في الخارج من الجهة التي يأتي منها القادمون من طرف الجبل بعض بيوت صغيرة أو أبراج صغيرة المحراسة يمكن أن يقدم في كل منها ثلاثة إلى أربعة جنود ويسكنها الأن الطيور والحيوانات البرية. ويشاهد أحيانا في النهر العديد من الطيور مثل مالك الحزين والبط بأحجام كبيرة وجميلة الألوان وانواع أخرى بيض كلها (مثل بجع أرسطو ويسميه بعضه م أونوكروتالي Conocrolali الذي وجهه البجعات Schwänc التي تذكر بشكل خاص بالنبي القديس زفانيا Zephania في ذلك الفصل الذي وجهه وفرض فيه عقاباً على أهل نينوى والأشوريين والزنوج. كما شوهدت طيور سود برقاب طويلة تشبه ما وجدته فيما بعد في رحلتي إلى أرض الميعاد وخاصة قرب أكون Acon وكانت تجلس أفواجاً على صخور ونتوءات البحر وقد عرفها من بعد واعتبرتها نوعاً من نسور البحيرة المحين تجيس أخر يدعى زلبية بالسمك أكثر من الحيوانات الأخرى. وعلى مسافة نصف ميل من الغرات يقع حصن آخر يدعى زلبية بالسمك أكثر من الحيوانات الأخرى. وعلى مسافة نصف ميل من الغرات يقع حصن آخر يدعى زلبية السمك اكثر من الحيوانات الأخرى أعلى شاطئ النهر لذلك لم نتمكن من تمييزها جيداً من الأسفل.

من هذين الحصنين وكيفية حصارهما والاستيلاء عليهما وكذلك عن ملوك العرب وحكمهم وغناهم.. الخ.

كنت أتمنى الحصول على معلومات أكثر لكن اللغة الغريبة التي لم أكن أجيدها عاقتني كثيراً. وإذا كان واقع الحال أنني أفهم نسبياً وأستطيع أن أستعلم عن شيء فلا يتم ذلك من دون خطر كبير كي لا أعد جاسوساً وأوقف (أسجن) مثل الغريب الذي يتعرض سريعاً إلى الشبهة كالأشخاص الذين يتاجرون ويتجولون يومياً عندهم ويكابدون مشقات وأضراراً كبيرة. وخارج الجبل في مقدمة النهر حيث نشاهد حقولاً مزروعة ومنازل للعرب أقام راعينا (معلمنا) Patron مساءً قرب قرية واقعة خلف مرتفع ليزودنا باللحم والبطيخ الهندي (الذي جلب منه إلينا الكثير على الشاطئ) لمتابعة سفرنا. وقد ظهر الأن أنه بينما كان أحد الجنود الأتراك في منتصف الليل ذاهباً إلى النهر لقضاء حاجته تسلل

في الظلام أحد الزنوج واصطدم به من حيث لا يدري ووقع بماء النهر وهرب الزنجي.

وعندما بدأ النركي يصرخ طالباً النجدة سمعته لأنني كنت في دور الحراسة الليليــة وأردت أن لا أخذله فجعلته يمسك طرف سيفي لأساعده وجاء مكفهر الوجه مع صراخه القريب وسُحب وجُلب إلــى السفنة.

واستحقت بذلك الشكر الكبير والحظوة لدى الأتراك الآخرين بحيث عاملوني جيــداً طــوال الســفر حتى بغداد Bagdad وكانوا طـاقم بــــارة يقصدونها.

في الأول من اكتوبر (تشرين الأول) بعدما تابعت رحلتا مسيرتها جاء منذ الصباح الباكر مجموعة من العرب مع ست خيول إلى الشاطئ ليسألونا عن مكان وجود ملكهم أو مكان لقائه وذلك لأنهم يحملون إليه رسالة من السلطان التركي لتسليمها له. لذلك كان عليهم أن يلحقوه طويلا إلى أن يجدوه. أخبر هم معلمنا (سيدنا Patron) (كما أعلم جميع الاخرين الذين سألوا عنه) بأننا رأيناه في الجزيرة في مقاطعة Ananachar. وقد رحل الآن مع أنباعه عائدا إلى العربية manachar حيث يجدونه هناك. إثر هذه الإجابة رحلوا وتابعنا نحن سفرنا ورأينا على يميننا عن بعد مدينة تسمى سكر البريليج (المثل المثل المتعن الأتراك إنه كان يسكن المناك "حرامي كبير" وما قيل أكثر بسبب الحسد ومن السادة الأخرين (مثل ملك العربية) الخاضعين السلطانهم. هذه المدينة قادتنا حالا إلى الدير Docr وهي مدينة أخرى يلزمنا قطع ثلاثة أميال من دون خطر للوصول إليها. وهم يحسبون (بقدرون) أقسام الطريق أو طريق السفر بالأيام لا بالأميال كمسافات لأن مدنهم غالباً بعيدة الواحدة عن الأخرى بحيث يتطلب الانتقال من الواحدة إلى الأخرى كمسافات لأن مدنهم غالباً بعيدة الواحدة عن الأخرى بحيث يتطلب الانتقال من الواحدة إلى الأخرى تشارك النهر في الصحراء الكبرى. وقبل أن نصل كانت السفينة التي تسافر معنا أبعد إلى الأمام تشارك النهر في بضعة أذرع من المياه بعيدة عن الجهة المقابلة للمدينة عالقة في ضغة رملية. عندما رأى معلمنا أن السفينة متوقفة اقترب منها وأرسل رجاله للمساعدة.

وبعد أن حصلت على فترة قليلة تأملت فيها قليلاً النباتات الغريبة وجدت هناك على الشاطئ بين أشجار وأخرى أشجار الطرفاء، التاماريسك Tamariskenbäume وقربها على البعد مرعى غريباً يسميه السكان اليوم بالاسم العربي القديم: الجرب (الكرب (Garb). وهذه الأشجار تتمو قليلاً في المرتفعات والأودية، وأغصانها الخارجية أقوى وأشد يبسأ وهي، كما في مراعينا، يمكن أن تفيد للربط، قشرتها صفراء باهتة مثل أوراقها التي بعضها متطاول بعرض إصبعين وفي أطرافها انحناء مثل أوراق القطن بحيث إن الواحدة لا تماثل الأخرى. وقد وجدتها بسبب الجفاف منكمشة نسبياً. ومن الأزهار والفواكه (التي يذكرها خاصة ابن سينا في الفصلين 326 و 686) لا أعرف شيئاً لأقوله لأنني لم أجد شيئاً لاحقاً لا أعرف. وفي هذه الناحية وقبل عدة أيام ألحق التركي (الذي غادرنا في الرقة دون المسماة بلدك المناسبة) شرخاً بالسفينة وفقد جزءاً كبيراً من قمحها الذي أراد أخذه إلى بغداد Bagdad (المسماة بلدك Baldac) يبيعها هناك بثمن غال.

ويأتي الغلاء فيها غالباً من نقص المطر فقد مرت تُـلاتُ سنوات ونصف السنة من دون مطر

بالإضافة إلى أنه حسب أقوالهم كان المطر يهطل مرتين أو ثلاثاً في العام فتتمو كمية كافية من الذرة. وبعد أن عملت جماعتنا أكثر من ساعة مع الآخرين وعامت السفينة ثانية فوق الماء عادوا إلينا وغادرنا لنصل في المساء إلى الدير Dccr . ولما صادفنا أمامنا بعض الصخور الصخرية تجعل السفر أمامنا خطراً جاءنا بعض عمال السفن من المدينة ليساعدونا في رؤية المجرى الصحيح للسير ويوصلونا بسرور وبسلام.

مدينة الدير Dccr ليست كبيرة وتتبع الأتراك وتقع على مرتفع فيه بيوت عديدة (بعضها مجمع بدا لنا حين وصولنا) وهو محاط بسور سيء وقبور. واعتقدنا أننا سنحل أمور الجمرك قريباً مع أرمين Armin لمتابعة السفر، لكنه لم يكن في البيت وكان علينا أن ننتظره ثلاثة أيام. خلال ذلك عقدنا علاقات معرفة مع السكان الذين كان بعضهم طويلاً وقوياً ولون بشرته أبيض ومؤدباً بتصرفاته كالآخرين. كانوا يأتون البينا غالباً ليكلمونا بمودة فوجدنا بهم اختلافاً كبيراً عن الآخرين. وكذلك كان الأمر مع أرمين Armin الذي بعد عودته أكرمنا بصينية (صحفة) كبيرة ملأى باللحم والحلوى الطيبة ومزينة ببصل الصابون (نوع نبات) Scifenknolle (كما جرت العادة في بلادهم) وقد اتخذ مرافقوه بعض الأقواس المصنوعة بورق أبيض حملوها بسرور وبإعجاب وبدوا يضحكون (مثل الأولاد الصغار عندما يهدون شيئاً نادراً).

كانت الناحية (المنطقة) خصبة نوعاً ما بالحبوب والذرة الهندية والقطن.. الخ وكان لديهم قرب النهر حدائق عشبية مع قليل من أعشاب الحديقة والفواكه مثل Caulifior كاوليفيور وسواها وخاصة Citrullis وقرع وخيار و angurien ويدعونه بطيخاً Batticcae وعندهم منه الكثير بحيث يمكن شراء 40 قطعة كبيرة نسبياً مقابل /1/ أسبرن Aspren أو /2/ كرويسر Kreuzer (الذي 3 منه تساوي 2 مدن مدن Medin). وهناك أشجار نخيل عالية وليمون Limonen وأشجار الليمون وأشجار الخرى لم أرها عن بعد لأتمكن من معرفتها.

ت: المهندس عبد الله حجار

كان أول بواعث اهتمامي بكتاب الدكتور راوفولف أو بهذه الملزمة من الكتاب هو، ما أسافت القول، ما يحمله من تصحيح لمسلمات وقرت في ذهني من أن الرقة، بلدتي، كانت هجرت تماماً منذ آخر غزوات النتر لها في نهاية القرن الميلادي الرابع عشر، فأقفرت من كل ساكن وامتد خرابها وإقفار ها حتى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر. فها هو ذا طبيب ألماني يسجل لنا شهادته في ما رآه بعينه من أنه كان في المدينة، في عام 1575، حامية مؤلفة من ألف ومائتي جندي تركي، وأنه كان فيها حاكم سماه متصرفاً، وكان فيها مصلحة ضرائب ومكوس. هذا يعني أن المدينة كانت مسكونة بمواطنين وتدار بموظفين مختلفي المهمات والرتب. صحيح أنه يتحدث عن خرابها وأسبابه وعن أطلال مبانيها القديمة وتهدم سورها، ولكنه يورد ما يدل على أن هذا السور كانت له أبواب تغلق عند مرور قبائل البدو المحاربين، تخوفاً من اعتداءاتهم على البلد، وذلك ريثما تمر قوافلهم في اتجاهها من سهوب الجزيرة إلى بادية الشامية.

هِهُ الرَّاةِ العَرِبِي السَّامِ العَدِيثِ السَّامِ العَدْلِقِ العَدْلِقِ العَدْلِقِ العَدْلِقِ العَدْلِيثِ العَدْلِقِ العَدْلِيثِ العَدْلِقِ العَالِقِ العَدْلِقِ العَدْلِقِيلِيقِ العَدْلِقِ العَدْلِقِ العَدْلِقِ العَدْلِقِ العَدْلِقِ العَالِقِ العَدْلِقِ العَدْلِقِيلِيقِ العَدْلِقِ العَدْلِقِ العَدْلِقِ العَدْلِقِ العَدْلِقِ العَالِقِ العَدْلِقِ العَدْلِقِ العَدْلِقِي العَدْلِقِ العَالِيقِ العَالِيلِيلِيْلِقِ العَدْلِقِيلِيلِيقِ العَدْلِقِ العَالِيلِيقِي

قلت إن ذلك كان الباعث الأول لاهتمامي بكتاب الدكتور راوفولف. ولكني حين قرأت ترجمة الملزمة بكاملها وجدت أنها تحمل إلينا، أنا وكل مهتم بتاريخ بلاده، وبالتاريخ بصورة عامة، معلومات طريفة وجديدة عن حقبة من الزمن قلت معارفنا عنها، كما إني قدرت أن ما سجله الدكتور راوفولف في فصول كتابه الأخرى له قيمته العلمية الكبيرة وجدير بأن يلقى الضوء على أحوال بلادنا التي سماها المؤلف بلاد المشرق Morgenländer في الزمن الذي زارها فيه. لا سيما أن هذا الكتاب بعيد على ما يبدو عن أيدي المؤرخين المعاصرين، فظلت معلوماته محصورة في طبعته الأولى التي صدرت في عام 1582، بعد نحو من قرن من اختراع غوتنبرغ للطباعة، في حروف غوطية عسيرة على القراءة وبلغة جرمانية قديمة عسيرة على القواءة وبلغة جرمانية قديمة عسيرة على القهم.

ولا بد لي هنا من الوقوف عند سيرة حياة الدكتور راوفولف نفسه، كما المنع إليها علمي، إنه طبيب وعالم نبات ورجل دين. ولد في ألمانيا عام 1540، في مدينة أوغسبرغ. وقد سافر إلى المشرق في عام 1574 في رحلة تولى تمويلها صديق له نبيل يحمل اقب "غراف". في هذه الرحلة أقام في حلب تسعة شهور، ثم تابع سفره عن طريق الفرات، كما جاء في ما قرأناه له، إلى بغداد مارا بالرقة وعانة، متنكرا ومدعيا أنه رجل أعمال أرمني. وجاءه خبر وفاة صديقه ومموله فعاد إلى حلب عن طريق الموصل ثم الأناضول، ومن حلب قصد طرابلس الشام فأقام فيها ثلاث سنوات مارس خلالها طبه في هذه المدينة. حج إلى القدس ثم عاد إلى أوغسبورغ، وتطوع في الحرب المجرية التركية، ومات بالكوليرا على الحدود المجرية في عام 1596.

وإلى عالم النبات هذا، الدكتور راوفولف، ينسب في علم النبات جنس الراوفولفيات Raunvolfia، وهي أشجار يستخلص من جذور بعض فصائلها شبه القلوي المدعو ريزربين الذي استخدم، ولا يزال يستخدم، كخافض للضغط الشرياني وكمهدئ نفسي، وبهذا الوصف، وصف عالم النبات، نراه يقف عند النباتات التي يراها في رحلته ويسميها بأسمائها اللاتينية أو الألمانية. كما إنه، بوصفه رجل دين، نراه يعتمد في معلوماته التاريخية على قراءاته في التوراة في أسفارها المختلفة.

وبعد هذا الذي نقلته وتحدثت به عن الكتاب وعن مؤلفه لا بدلي من الإقرار بأني طرقت في هذا مجالا أنا قليل الطروق له في العادة فيما أكتبه. أعني به مجال الأبحاث التاريخية ومجال المصادر المهملة والمجهولة، وعرض هذه المصادر ثم التعليق عليها. إنه مجال عدتي فيه قليلة ومقاربتي له أقل. لذلك فإني لا أستغرب إذا اكتشف واحد من قرائي خطأ في أحكامي أو نقصاً في معلوماتي. عذري في هذا أن دافعي الأول فيما تصديت له هو، كما سبق وقلت، كان رغبتي في تصحيح أفكاري السابقة عن تاريخ بلاتي، إلى جانب الفضول الذي أعهده في نفسي والذي يجعلني أسعى إلى المعرفة في مظانها مهما قصرت أدواتي في محاولة بلوغها. وإذا كنت أحرزت شيئاً مما سعيت إليه فإني مدين في ذلك إلى الأصدقاء الذين مهدوا لي السبيل إلى بلوغه.

أنا مدين في ذلك للسيدة كريستا صطاف، من فيرزبورغ، التي سـعت وتوقفت في نقل محتوى الملزمة من لغة الشعوب الجرمانية في القرن السادس عشر إلى لغة ألمانية معاصرة. ومدين أيضاً

للصديق المهندس عبد الله الحجار الذي تولى ترجمة محتوى الملزمة في شكله الجديد إلى اللغة العربية. وقد قدرت كل التقدير جهده في ترجمة أقوال ليونهارت راوفولف، لأن القراء الألمان أنفسهم أقروا لي بعسر فهم تلك الأقوال حتى في صبيغتها المعاصرة. يرجع ذلك إلى تباعد زمننا عن الزمن الذي كتبت فيه أصولها، وإلي تغير مصطلحاتها بل إلى انقراض كثير منها من اللغة الألمانية المحكية اليوم. وأخيرا، بل أولا وقبل كل شيء، أنا مدين للزميل والصديق الكريم الدكتور سعيد العزاوي الذي كان وراء كل هذا العمل بتعريفي بكتاب الدكتور راوفولف وإهدائي صورة هذه الملزمة منه.

وعن فضل الزميل الدكتور العزاوي في تزويده إياي بالملزمة مصحوبة بترجمتها الأولية أضيف أنه وعدني بأن يضع تحت تصرفي كامل الكتاب في طبعته القديمة، طبعة عام 1582. إلا أنه ربط وعده الثمين هذا بشرط أخشى أن تحول ظروف حياتي المتقلبة من التزامه (به). لقد اشترط هذا الأخ الكريم لقاء ذلك أن أقبل دعوته لقضاء شهر كامل ضيفاً عليه في منزله العامر في مدينة دورتمند!... دعوة كريمة ومغرية. ولكن أين الوقت وأين إمكانية التحرر من المشاغل والمشكلات في هذه الأيام؟! وإلا فليس أحب إلى القلب من قبول هذه الدعوة ، ولا أحب للفكر من الحصول على كتاب الدكتور راوفولف كاملاً، لعلى أعهد به إلى من هو أقدر منى على إعداده للترجمة ثم للنشر.

بعض الناس، على ما ورد في الحديث الشريف، يجرون إلى الجنة بالسلاسل، وأخشى أنى أنا كاتب هذه السطور، في هذا الأمر، من أولئك الناس، أخشى ذلك وأتمناه في الوقت نفسه فلعل الأيام تعينني على قبول دعوة الدكتور سعيد، فأكسب الغبطة والسرور لنفسي، وأكسب لمعرفة تاريخ بعض بقاع وطننا صفحات كانت قبل اليوم مجهولة ومنسية.

نيست المصطلحات هي وحدها الني نسب عسر فهم ترجمة ما نقلناه من كتاب الدكتور راوفولف. فأسماء الاشتخاص، من تماريخيين و معاصرين للمونف، كتبت بصورة قد تضلل في معرفة الإنسان المسمى. كما أن الأسماء الجغرافية تثير نساؤلنا عن المواقع الني تعبها. نستطيح القدول إن نهر بابل المذكور هنا هو نهر الغرات، وإن مدينة الدير المذكورة هي دير الزور الحالية. ولكن أبن تقع مديسة Carahemit والمكان الذي ورد باسم Giselet و نلاحظ أن ما يسميه المدكور راوفولف "ولبية Selby " ينطق على الحرائب التي اسمها اليوم "حلية". بينما يطلق اسم "ولبية" اليوم على ما سماء هو "أسفل ولبية Subiam Seleby ". مع العلم أن السامي في وادي الفرات، في هذا الزمن، بجمعون الموقعين في التسمية حيسا يتحدثون عمهما فيقولون: حلية وزلية.

أما عن أسماء انسانات الني رردت في صفحات الملؤمة فإنها تحتاج إلى دراسة حاصة ومقارنة. يثبت الذكتور رارفولنف أحياضاً أسماء عربية نبعض ما وقعت عليه عينه من أنواع انبيات، مثل الشوك والغرب. ولكننا لم نعثر في المعجمات النباتية الني بين أيدينها على الأسماء الأحمرى من الانبية وأنافية عما أرده هو. ولا يستغرب هذا، فهذه المعجمات جد حديثة في تأليفها بالسبة إلى الزمن الذي قام فيه الذكتور لبونهارت رارفونف برحك.

مع الدكتور شوقي ضيف

هُ مقدمة الردِّ على النحاة

د. جميل علُّوش

الاكتور شوقي ضيف لكتاب "الرد على النحاة" لابن مضاء القرطبي فقد بمقدمة ضافية جعلها مدخلاً للكتاب، تحدث فيها عن عصر الكتاب ومدث في تحقيق نسبتها إلى المؤلف. وأورد بعض الآراء البارزة التي قام عليها الكتاب، وعلى رأسها إلغاء نظرية العامل والعلل الثواني والثوالث والقياس والتمارين غير العملية مما أطال في شرحه وترويجه صاحب كتاب الرد على النحاة، كما أطال الاكتور ضيف في شرحه لآراء المؤلف وتوضيحه لها والإشادة بما توسم فيها من محاسن ومناقب.

ولقد عرض ذلك كلّه بطريقة توحي أنّه لم يقرأ كتاباً نحويّاً من قبل ولم يمتلئ ذهنه بشيء من آراء النحاة ومذاهبهم ونظرياتهم. فقد تقبل كل ما كتبه ابن مضاء في الموضوع واعتبره كلاماً منز لا من السماء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم يوجه إليه أي اعتراض ولم يسجل عليه أي مأخذ ولم يحاسبه على أية هفوة بل نظر إلى ما كتبه في الرد على النحاة وكأنّه الحقيقة الناصعة والحجة الدامغة لا ينفذ إليه الخطأ ولا يتسرّب إليه الوهم.

ليس هذا فحسب بل تجاوز ابن مضاء إلى مواقف لا يقبلها ابن مضاء ولا غيره من يعدون في النحاة المترخصين المتهاونين بله المتشددين المحافظين. وأنكى من ذلك كله أنه جعل من نظرية ابن مضاء مدخلاً لتسهيل النحو ولنظرية بقي يدعو إليها ويبشر بها طول حياته بحيث كتب حولها كتاباً مستقلاً أصدره قبل بضع سنوات وأطلق عليه اسم "تجديد النحو" وقد تحدثت عن هذا الكتاب في غير هذا الموضع وبينت مواطن الضعف والتقصير فيه وتخلخل الأساس الذي قام عليه.

ولماً كانَ كتاب الرد على النحاة لابن مضاء هو الشرارة التي أشعلت في ذهن الدكتور ضيف فكرة تسهيل النحو، وحفزته لأن يُكون منها نظرية يدعو لها ويجاهر بها ويعتدها السبيل الوحيد لتسهيل النحو وتخليص النشء حلى زعمه- من عقده وإشكالاته، فقد أحببت أن أعود إلى مقدمة ذلك

الكتاب وما استوحاه من تلك المقدمة من أراء وتخريجات تجاوزت ما رسمه ابن مضاء وما دعا إليه. ويؤخذ على الدكتور ضيف من ناحية عامة ما يلي:

أولاً- أنه كما سبق أن ذكرت لم يجد في كتاب "الرد على النحاة" على ما قيه من عنف وتطرف شيئاً يستحق المحاسبة أو النقد. ققد قبله على علاته وجعله له منهجاً وإماماً.

ثُانياً - أنَّه لم يقف عندما رسمه ابن مضاء في كتاب "الرد على النحاة" بل تجاوزه اللي آراء ومواقف تعدّ خروجاً على النحو وقدحاً في المنطق الذي قام عليه.

ثَّالثًا – أنَّه جَعَلَ التسهيل غايته الأساسية فيما كتب بهذا الصدد. ومع أنَّ التسهيل غاية مهمة في النحو المدرسي التعليمي، فإنه من الجدير بالتنبيه أنَّ التسهيل ينبغي ألا يتناقض مع ما ثبت ورسخ من أصول النحو وقواعده.

ولأنّي مهتم أصلاً بموضوع النحو فسأغض البصر عما كتبه شوقي ضيف عن المخطوطة والمؤلف وأراء المؤلف البارزة في ذلك الكتاب. فكل ما يهمني هنا هو أن أناقش شوقي ضيف في عدد من الاقتراحات والأفكار التي قدّمها بحجة أنها تسهم في تسهيل النحو وتقريبه من عقول الطلبة وأفهامهم. وهذه نماذج من تلك الأراء والمقترحات:

أُولاً- اقترحَ أَن يعتبر الفعل المضارع المتصل بنون التوكيد في مثّل قولنا: هل تسافرَنَ؟ فعلاً مضارعاً منصوباً لا فرقَ بينه وبين قولنا: لن أسافر على اعتبار أنّ كلاً منهما ينتهي براء مفتوحة. ومن المعروف أنّ الفعل المضارع المتصل بنون التوكيد يكون مبنياً على الفتح. والفرق بينهما من النواحي التالية:

أ- أنَّ الفعل المضارع المنصوب لابد أن يسبقه أداة نصب.

ب- أن المضارع المتصل بنون التوكيد لم تعمل فيه أية أداة. أقصد بذلك أن الفتحة فيه لم تكن أثر أ لعامل سابق.

ج- أن حركة الفعل المضارع المنصوب حركة إعراب في حين أن حركة المضارع المتصل
 بنون التوكيد حركة بناء.

 د- فإذا وافقنا الدكتور ضيف على أن حركة الفعل المضارع المتصل بنون التوكيد هي حركة نصب فما قولنا إذا سبق ذلك الفعل بأداة جزم مثل لا الناهية في قول الشاعر:

لا تعدف أسرا حتى تجرب ولا تنمنه من غير تجريب

فإذا قلنا إنّ الفعل المضارع المتصل بنون التوكيد هنا وهو "تمدحَن" منصوب فكيف نوفق بين قولنا هذا وقولنا إنه مسبوق بلا الناهية التي هي حرف جزم؟

ومن الملاحظ أنَ الفعل المضارع المتصل بنون التوكيد أكثر ما يقع بعد أداة جزم مثل لا الناهيـة أو لم أو لما الجازمتين أو إن الشرطية الخ.. فكيف نوفق بين قولنا إنّ الفعل هذا منصـوب وقولنا إنـه

مسبوق بأداة جزم أو شرط؟ وهل يجتمع النصب والجزم بحال؟

هـ إنّ فعل الأمر المتصل بنون التوكيد هو أيضاً مبني على الفتح فهل نحسبه منصوباً؟ نقول: ادرسَنَ أو اكتبنَ أو اقفزنَ فيكون فعل الأمر مبنياً على الفتح لاتصاله بنون التوكيد مثل الفعل المضارع تماماً فبأي منطق نزعم أنّ هذا الفعل منصوب السنا بهذا الاقتراح نضرب عرض الحائط بالمنطق النحوي ونلغى الفواصل بين الوظائف النحوية؟

ثانياً - اقترح الدكتور ضيف أن نلحق الفعل المضارع المتصل بنون النسوة بالمجزومات في نحو: النساء يدرسنن. ومن المعروف أنّ الفعل المضارع هنا مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة.

ويريد الدكتور ضيف أن يلحقه بالمجزومات على اعتبار أنه لا فرق بين المضارع المجزوم والمضارع المتصل بنون الإناث. ولا فرق بين الفعلين في ظاهر الأمر ولكن الفرق حاصل في الحقيقة والواقع فالمضارع المتصل بنون النسوة قد يجيء في محل رفع أو نصب أو جزم في مثل قولنا:

النساء يُسافرُن النساء لن يسافرُن النساء لم يُسافرُن

فالمضارع هنا مبني على السكون حقاً ولكنّه في محل رفع في المثال الأول لتجرده عن الناصب والحازم وعما يوجب بناءة، وهو في محل نصب في المثال الثاني لأنه مسبوق بأداة نصب، وهو في محل جزم في المثال الثالث لأنه مسبوق بجازم، وليست الأحوال الثلاثة سواسية في حساب المنطق النحوي. ولذلك فرق حذّاق النحاة بين ما يكون مبنياً على السكون وما يكون مجزوماً وجعلوا بينهما فواصل وفوارق. وإذا كان صاحبنا الدكتور ضيف يحتج بتشابه المجزوم والمبني على السكون فهما مختلفان في الحقيقة والواقع إلا إذا جاز لنا أن نعتبر لم وهل ونعم وكلها أدوات مبنية على السكون مجزومة.

ثَّالثاً - يقترخ أن لا تعرب كلمة لا يفيد إعرابها شيئاً في تصحيح الكلام والنطق به نطقاً سديداً... وعلى الرغم من أنّ النطق وإتقائه غاية سامية من غايات تدريس النحو فـإنّ هذا القول مردود بالحجج التالية:

أن النحو يتناول أموراً تتجاوز حركة آخر الكلمة إلى أحرفها وهيئة بنائها وطبيعة تركيبها وموقعها من الإعراب.

2- اننا لا نستطيع أن نضع حدوداً فاصلة بين الصرف والنحو واللغة وققه اللغة وعلم المعاني. وكُلُها تعالج موضوعات متداخلة متشابكة. ولم يُقُلُ أحد إنَّ هذا الموضوع تنحصر مهمَّنَهُ في بحث ما يتعلق بالنطق فقط.

3- أنَّ أواخر الألفاظ في الإنكليزية ساكنة. ولم يمنسع ذلك من أن يكون لها علم نحو يختصلُ بمواقع الألفاظ من الإعراب وصلات بعضها ببعض ودلالات مغرداتها وعباراتها ووتراكيبها.

ويتبيّن من ذلك كلّهِ أنَّ القول بأنَّ الهدف من النحو هو دراسة كل ما يغيد النطق في اللغة ليسَ صحيحاً. فليس صحيحاً كذلك القبول بما اقترحه الدكتور ضيف من وجوب النظر إلى الألفاظ من ناحية شكلية بحتة تراها العين ويقررها البصر، فالعقل له حكمه وحسابه في الموضوع.

رابعاً- يزغمُ الدكتور ضيف- في سبيل تـأبيد دعوتـه إلـى القول بإلغاء كـان وأخواتها وعدُ اسمها مبتدأ وخبرها خبراً- يزعم أنّ الخبر يجيء مرقوعاً ومنصوباً ومجروراً.

ويمثلُ على مجيئه منصوباً بقولهم: ضربي العبد مسيئاً.

وعلى مجيئه مجروراً بقوله تعالى: وما ربك بظلام للعبيد.

وليسَ (مسيناً) هنا خبراً صحيحاً كبقية الأخبار. فقد ذكر النحاة أنه هنا حال سد مسد الخبر ولم يجعلوه خبراً حقيقياً لسببين:

الأول- أنَّه ليس مرفوعاً والخبر حكمه الرفع في الأصل.

الثاني- أنه ليس المتبدأ نفسه، أعنى بذلك أنّ المسيء ليس هو الضرب بل هو العبد والعبد في الجملة المذكورة مفعول به للمصدر المضاف إلى فاعله. ومن المعروف أنّ الخبر إذا جاء شيناً آخر غير المبتدأ انتصب. وقد نصبه الكوفيون في ذلك على الخلاف لأنه ليس المبتدأ نفسه.

أمًا قوله تعالى: وما ربك بظلام للعبيد. فإنّ الخبر هنا ليس مجروراً كما توهم الدكتور بل هو مجرور بحرف الجر الزائد. فإمّا أن يكون في محل رفع خبراً للمبتدأ إذا اعتبرنا "ما" تميمية أو في محل نصب على أنه خبر "ما" إذا اعتبرناها حجازية. ويرى بعضهم أنها إذا دخلت الباء الزائدة في خبرها كانت شاهداً على أن "ما" حجازية لا تميمية أي أنها تعمل عمل "ليس".

ويبدو مما سبق أنَّ الخبر لا يجيء منصوباً ولا مجروراً كما زعم الدكتور ضيف فهو مرفوع دائماً ولكنه قد يجيء أحياناً ظرفاً منصوباً أو مجروراً بحرف الجر الزائد ولكنه يكون في ذلك كله مرفوع المحل. ومجيء الخبر على هذه الحال لا يبيح لنا القول بأنَّ الخبر منصوب أو مجرور ّحكماً.

خامساً - يقترح صاحبنا أن نعربَ اسم إنَّ وأخواتها مبتدأ منصوباً بحجـةَ أنَّ المبتدأ يجرُ بعد رب وبعد حرف الجر الزائد. ويقول: إذا كـانَ المبتدأ يجيء مجروراً فلماذا لا نقول بأنَّه يجيء منصوباً؟

والواقع أنَّ هذا كلَه خلط. فإذا كانَ الخبر يجيء مرفوعاً ومنصوباً ومجروراً فصاذا بقي لنا من قواعد النحو ومن المنطق النحوي؟ وماذا نقول للطالب الذي يُقبل على تعليمه إذا أردنا أن نبلغه أنَ المبتدأ يجيء مرفوعاً ومنصوباً ومجروراً؟ ثمَّ ماذا في قولنا إنَّ الاسم الواقع بعد "إن وأخواتها" هو شبه الاسم الواقع بعد رنبُ أو الواو في مثل قولنا: ربُ قول أنفذ من صنول. وقولنا: وليل كموج البحر أرخى سدوله. ألم تجعل النحاة لكل حالة من تلك الحالات وضعاً خاصاً قائماً على مسوّغات عقلية ونحوية سليمة؟

سادساً - يزعم الدكتور ضيف أنّ المضاف إليه قلق في موضعه في كتب النحو العربي ولذلك فهو يقترح أن نلحقه بتوابع المفسردات. وهو يقول في ذلك: إنَّ المضاف إليه أشبه بالتابع وإن لزم الجر. فثلاثة أقلام مثلاً واضح فيها أنّ أقلام تابعة لثلاثة. ومن الممكن أن نقول الأقلام الثلاثة وهي حينئذ تعرب صفة أو بدلاً. منطق الدكتور ضيف عجيب هنا. فهو يقترح أن نلغي المضاف إليه ونلحقه بالتوابع، لأننا نستطبع أن نقول: الأقلام الثلاثة بدل ثلاثة الأقلام.. ومن المعروف أنّ قولنا ثلاثة أقلام مضاف ومضاف إليه في حين أن قولنا الأقلام الثلاثة هو موصوف وصفة وأنّ أحد التركيبين لا يغني عن الآخر ولا يلغيه. فلماذا يجبهنا الدكتور ضيف بمثل هذه الأفكار الحمئة والمقترحات الصدنة؟ سابعاً - يقترح المهذلة الفاعل أو نائب الفاعل حينما بحر، عضميا أ في مثان الهذا المستند أ في مثان الهدا على مستند أ في مثان الهد المستد أو مستد أو مستد أو مثان المد

سابعاً - يقترح المؤلف إلغاء الفاعل أو نائب الفاعل حينما يجيء ضميراً مستثراً في مثل: زيد قَامَ. ويقول: وهو استثار وهمي لا دليل عليه.

واقتراح الدكتور ضيف مردود بما يلي:

- آنّ الفاعل يجيء اسما ظاهراً في مثل: حضر زيد، ويجيء ضميراً متصلاً في مثل:.
 حضرات وكتبت وحضرانا وكتبنا، فلماذا لا يجيء ضميراً مستتراً في مثل: زيد قام؟
- 2- نحن نقول: زيد حاضر فنعرب (زيد) مبتداً و(حاضر) خبراً. فـاذا قلنـا: زيد خضـر، وجب علينا أن نعرب (زيد) مبتداً على النسق السابق. وتكون جملة (حضر) في محـل رفـع خبر (زيد) ولا يصـح أن نعرب (زيد) مبتداً في الأولى وفاعلاً في الثانية.
- 3- وإذا كانت جملة (حضر) في الجملة السابقة في محل رفع خبر المبتدأ فلابد أن نضمر في فعل (حضر) ضميراً حتى يصح تأليف الجملة. ذلك أن الجملة تتكون من إسناد فعل إلى فاعل ولا تتكون دون ذلك. وعلى هذا الأساس يكون تقدير الضمير شيئاً أساسياً وجوهرياً.
- 4- نقول: زيد حضر، والزيدان حضرا، والزيدون حضروا، فيكون الفاعل هو الضمير المستتر في الجملة الأولى وألف الإثنين في الثانية وواو الجماعة في الثائشة. وليس صحيحاً القول بأنَّ ألف الاثنين وواو الجماعة لا محل لهما من الإعراب وأن القصد منهما الإشارة إلى كل من حالة التثنية وحالة الجمع. ولو كان الأمر كذلك لكان في إمكاننا المحاقهما بالفعل قبل الفاعل في مثل قولنا:

حضر الرجلان و حضر الرجال. ولكنَّ ذلك ممتنع، مما يدل على أنَّ ألف الاثنين وواو الجماعة لا تجينان علامتي تثنية وجمع بل لابدُ لهما من عمل.

5- إذا قلنا: إنُ زيداً حَضر. فهل تكون (زيد) أيضاً فاعلاً وبكون الفاعل منصوباً؟ كل هذه

الأسباب تبطل اقتراح الدكتور ضيف ومن لـفُ لفَهُ من دارسي النحو في القول ببطلان مجيء الفاعل ضميرا مستتراً.

ثامناً يقترح الغاء الحديث في إعراب الجمل، لأنّه على حد زعمه لا يقيد في نطق الكلام. ولا شك أنّ هذا نوع من التيسير إذا كان الموضوع منحصراً في تعليم الصغار. أمّا أن يمحى الموضوع كلّه من النحو، فهذا محض تمحّل لأنّ الجُمل تقع موقع الألفاظ المفردة فهي من ثمَّ تعمل عملها وتنوب عنها. فحين تقول: مررت برجل يزرع فمحل (پزرع) الجر لأنها في محل صفة للفظة (رجل) الذكرة. ولو قلنا: مررت بالرجل يزرع، لأختلف الأمر وكانت جملة (پزرع) في محل نصب على الحال تمسكا بقول النحاة: الجمل بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال. وإذا كان هذا التفصيل غير ضروري لطالب في الصغوف الابتدائية فهو جدُّ ضروري في الصغوف العليا وللمتخصصين والمنطق يفرضه. وما دام القول بذلك أمراً معقولاً فلا يمنغ منه شيء، لأنُّ العقل لا يقبل أن تحد حركته حدود. والنحو علم فليس من المعقول أن نجعل حدوده ضيقة ونجعل رسم تلك الحدود وقفاً على حاجة الصغار والمبتدئين.

تاسعاً - يقترح الدكتور الامتناع عن بيان محل الألفاظ المبنيه والمقصورة والمنقوصة من الإعراب... وكأنه يدعو إلى الاكتفاء بوصف حركات أواخرها دون النظر في موقعها من الإعراب وهذا الاقتراح يلحق سابقه، فما دُمنا نبيّن موقع اللفظة الصحيحة من الإعراب لتحديد حركة آخرها فلماذا نمتنع عن ذلك إذا كانت اللفظة مبنية أو مقصورة أو منقوصة؟ نقول: حضر سيبويه، وسيبويه لفظة مبنية على الكسر، فهل نكتفي بالقول إنها مبنية على الكسر دون تبيين موقعها من الإعراب؟ ولماذا يكون ذكر هذا الموقع محرّماً؟ وكذلك في قولنا: جاء الفتى، وحضر القاضي، يطالبنا الدكتور ضيف بأن نقول: (الفتى) اسم ساكن الآخر دون أبة إشارة إلى موقعه الإعرابي.

وكذلك (القاضي) وهو بهذا يصف حركة الأخر حقاً ولكنّه يقصر عن وصف موضع الكلمة من الإعراب وتحديد وظيفتها وتبيين علاقتها بما قبلها أو ما بعدها. (وهذا كلّه قصور عن بلوغ الإتقان والكمال في الصناعة النحوية.

عاشراً- يقول الدكتور ضيف: ففي إعراب (لولا دعاؤكم) لا تعربُ (دعاؤكم) مبتداً مرفوعاً والخبر محذوف والتقدير موجود كمـا يقول النحـاة، لأنُّ هذا يعود بنـا إلـى التقدير والتأويل، وإنما نكتفي بأن نقول (دعاؤكم) شبه جملة مرفوعة.

وهذا اقتراح عجيب غريب حقاً من النواحي التالية:

أ- من المعروف أنُّ لو ولولا من أدوات الشرط غير الجازمة ولكل منهما استعمال خاص به. ويجب أن يعترن جوابهما باللام. فكيف تصبح الجملة الشرطية شبه جملة؟

ب- متى كان من الممكن مجىء أشباه الجمل مرفوعة ومنصوبة ومجرورة؟ ومن المعروف أنّ

عَهُ البَرِ الْمُرْبِي الْمُعْمُ الْمُوسُ الْمُعْمُ الْمُعِمُ الْمُعْمُ الْمُعِمُ الْمُعْمُ الْمُعْمُ الْمُعْمُ الْمُعِمُ الْمُعِمُ الْمُعْمُ الْمُعْمُ الْمُعْمُ الْمُعْمُ الْمُعْمُ الْمُعْمُ الْمُعْمُ الْمُعُمُ الْمُعْمُ الْمُعْمُ الْمُعْمُ الْمُعْمُ الْمُعْمُ الْمُعِمُ الْمِعُمُ الْمُعِمُ الْمِعُمُ الْمُعِمُ الْمُعُمُ الْمُعِمُ الْمُعِمُ الْمُعِمُ الْمُعِمُ الْمُعِمُ الْمُعُمُ الْمُعِمُ الْمِعُمُ الْمُعِمُ ال

شبه الجملة هي جار ومجرور أو ظرف ومضاف اليه. وقد أطلقوا عليها مصطلح شبه الجملة لأنها لا تعيد فائدة كاملة. فكيف يطلق هذا المصطلح على ما لا يمت اليها بصلة ولا يتكوّن لا من جار ومجرور ولا من ظرف؟

ج- إنّ الأخذ بمقترح الدكتور ضيف يخلخل فكرة شبه الجملة في أذهان الطلبة. ويصبح عمل الدكتور كأنه هدم لما اتفق عليه النحاة. ونحن بحاجة إلى شيء نتفق عليه لا إلى أشياء نختلف عليها.

ويلحق بهذا البند ما اقترحه من وجوب اعتبار بعض صيغ النداء المنصوبة وصيغ الإغراء والتحذير من قبيل أشباه الجمل المنصوبة، وغير ذلك من أشباه الجمل المجرورة. وكل هذا وما شابهه محض خيال وتوهم لأنّ أشباه الجمل لا تخرج عن أن تكون جاراً ومجروراً أو ظرفاً. هذا عدا أنّ الأخذ باقتراح الدكتور ضيف لا يفيد شيئاً بل هو دعوة إلى الهدم والاضطراب.

وهكذا يتجاوز الدكتور ضيف الحدود في تقديم المقترحات ومخالفة أقوال السابقين مما استقام نهجه واتلأب مجراه. وقد بالغ الدكتور ضيف في ذلك حتى كأنه يعمد إلى تخريب النحو وإخراجه من هندامه الذي نسج على قدّه ومقداره..

ولا أقول هذا كلّه لأني أنحرج من مخالفة السابقين فقد خالفتهم في مواضع كثيرة وأعلنت ذلك على المذأ ولكن المخالفة ينبغي أن تقوم على العقل والمنطق كما ينبغي أن نحاسب النحاة بقواعدهم ومقاييسهم لا بقواعد ومقاييس لم يعرفوها.

وصفوة القول أنَّ الدكتور ضيف لم يكن موفقاً فيما قدّم واقترح في موضوع تيسير النحو وتسهيل تدريسه. وكانت مقترحاته بعيدة عن روح النحو من جهة ومخالفة للمنطق ومقتضيات العقل من جهة أخرى. ولذلك لم نترك أي صدى لا في الأذهان ولا في الآذان.

الأثير الجَزَريّ كتابه (المثل السائر هي أدب الكاتب والشاعر)

د. سمر روحي الفيصل

مدخل

نصر الله بن أثير الذين محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشسياني. ولد في جزيرة ابن عمر، شمالي الموصل، يوم الخميس الموافق للعشرين من شعبان عام 558هـ، وتوقي يوم الاثنين الموافق للتاسع والعشرين من ربيع الآخر عام 637 هـ في بغداد. كُنّي بأبي الفتح، ولُقب بضياء الدّين، واشتهر بابن الأثير الجزري نسبة إلى جزيرة ابن عمر.

له أخوان يكبرانه، اشتهر كلٌّ منهما بابن الأثير الجزري، هما:

- المبارك بن الأثير (ولد عام 544هـ)، وكان مُحدّثاً فقيهاً اشتهر بلقبه "مجد الدّين"، وكنيته "أبسي السّعادات".
- علي بن الأثير (ولد عام 555هـ)، وكان مؤرخًا اشتهر بلقبه "عز الدّين"، وكنيته "أبي الحسن".
 وهو صاحب "أسد الغابة في معرفة الصّحابة" و "الكامل" وغير هما.

أمّا أبوه محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني فلقب بأثير الدين، وعُرف بأمانته ورجاحة عقه وبرّه بأهل جزيرة ابن عمر . عهد إليه بولاية الجزيرة وتولّى خراجها بين 541-565 هـ، فلم ينقل على الناس في تحصيل المكوس ومسح الأرض وجبي الخراج. وكان في الوقت نفسه تاجراً ثريّا ذا صلة قويّة بأل زنكي أتابكة الموصل . إذ إن قطب الدين مودودهو الذي عهد إليه بولاية جزيرة ابن عمر . وحين وثق من أمانته جعله صاحب خزانته في الموصل، فانتقل أثير الدّين بأسرته إليها، ومكّن لأولاده عند الاتابكة من بعده.

نشأ ضياء الدَين بن الأثير في أسرة عربيّة شيبانيّة ثريّة ذات مكانـة لـدى الأتابكـة. وكـان لهـذه النَشأة أثر في اعتداده بنفسه، وتفرّغه للعلم، وتفتّح موهبته الأدبيـة، وطموحـه إلـى المكانـة السيّاسـيّة.

ﷺ التران المربي هههههههههههههه مسمر روحي الفيص هههه

والثّابت أنّه تزوج في الموصل، وعاش فيها نحواً من عشرين سنة، قبل أن ينتقل إلى الشّام ويتصل بالقاضي الفاضل الذي ألحقه بخدمة صلاح الدّين الأيوبيّ وعمره تسع وعشرون سنة. ولا شكّ في أنّ حياة ضياء الدّين بين عامي 587هـ (وهو العام الذي انتقل فيه إلى الشّام) و 607هـ (وهو العام الذي عاد فيه إلى الشّام) و 607هـ (وهو العام الذي عاد فيه إلى الموصل ثانية ليلتحق بخدمة أميرها عز الدّين مسعود) حافلة بالأحداث الجسام. وقد ارتبطت هذه الأحداث بالملك الأفضل بن صلاح الدّين الأيوبيّ، وعبّرت عن طموحات ضياء الدّين السيّاسيّة والأدبيّة.

ذلك أنّ الأفضل أعجب بضياء الدين، فاستأنن أباه في أن يُلحقه بخدمته. وكان ضياء الدّين يرنـو اللى ذلك، لأنّه أيقن بأنّ أمر الملك سيؤول إلى الأفضل بعد أبيه، وهو فتـى غرّ في الثّانيـة والعشرين من عمره، يملؤه الغرور والطيش، وتتوزعه نوبات من العنف والقسـوة وأخــرى مـن الضعـف والاستسـلام للبكاء، أو نوبات من معاقرة الخمرة واستباحة الحرمات وأخرى من الزّهد والوجـد وملازمة المسجد وقراءة القرآن ونسخه بخطّه.

وهذه الصَّفات تُعين ضياء الدين، الكاتب الشّابَ الطَّموح، على أن يتولَّى الوزارة ويتفرَّد بـالحكم. وقد تحقّق له ذلك بعد ثلاث سنوات حين توفّي صلاح الدّين، وخلفه في الحكم ابنه الأفضل.

أصبح ضياء الذين وزير الأفضل وصاحب الحظوة لديه، فزين له طرد الأمراء الكبار ومعاوني صلاح الذين السابقين، بغية التفرّد بالحكم، ولكنه لم يكن وزيراً عادلاً وفيّاً، بل كان معتداً بنفسه، مفتقرا للى التواضع والقدرة على تدبير أمور الملك، بعيداً عن الوفاء لأصحاب المكانة من الأمراء والأدباء.

فألب النّاس على الأفضل، وجعلهم يقدّمون العون للأمراء المطرودين الذين تجمّعوا بادئ الأمر عند عثمان أخي الأفضل في مصر، ثم نجحوا في الاستيلاء على دمشق وطرد الأفضل منها. وحين عاد الأفضل إلى الحكم ثانية بعد وفاة أخيه عثمان لحق به ضياء الذين إلى مصر. بيد أنّ الأمر لم يستتب للأفضل، إذ عزله عمه العادل. ولم تنفعه محاولاته المتكررة لاستعادة ملكه، فالتحق بخدمة سلاجقة الروم عام 607هـ، وغادره ضياء الذين إلى الموصل ليعمل في خدمة أتابكتها من أل زنكي.

استقر ضياء الدّين في الموصل في السنّوات العشرين الأخيرة من حياته، وانصرف للتأليف والتدريس. وعلى الرّغم من أنّا لا نملك تأريخاً دقيقاً للسنّة التي ألف فيها كتابه "المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر"، فإنّ هناك يقيناً بأنّه ألفّه في هذه السنّوات العشرين، إنْ لم نقل أبنّه ألفّه في بداياتها الأولى، وظلّ يدرّسه في الموصل، ويُنعم النظر فيه، حتّى توفيّ عام 637هـ.

شيوخه ومصادر ثقافته:

أغفلت كتب التراجم أسماء الشيَوخ الذين درس عليهم «سياء الدّين. ورجّح باحثان معاصران، هما نوري القيسي وهلال ناجي، أنّه درس على أخيه مجد الدّين، وعلى خطيب الموصل أبي الفضل

الطُوسي، ويحيى التَّفقي. وتشير مؤلَّفات ضياء الدّين إلى أنّه حرص على التّنوع والشّمول، فلم تكن قراءته مقصورة على علوم اللّغة وحدها، بل شملت كتب النّقد والحديث والفقه والشّعر والأدب والتفسير، إضافة إلى القرآن الكريم، وهو، تبعا لذلك، أمين لمفهوم ثقافة الكاتب الموسوعيّة، راغب في أن يُجسد هذا المفهوم ليتمكن من الخوض في الفنون الأدبيّة كلّها، لأنّ الكاتب في رأيه لا يُقدم على الكتابة إذا لم تكتمل لديه المعارف جميعها، ولا شكّ في أنّه بالغ كثيراً في ثقافة الكاتب، ولكنّه حرص، في الحالات كلّها، على أن يستمد ثقافته من مصادر متنوعة، تكاد تشمل ما كان سائداً في عصره.

وإذا قصرت حديثي على مصادر ثقافته البلاغية والنقدية قلت إنّ مولفًاته تضم اقتباسات من أبرز الكتب البلاغية والنقدية في عصره، كالموازنة للأمدي، والوساطة للقاضي الجرجاني، ونقد الشمع القدامة بن جعفر، وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، وسرّ الفصاحة لابن سنان الخفاجي، والبيان والتبيين للجاحظ، وغيرها. وهذه الافتباسات تدلّ دلالة واضحة على أنّه أنعم النظر في الكتب التي قرأها، فهو يناقشها مناقشة العالم بأسرارها، العارف بمواطن الجودة والرداءة فيها، القادر على استحضارها وتوظيفها والمقارنة بينها. كما تدلّ الاقتباسات نفسها على أنّ هناك كتبا أثّرت فيه، كسر الفصاحة لابن سنان، والموازنة للأمدي، ودواوين أبي تمام والبحتري والمتنبي.

مؤلّفاته:

تشير مؤلّفات ضياء الذين إلى اهتمامه بثلاثة أنواع من التأليف: أولها الاختيارات، وثانيها البلاغة والنّقد، وثالثها صناعة الإنشاء. وهذا ثبت بمؤلّفاته في الأنواع الثّلاثة:

١- الأدعية المئة المختارة.

مطبوع ضمن كتاب "المفتاح المنشا في حديقة الإنشا"، نح: هلال ناجي- الموصل 1983 2- الاستدراك على المأخذ الكنديّة

تح: د. حفني محمد شرف- القاهرة 1958

(هذا الكتاب استدراك على كتاب "المآخذ الكنديّة من المعاني الطّانيّة، أو: سرقات المتنبيّ من أبي نمام لابن الدّهان).

3- البر هان في علم البيان

4- تحفة العجائب وطرفة الغرائب، مختارات من الشعر والنثر - جزءان. (لم نثبت صحة نسبة الكتاب إلى ابن الأثير).

5- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور.

تح: د. مصطفى جو انود. جميل سعيد- مطبعة المجمع العلمي العراقي- بغداد 1375هـ/

6- ديو ان النزّ سُلّ

نح: هلال ناجي- الموصل 1982

7- رسائل ابن الأثير

نح: د. نوري حمودي القيسى و هلال ناجى - منشورات جامعة الموصل 1982.

8- رسائل ضياء النين بن الأثير

تح: أنيس المقنسي - دار العلم للملايين - بيروت 1959

9- رسالة الأزهار

10- رسالة في أوصاف مصر

١١- رسالة في الضاد والظاء

12- رياض الأزهار

تح: هلال ناجي- الموصل 1983

13- السرقات الشعرية

14- عمود المعانى

15- كفاية الطَّالب في نقد كلام الشاعر والكاتب

نح: د. نوري القيسي ود. حاتم الضامن وهلال ناجي- الموصل 1982

16- مؤنس الوحدة، مختار ات شعرية.

(يُشْكُ في صحة نسبة هذا الكتاب إلى ابن الأثير. وهنــاك مَـن يُرجّح أنّـه لعمــك النّيـن بـن الأثير الحلبيّ تت 699هــ").

17- المثل السّائر في أنب الكاتب والشّاعر

* طُبع أول مرّة بالمطبعة البهيّة بحوش قدم -القاهرة 1312هـ

* ط2- تح: محمد محيى الذين عبد الحميد- جزءان- مطبعة البابي الحلبي- القاهرة 1358هـ/ 1939م

* ط3- نح: د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة- أربعة أجزاء - دار نهضة مصر للطّبع والنّشر - القاهرة 1959-1962

18- المجرد من الأخبار النبوية.

19- المجرد من أمثال الميداني.

20- المختارت من ديوان الترسال.

21- المختار من شعر أبي تمام والبحتري وديك الجن والمنتبي.

22- المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء

23- المفتاح المنشا في حديقة الإنشا

تح: هلال ناجي - الموصل 1983

24- مناظرة بين الخريف والزبيع

25- الوشي المرقوم في حلّ المنظوم

* ط1: مطبعة ثمرات الفنون - القاهرة 1298هـ

• ط2: نح: د. جميل سعيد- منشورات المجمع العلميّ العراقيّ- بغداد 1989.

المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر:

هذا الكتاب أكثر مؤلّفات ضياء الدّين بن الأثير أهميّة. ألفّه في الموصل في السنوات العشرين الأخيرة من حياته، ولم يكتف بإذاعته في النّاس، بل استمر يقلّب النّظر فيه تعديلاً وإضافة. وهو كتاب ضخم، يضمّ مقدّمة ومقالتين.

تدور المقدّمة حول البيان وأدواته وآلاته، وحول الشاعر والكاتب وما يجب أن يتحلّيا بـه. و هـي في عشرة فصول:

١- في موضوع علم البيان

2- في ألات علم البيان وأدواته

3- في الحكم على المعاني

4- في الترجيح بين المعاني

5- في جو امع الكلم

6- في الحكمة التي هي ضالة المؤمن

7- في الحقيقة والمجاز

8- في الفصاحة والبلاغة

9- في أركان الكتابة

10- في الطَريق إلى تعلُّم الكتابة.

هههالتران العرب ههههههههههههها دسمر رودي الفيط هههه

أمًا المقالتان فالأولى منهما في الصنّاعة اللّفظيّة، والثّانية في الصنّاعة المعنويّة. قسم ضياء الدّين المقالة الأولى الخاصّة بالصنّاعة اللّفظيّة قسمين:

* الأوّل: في اللّفظة المفردة

يدور هذا القسم حول التفاوت في الألفاظ، والوحشيّ والمبتذل منها، إضافة إلى حركاتها ومخارج حروفها.

* والثاني: في الألفاظ المركّبة

يدور هذا القسم حول الألفاظ في حال التَركيب. وقد قسمه ضياء الدّين ثمانيــة أقســام، بحـث فيهــا قضايا السّجع والتّجنيس والتّرصيع ولزوم ما لا يلزم والموازنة والمعاظلة والمنافرة.

أمّا الصنّاعة المعنويّة، وهي المقالة التَّانية في الكتاب، فقد مهدّ لها بالحديث عن الخطابة والشّعر والكتابة، وذكر فيها نموذجات من كتاباته ورسائله، ثمّ عالج قضايا هذه الصنّاعة في ستة عشر نوعاً، انصرف كل نوع منها إلى جانب من جوانب المعنى، كالإيجاز والاستدراج والإطناب والعطف والتّقديد والتأخير والخطاب والنّفي والتّشبيه والالتفات والتّوكيد والاستعارة.

ولا شك في أنّ كتاب "المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر" ينمّ على ثقافة ابن الأثير الموسوعيّة، في القرآن والحديث والشّعر والنّثر على حدّ سواء. وهذه الثّقافة مكّنته من الإحاطة بكتب الأدب والنقد والبلاغة، وجعلت كتابه معرضاً لما انتهت إليه مصطلحات البلاغة والنّحو والصرّف والعروض بعد استقرارها، وفرصة للمقارنة بين المؤلّفات التي تنتمي إلى حقل معرفي واحد، ومجالاً لتحديد المفهومات الأدبية والنقديّة في القرنين السّادس والسّابع الهجريّين. بيد أنّ أهميّة "المثل السّانر" نتبع قبل أيّ شيء آخر من محاولة ضياء الدّين الجمع بين الأدب والبلاغيّة والنقد في مستوى واحد، هو مستوى العلاقة بين الإبداع ونقده. فالقواعد النّحويّة والصرّفيّة والبلاغيّة لا تذكر في هذا الكتاب لكي تُعْرض تعريفاتها وحدودها، بل تُذكر لبيان مكانتها في الفعاليّة الأدبيّة الإبداعيّة، والفعاليّة النّقديّة،

لهذا السبّب لم يكتف ضياء الدين بجمع آراء سابقيه وتصنيفها، بل راح يناقشها ويدل على مواطن الجودة والرداءة فيها. وساعده على ذلك جَمْعه بين موهبتين: موهبة الكتابة الإبداعية وموهبة النقد الأدبي. فهو كاتب وناقد في أن معا، وكتابه "المثل السّائر" تعبير عن الموهبتين كلتيهما. فقد نقد في هذا الكتاب نصوص سابقيه والمعاصرين له، ولكنه لم يقتصر على ذلك، بل أورد نصوصاً من تأليفه ليقدم للقارئ مثلا أعلى للنصوص الأدبية يخلو من السلبيّات التي انتقدها في أثناء التحليل. وكان أحيانا يقارن بين نصوصه ونصوص سابقيه ومعاصريه ليُحقّق الهدف نفسه أو وحى به.

وعلى الرغم من أنّ اعتداد ضياء الدين بنفسه جعله يوهن نصوصاً كتبها معاصروه والسّابقون عليه، فإنّ ذلك لا يحجب محاولته الرّائدة في تذييل الرأي النّقديّ بنصوص يتوافر فيها الجمال الفنّي

والصنّعة المحكمة. وهذا ما يجعل القارئ المعاصر يفيد من "المثل السّائر" في تنمية تذوقّـه للنَصـوص الأدبيّة، وفي التزوّد بالمهارات النّقديّة الأساسية كالتحليل والموازنة والتّعليل والاستنتاج، وفي الاطّلاع على تجربة نقديّة تنطلق من "شكل التّعبير"، ولكنّها تجعل "شكل المحتوى" يتحكّم في أنـواع الـدّلالات ومظاهرها.

ولا شك في أنّ معاصري ضياء الدين تلقّفوا كتبه، فأعجبوا بها أو سخطوا عليها، وراحوا يؤلّفون كتبا في النّناء عليها أو الحطّ من شأنها. واستمر الاهتمام بابن الأثير إلى أيّامنا، فكتب المعاصرون لنا بحوثاً ودراسات حول فعاليّاته النّقديّة والأدبيّة.

وهذا ثبت بالمؤلِّفات التي كتبها القدامي والمعاصرون عنه:

- 1- الروض الزاهر في محاسن المثل السائر المؤلف مجهول
 - 2- الفنك الدائر على المثل السائر ابن أبي الحديد

نح: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة- دار نهضة مصر للطّبع والنّشر - القاهرة 1964. (نشر الكناب في نهاية المثل السائر - الجزء الرّابع).

3- نَشْرُ المثل السّائر وطيّ الغلّك الدّائر - لأبي القاسم محمود بن الحسين الركن السنّجاري، المعروف بالحافظ اليغموريّ (ت: 640هـ).

4- قطع الدّابر عن الفلك الدّائر - عبد العزيز بن عيسى

5- نزهة النَّاظر من المثل السَّائر - نجم الدِّين بن اللَّبوديّ

6- نصرة النَّائر على المثل السائر - صلاح الدّين الصقديّ (ت: 764هـ)

تح: د. محمد علي سلطاني- مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق 1972

7- ضياء النين بن الأثير وجهوده في النقد-د. محمد زغلول سلام مكتبة نهضة مصر القاهرة 1956.

8- ضياء الدين بن الأثير - د. محمد ز غلول سلام

دار المعارف خوابغ الفكر العربيّ 36 -القاهرة- د.ت

9- ضياء الدين بن الأثير - د. أحمد مطلوب- بغداد 1988.

10- منهج البحث في المثل السّائر - د. على جواد الطَّاهر - الموصل 1982

11- جولة مع ضياء الدّين بن الأثير في كتابه المثل السّائر - أحمد محمّد عنبر - القاهرة ... 1954.

التشبيه الدائري هي الشعر الأموي والمرائد الأموي والمرازع المرازع المر

د. إسماعيل أحمد العالم

اللخص

البحث ظاهرة التشبيه الدائري في الشعر الأموي، ليتعرف إلى ما قاله وعد الشاعر الأموي، ليتعرف إلى ما قاله وعد الشاعر الأموي فيها، ومدى إفادته من فنية الشاعر الجاهلي في هذا السبيل، إذ وقف على موضوعاتها ومصادرها، ووقف البحث على ما نال إعجابه منها وما نفر منه، وما جدّد فيه وما قصّر، وليخلص البحث إلى مدى صحة المقولة القديمة الجديدة، إنّ الشعر القديم بعامة والأموي بخاصة يعدّ امتداداً للشعر الجاهلي في فنيته وموضوعاته.

اجتمعت دوافع غير قليلة لدراسة ظاهرة التشبيه الدائري في الشعر الأموي، منها توافرها في شعر الشاعر، إذ أجرت الدراسة استقراء لشعر ثمانية شعراء أمويين، فوجدت عندهم ثلاثين تشبيها دائريا، ومعنى ذلك أن الشعر الأموي تتوافر في نتاجه هذه الظاهرة، ولا أغالي لعلها أكثر ورودا فيه منها في الشعر الجاهلي (1)، ومن دوافع الدراسة أيضا الاطمننان إلى المقولة القديمة الجديدة التي سحبها الدارسون القدماء والمحدثون من أدباء ونقاد- على الشعر الأموي بعامة إنه امتداد للشعر الجاهلي في موضوعاته وفنيته، فهو في معانيه وتراكيبه وأساليبه وصوره يرتد إلى العصر الجاهلي، وهذا يتفق والظاهرة التي ندرس، فبذرتها تحققت في أرض الجاهلية، ونموها واستمراريتها تحققت في الزبة الأموية، ومن دوافع الدراسة وأقواها البحث القيم الذي قدمه الدكتور عبد القادر الرباعي، والذي سارت على هديه خطوات هذا البحث، كل ما ذكرته كان دافعاً لدراسة هذه الظاهرة.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الدراسة اعتمدت ما جاءت به دراسة (التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي) من الناحية التاريخية، كما اعتمدت مصطلح (التشبيه الدائري) الذي أطلق على هذه الظاهرة

^{*} أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية و أدابها في جامعة اليرموك، دكتوراه في الأدب القديم ونقده.

أيضاً (2)، وفي الوقت نفسه، لم ترفض الدراسة الحالية المصطلحات الأخرى إذا ما توافر في فاتحة التشبيه حرف النفي (ما)، وفي خاتمته اسم التفضيل على وزن (أفعل) المقترن بالباء، وقام على المقارنة بين طرفيه، وسبب عدم الرفض يعود إلى توافر مصطلح (التضمين)(3) -كما عرقه البلاغيون القدماء - في التشبيه الدائري وبخاصة في (المشبه به)، ومصطلح (الاستطراد)(4)، في المشبه به إذ تكثر الأحداث، ومصطلح (الطويل)(5)، لما يشغله طرفا التشبيه من مساحة مكانية أفقية أو رأسية.

والتأمل في هذه الظاهرة في الشعر الأموي من حيث توصيفها يقود إلى أنها كقرينتها في الشعر الجاهلي، فأقلها شطر واحد وبيت واحد، ومعظمها بيتان أو ثلاثة، وقليلها ما زاد على ذلك، كأن يكون أربعة أبيات أو خمسة أو أكثر، وكل هذا يعود إلى ما تكنه المشاعر والأحاسيس من عوز لهذه الظاهرة يختلف إلحاحاً، لذا تأتى على وفق ذلك إطناباً أو اقتضاباً.

وموضوعات التشبيه الدائري متعددة ومختلفة باختلاف ما تنتمي إليه من مصادر، فقد كانت في الشعر الجاهلي تنتمي إلى مصادر ثلاثة مرتبة حسب اهتمام الشعراء، أولها الحيوان، وثانيها الطبيعة، وثالثها الإنسان(6)، ولكن هذه الاهتمامات عند الشاعر الأموي طرأ عليها بعض التغيير، لذلك كان أولها الطبيعة، وثانيها الحيوان وثالثها الإنسان(7)، ولعل سبب مجيء الطبيعة أو لا يعود إلى ما لحظه الشاعر الأموي من جمال زائد في البيئة الأموية الجديدة تفتقر إليه بيئة الجزيرة العربية، ويؤكد ذلك ما لحظناء من انجذاب شاعر الفتح الإسلامي إليها، إذ شغل ذاته – إلى جانب ما شغلها من موضوعات – بوصف الطبيعة أكثر من حيوانها(8).

ومن موضوعات الطبيعة التي وقف عندها الشاعر الأموي يبثها أحاسيسه ومشاعره مرتبة حسب أولوياتها في الأهمية، الماء بعناصره، وله سبعة تشبيهات موزعة على النهر الجاري والمطر المنهل، والروضة ولها خمسة تشبيهات، والكواكب ممثلة بالشمس والبدر، ولها تشبيه واحد، ومقارنة بموضوعات الطبيعة عند الشاعر الجاهلي تكاد تكون متشابهة إلى حد ما(9)، ولا نغفل في هذه الحال عدد العيّنة التي اعتمدناها للشعر الأموي وما يقابلها في الشعر الجاهلي، مما يجعلنا نقر بانتشار ظاهرة التشبيه الدائري في الشعر الأموي أكثر منها في الشعر الجاهلي.

وإذا تأملنا في عناصر الماء، وجدنا النهر هو الأول اهتماماً في الشعر الأموي، إذ جاء بصفات وأسماء متعددة منها: المزبد، والغرات، والغدير، والبحر. فقول الأخطل في النهر كثير الزبد:

وما مزبد أيعلُ و جزائير حامر ألم اللهما خيزُرانيا وَغُراقِدا

تحرزَ منه أهل عانه بغدما كسا سُورها الأغلَى غُثَاءُ مُنْضَداً تَقَمَّ صَ بِالملاَح حَتَى يَشُـقَهُ ال حِذارُ وإنْ كانَ المُشْبِيحَ المُغَـودَا

بمطّـــردِ الآذيَ جَـــون كأنمـــا (نــا بـــالقراقير النّعــامَ المُطـــرّدا

أبساريق أهدَتُهَسا ديسافُ لِصَرُخُسدَا به بُختُسهُ يَخمِلُنَ مُلكاً وسوددا(10)

كأن بنسبات المساء فسى خَجْراتِسهِ بساجُودَ سَسنياً مِسنَ يَرْسِدُ إذَا غَسدَتُ

ينسحب على جوانب متعددة، أولها: إذ شرع بوصف فيضان هذا النهر، فزبده "يعلو جزائر حامر"، ويشق شجر الخيزران والغرقد، وهذا جعل أهل عانة يحترسون من أن يطوف على ديارهم، بعد أن علا زبده حول سورها، وأوشك أن يطفو عليها ويغرقها، وثانيها: حديثه عن الملاّح، فهذا النهر يثير اضطرابه، حتى يرهقه الحذر منه خوف الغرق، على الرغم من ألفته له، واختباره الطويل لأمر الملاحة فيه، وثالثها: عودة الأخطل إلى وصف النهر المزبد، فأمواجه متلاحقة بيض، شبيهة بالنعام لزبدها، لا تبرح تعبث بالسفينة وتطردها في كل جهة، كما يقف الشاعر عند الطيور (بنات الماء) التي تطوف في مختلف نواحي النهر إذ يشبهها بالأباريق التي تُهدى فتنتقل من (دياف لصرخد)، ورابعها: ويتمثل كما يقول الذكتور الرباعي بقفل التشبيه – (11)، إذ يقول الأخطل إن هذا النهر في فيضائه الهائل المروع، ليس بأعظم عطاء من يزيد بن معاوية، رابطاً المشبه بشرط زمني مفاده: إن يقد الممدوح على إبله الخراسانية.

ومن صفات النهر وأسمائه (الفرات)، كقول عمر بن أبي ربيعة:

منًا على ظماً وحبّ شراب

أسكين ما ماءُ الفسراتِ وطيبه سِألةً منك وإن نسأيت، وقلمسا

ترعى النساءُ أمانــةً الغُيّــاب(12)

في البيت الأول يصف عمر بن أبي ربيعة نهر الفرات (المشبه به) بطيب شرابه، رابطاً ذلك بزمان يكون فيه المرء ظمآن، وهو وصف موجز، وفي البيت الثاني يقيم الشاعر مقارنة بين المشبه والمشبه به، فهذا النهر على الرغم من طيب شرابه فإنّه ليس بألذ من سكينة وإن نأت.

ومن صفات النهر أيضاً وأسمائه (الغدير)، كقول ذي الرُمّة:

وما ثُغَبٌ بسائتُ تُصَفَّفُ الصُبا باطيبَ مِن قيها ولا طغمُ قُرُفَ فِ

برمان لم يَنظُر بها الشَرْق صابحُ (13)

يصف ذو الرَّمَة في بيته غديراً عذباً، ضربته ريح الصّبا، وملأته السحب الممطرة، وهذا الغدير بعذوبة مانه، وخمر زَّمَان بطعم مذاقه، ليس بأطيب من فم ميّ صاحبته، وأعذب منه. فذو الرُّمَة وفَر للمشبه به الزمان (باتت)، ووفَر له أيضاً المكان (قرارة نهي).

ويصف الماء إذا كثر بأنه (بحر)، يقول جرير:

يَغُلُو السَهُونَ بِآذِيٌ وَإِزْبَادِ عِنْدَ الْعَنَاةَ وَعِنْدَ المُعْتَفِي الجادي(14)

يوماً باوسنع سنياً من سيجالكم

ما البَحْرُ مُغْلُولِنا تُسْمُو غُوَارِيلَهُ

لقد اكتفى الشاعر هنا بوصف المشبه به بسمو غواربه وزبده، بينما نجده يفصل في المشبه إذ حدّد وعين المستفيدين من عطاء الممدوح، وهما فنتان من الناس: العناة الذين سلبوا حريتهم بسبب أسرهم، فأطلق الممدوح سراحهم، والمعتفون المعوزون الذين يستجدون الناس لضيق ما في أيديهم، فكفاهم الممدوح مؤونة ذلك بما قدمه لهم من عطاء، لقد تحقق التشبيه الدائري في مقولة الشاعر إذ ورد في القفل مقارنة بين المشبه والمشنه به، فعطاء معاوية بن هشام بن عبد الملك أوسع من فيضان بحر سمت غواربه.

ومن عناصر الماء في شعر الشاعر الأموى (المطر المنهل)، يقول ذو الرُمة:

ومسا الوسسمي أولسة بنفسد تَهَالِ في مساريه انه لا أنب ف الله ق تشر تعل الله تعالى الله تعالى يلذى لَجِب تُعَارِضُهُ يُسِرُونَ رَغيب ب سَائِهُ إلا مُساكِ فلم تدع النسوارق عسرق بطن أصاب النّاس مُنْقَمَ سنّ الثُريَا ستادية وأتنعها طللا سنجوم الماع فانسحل انسحالا فاردفت الدراغ لسه بغنيث ونثرتها وجنهتها مراقب عليه الماء فاكتهل اكتهالا علي أثار والا اند لالا انت غيزلاغ كيل نشياص بفير فصار حياً وطنيق نفيذ خيوف علي خريسة العسرب الهسزالا يَشُبُ بُ على مساريه الذّبالا كأنَ منورُ الخوذان يُضحي اذا مَلَ تَ بينهما منالا(15) سأفضل في البرتة مين سلال

في البيت الأول يذكر الشاعر مطراً وصفه بـ (الوسمي)، ووفر له زمناً وهو فصل الربيع، ووفر له أيضاً مكاناً وهو (بنجد)، ووصفه (تهلل انهلالاً في مساربه)، وفي البيتين الثاني والثالث يذكر ما صاحب هذا المطر من رعد (يذي لجب)، ومن برق (بروق)، مشبها البروق بلمعانها بـ (شبوب البلق تشتعل اشتعالاً)، وفي الأبيات الرابع والخامس والسادس والسابع يتحدث عن كثرة الماء في هذا المطر، وعن النجوم التي أسهمت في هذه الكثرة، إذ رد ذلك إلى نجمي (الذراع) و (نشاص)، وخلص في البيتين الثامن والتاسع إلى ما تركه الوسمي من أثر، إذ أحيا الناس حتى أخصبوا، كما عمل على أن يزهر نبات الحوذان الذي شبهه الشاعر بذبالة فيها سراج، وفي البيت العاشر وهو القفل قارن بين المشبه به، فالوسمي وما تركه من أثر (في البرية) ليس بأفضل من بلال بن أبي بردة في المشبه والمشبه به، فالوسمي وما تركه من أثر (في البرية) ليس بأفضل من بلال بن أبي بردة في

愛愛愛 التر المعربي 愛愛愛愛愛愛愛愛愛愛愛愛 مإسماعيل أحمد الغالم 整要要の

عطانه لمن مالت بهم الأيام، وقد حرص ذو الرُمّة أن يربط المشبه بشرط زمني.

من خلال الأمثلة الشعرية التي قدمت، والتي مصدر ها الطبيعة نلحظ الشعراء الأمويين في حديثهم عن عناصر الماء يتشابهون ويختلفون، يتشابهون في توظيف التشبيه الدائري في مجالي المدح والغزل، ويتشابهون أيضاً في حرصهم على توافر المكان والزمان للمشبه به، وعلى ربط المشبه خاصة في مجال المدح بشرط زمني، ويختلفون في كم عدد الأبيات الشعرية التي تحمل ظاهرة التشبيه الدائري اتساعا وتفصيلاً أو ضيقاً واقتضاباً، وأعدنا ذلك في حينه إلى الحاجة النفسية لدى الشاعر، وإذا ما قارنا بين الشاعر الأموي والشاعر الجاهلي في حديثهم عن عناصر الماء في ظاهرة التشبيه الدائري وجدنا أنهم يتشابهون ويختلفون أيضاً:

يتشابهون في حرصهم إلى حد ما على ذكر التفصيلات التي تتعلق بالمشبه به، وخاصة عند الحديث عن النهر، فكلاهما يبدأ بوصف النهر وصفاً عاماً، وكلاهما يذكر الملاّح وما يعتريه من حذر وخوف، وكلاهما أيضاً يستخدمه في مجال المدح، ويتشابهون في كم أبيات التشبيه الدائري، فهي تتراوح بين القلة والكثرة، ويتشابهون في اقتران المشبه بشرط زمني، خاصة في مجال المدح، ويختلفون إلى حد ما في أن التشبيه الدائري الذي يعتمد على عناصر الماء تكون فيه عناصر القصة في شعر الشاعر الأموي أكثر وضوحاً منها في الشعر الجاهلي.(16)

والموضوع الثاني من موضوعات الطبيعة الذي اهتم الشاعر الأموي بتصويره (الروضة)، يقول الأخطل:

بالقَهْر بنين شدقايق ورمال ونَمَات باستدَمَ وابار هَطَال وزمَال فَرَمَال أَنْ فَالْمَال فَرَنُ الزّخارف، زُيّات بصفّال للشّمَاس، غيب دُجُنّاة وَطِالاً للشّمَان العَشْيى وساعة الأصال (17)

ما رَوْضَةَ خضراءُ، أَزْهَرَ نَوْرُهَا

بَهِ جَ الربيعَ لَهَا، فَجَاد نَباتُهَا

حتى إِذَا التَّهُ النباتُ، كأنَّهُ

نَفْتِ الصَبَا عَنْها الجَهَامَ وأشرقَتُ

يَوْماً، بِالْمَلْحَ مِنْكِ بِهِجةً منطق

في هذه الأبيات نلحظ الأخطل قد عمل على توافر الأشياء التالية للروضة:

أ- في البيت الأول وصفها (روضة خضراء)، و(أزهر نورها)، وحدّد مكانها (بالقهر بين شقائق ورمال).

ب- في البيت الثاني حدّد زمان هذه الروضة (الربيع)، وذكر العناصر التي اسهمت في ايراز حمالها.

جـ- في البيت الثالث عاد الشاعر ثانية ليصف الروضة (حتى إذا التَفَ النبات كأنَّهُ لـون الزخارف...).

د- في البيق الرابع عاد الشاعر ثانية ليذكر العناصر التي أسهمت في جمال الروضة (نفت الصباعنها الجهام)، و (أشرقت للشمس).

هـ في البيت الخامس وهو القفل، أجرى الشاعر مقارنة بين المشبه (صاحبته)، والمشبه به
 (الروضة)، إذ قال إن تلك الروضة الطيبة النضرة الندية ليست بأجمل من صاحبته، وأمتسع من حديثها معه، عندما يقبل عليها في العشي.

ان حديث الروضة في الشعر الأموي يكاد يكون بعامة متشابها وإن اختلف في تفصيلاته بين زيادة ونقصان تبعاً لعدد الأبيات التي ابتناها التشبيه الدائري، فالتسعر يصف الروضة ويذكر مكانها وزمان الحديث عنها، والعناصر التي تسهم في إبراز جمالها، ثمّ يقيم المقارنة بين طرفي التشبية فيما اصطلح على تسميته به (القفل). إلا أنّ بعض الشعراء يبتسر الحديث عن الروضة، مكتفياً بوصف نباتها وذكر مكانها والعناصر التي أسهمت في إخصابها، ثمّ يأتي إلى القفل مقارناً بين طرفي التشبيه، وبهذا يكون قد أسقط زمان الحديث عنها. (18).

وأشد الشعراء ابتساراً عمر بن أبي ربيعة إذ اكتفى بذكر مكان الروضة، ثم قارن بين طرفي التشبيه، مسقطاً زمان الحديث عن الروضة ووصف نباتها، والعناصر التي أسهمت في الحصابها(19)، وأوسع من الشاعرين الفرزدق وعمر بن أبي ربيعة تفصيلاً القتال الكلابي إذ وفر للروضة المكان، ووصفها، وذكر العناصر التي أسهمت في إبراز جمالها (الندى والصبيب)، ثم جاء بالقفل ليقارن بين المشبه والمشبه به(20)، ومثل صنيع الفتال الكلابي كان صنيع ذي الرُمّة، فالروضة يصفها، ويذكر العناصر التي أسهمت في جمالها، ويذكر نباتها، ثم يقارن بينها وبين المشبه (12)، ولكن الذي كان لافتاً للنظر في صورة (الروضة) في الشعر الأموي (وجه الشبه) الذي ورد في القفل حيث المقارنة بين طرفي التشبيه الدائري، كأن يكون في مجال الرائحة(22)، أو فني مجال حديث الصاحبة(23)، وحرص الشاعر الأموي أيضاً أن يقيد وجه الشبه بزمان، كأن يكون بعد هجعة، أو بعد النوم، أو بين العشي وساعة الأصال، أو الغدو (24).

وفي هذا المقام يليق بنا أن نتأمل الروضة في ظاهرة التشبيه الدائري في الشعر الأموي وقرينتها في الشعر الجاهلي في ابتناء في الشعر الجاهلي الجاهلي في ابتناء عنصر الروضة في ظاهرة التشبيه الدائري من حيث وصفها وذكر مكانها وزمانها والعناصر التي أسهمت في صنع جمالها، والمقارنة بين طرفي التشبيه في القفل، والمجالات التي قام عليها وجه الشبه. (25)

والموضوع الثالث من موضوعات الطبيعة الذي وقف عنده الشاعر الأموي مصور أ -الشمس والبدر، يقول مجنون ليلي:

ولا البــدر واقـــى أسنــعدَ ليلِـــةَ البَــدُر على أله البَــدُر على ذلك أو راءى المحـبُ، فمــا أدري (26)

فما الشمس وافَّت يَوْمَ دَجْن فأشرقَت المُحسَدِقَة عَالَمُ المُحسَةُ المُحسَدِقة المُحسِة الم

愛愛愛 التر المعربي இ®®®®®®®®®® داسماييل أحمد العالم 窓際の優</u>

مضمون البيتين أنّ الشمس في إشراقها، والبدر في الليلة الظلماء ليسا بأحسن من صاحبة الشاعر ملاحة، لقد عمل المجنون على المقارنة بين الشمس والبدر من جهة، وصاحبته من جهة أخرى.

وبعد، فإن حديث الطبيعة في ظاهرة النشبيه الدائري في شعر الشاعر الأموي لم يكن على وتيرة واحدة، فقد نال كل من الماء وعناصره والروضة حظوة كبرى من اهتمام الشاعر الأموي، وخلاف ذلك -كحديث الكواكب ممثلة في الشمس والبدر - لم يرد إلا مرة واحدة في نتاجه، كما أنّ دائرة الطبيعة في ظاهرة التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي كانت أكثر نوعاً وأقل كماً من قرينتها في الشعر الأموي. (27)

وأما موضوعات الحيوان التي وردت في ظاهرة التشبيه الدائري في الشعر الأموي مرتبة على وفق مالها من صدارة، فكانت الظبية هي الأولى إذ حظيت بسبع صور في شعر الشعراء الذين اتخذهم البحث عينة للدراسة، فقد صوروها في حال كونها أماً، وفي حال كونها ابناً، وفي حال تعرضها للصيد، أما في مجال الظبية الأم، فيقول مجنون ليلى:

السى رَشْسَا طِفْسَل مَقَاصِلُسَة خُسَدُرُ رَهَسَائِمَ وَسَسَمَى سَسَحَائَبِهُ غُسَرُرُ بِأَخِرَعِ حَسَرُوْى وهِسَى طامِسَنَةً دُشَرَ وآخسرُ مِغْهَادُ السَرَّوَاح لَسَهُ رَجْسِرُ وأنوارها واخضوضَلَ السورَقُ النَّضَرُ روانسخ للإظسلام ألوانها كُسِدُرُ وأشار آیسات وقد راحسَتِ الغَفْسِرُ السَّ التَفَاتا حين ولَت بها السَّفُرُ (28) قما أمَّ خِشْفِ بِالْعَقْيقِين تَرْعَوى

بِهُ خُضَاً بَ جِسَادَ الرّبِيعِ رُهَاءها

وَقَفْ اعلى اطلال ليلى عَشْمَيَةً

يُجِاذُ بِهَا مُزنَّان: اسحَمُ بِاكْرَ

واوقى على رَوْض الخُزَامِي نسيمُها

رُوَاحاً وقد حَبَّت اوائِل ليليين مُرْعَوِ

باخشَن من ليلي مُعيدة نظرم

في هذه الأبيات يحدد الشاعر مكان الظبية الأم (بالعقيقين)، ويصف وليدها (طفل مفاصله خدر)، ويذكر مرعى الظبية الأم (بمخضلة) إذ أصابها المطر الوسمي الغزير (جاد الربيع زهاءها رهائم وسمي سحائبه غزر)، ويذكر الشاعر مستطردا أطلال صاحبته ليلي، ووقوفه عليها (عشية)، ويحدد مكان هذه الأطلال فهي (بأجرع حزوى)، ويصفها (فهي طامسة دثر)، وكعادة الشعراء عند الوقوف بأطلال الصاحبة يذكرون ما أنهل عليها من المطر، فقد ألم بأطلال ليلي (مزنن)؛ واحد منهما وقت البكور وهو (أسحم) اللون، وثانيهما وقت العشي (له رجز)، ثم يعود الشاعر ليستوفي حديثه عن مرعى (أم خشف)، فهي ترعى في (روض الخزامي)، وحديثه عن تصرفاتها (تقلب عيني خازل بين

مرعو وآثار آيات)، لأنها متوجسة على وليدها، ثمّ في القفل يقيم مقارنة بين طرفي التشبيه إذ يقول: إنّ أم خشف ليست بأحسن منظراً من ليلى وهي تنظر مرة تلو أخرى إلى صاحبها المجنون إبّان عزم قومها على السفر، فالشاعر في هذه المقارنة بين طرفي التشبيه (المشبه والمشبه به) وقف عند بعض الصفات المشتركة بينهما، وهي جمال العيون وخاصة زمن سفر القوم ورحيلهم.

ويقول عمر بن أبي ربيعة في مجال الظبية الأم أيضاً:

ما ظبيةً من ظباء الأرا ك تقرو دماث الرّبا عاشبا بأحسن منها غداة الغميم إذا أبدت الخدة والحاجب (29)

حدد الشاعر مكان الظبية فهي من ظباء (الأراك)، وذكر مرعاها (تقرو دماث الربا عاشبا)، ثم أقام مقارنة بينهما وبين صاحبته، إذ قال إنها ليست بأحسن منها (إذا أبدت الخذ والحاجب)، رابطاً ذلك بزمان ومكان؛ الزمان هو (الغداة)، والمكان هو (الغميم)، كما ربط تفوق صاحبته في مجال الحسن بشرط مفاده بروز الخد والحاجب.

ويقول ذو الرَّمَة في الظبية الأم أيضاً:

قما ظَنَيَةٌ تَرْعَى مساقِطَ رملةٍ

تلاعاً هَرَاقَتَ عِنْدَ حَوْضَى وقَالِكَ مُ أَيضاً:

مِنَ الْحَبْلُ ذَي الأَدْعَاصِ آملةٌ عُفْراً

راتَ أَنْسَنَا عِنْدَ الْخَسِلَاء فَاقَبَات والسَّا الْعَالَ عَنْدَا لَا فَالِي اللَّهُ عَفْرا اللَّهُ عَلَي اللَّهِ عَلَي اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ عَلَي اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

في هذا التشبيه قارن ذو الرُمة بين الظبية وصاحبته ميّ، إذ حدّد المكان الذي ترعى فيه الظبية (مساقط رملة) التي عادها المطر فأخرج من بطنها نباتاً نضراً، وحدّد أين استقر ماء المطر (عند حوضى)، وذكر الأرض الفضاء التي كانت تمرح فيها الظبية في (حبل ذي الأدعاص آملة عُفرا)، وذكر أيضاً من رأته في تلك الأرض الفضاء وهو الإنسان، ولعله صياد، وأشد ما يبهر أنّ الظبية أثناء ذلك لم تفزع ذلك الفزع، ولم تنفر نفاراً قبيحاً أكثر من أنّها مدّت عنقها، فهي مطمئنة، إنّ ظبية ذي الرُمة في (المشبه به)، ليست بأحسن من ميّ (المشبه) صاحبته عشية حاولت (التجعل صدعاً في فؤاده أو وقرا).

من خلال الأمثلة نلحظ أنّ الشعراء الأمويين قد تشابهوا في الحديث عن الظبية كطرف من أطراف التشبيه الدائري إلى حد ما، إذ حددوا مكانها، والمرعى الذي ترتاده، وما أصابه من مطر، وبعضهم ذكر مراعاتها لولدها، كما تشابهوا أيضاً في الحديث عن المرأة كطرف أخر من أطراف التشبيه الدائري، فهي دائماً الأحسن في جمال نظرات عيونها، والأحسن في جمال وجهها، والأحسن فيما يصدر عنها من دلال وتصرفات وحركات لها أثرها في صاحبها، إذ تجعله متيماً مكبلاً لما أبدته

والترا المراب المرا

من تمنع وصد، ولا ينسى الشاعر الأموي أن يشير إلى الزمن الذي تكون فيه صاحبته أحسن وأجمل من الظبية، كأن يكون (عشية) أو (غداة)، ولم ينس أيضاً أن يذكر المكان الذي يسهم في الحسن والجمال كأن يكون (الغميم)(31).

وعند موازنة ما لحظناه في شعر الشاعر الأموي إبّان حديثه عن الظبية الأم بشعر الشاعر الجاهلي في مضمار ظاهرة التشبيه الذائري -بحكم أن تطابقاً عميقاً في حديثهما عن الظبية الأم، فكلاهما حدّد مكان الظبية (المشبه به)، وحدّد مرعاها وما ترعاه، والوسائل التي أسهمت في جعل المرعى غثاء أحوى، وتمّ هذا التطابق إلى حد ما بينهما أيضاً في حديثهما عن المرأة (المشبه)، فكلاهما جاء حديثه عن جمال المرأة، وإن كل حديث الشاعر الأموي أوسع فضاء، إذ ذكر بالإضافة إلى جمال العيون، جمال الوجه، وجمال حركات الدلال.(32).

وفي مجال الظبية الابن يقول الأخطل:

فما شُنَّادِنْ يَرْغَى الحِمْى ورياضَها بأخسَـنَ منْها نِـوْمَ خَــدُ رِحِيْنَــا

نِـــرُودُ بِمَكْدُـــول، نــــؤومٌ مُوشــــخ مع الجَيْشُ لا بِلْ هِـى اُبِـضُ واَصبِـخ(33)

لقد حدد الشاعر المكان الذي يرعى فيه ولد الظبية (الحمى ورياضها)، ووصف فهو (مكحول)، لما غشي عينيه من سواد كالكحل، وهو (نؤوم) كناية عن صوته الخافت، وفي البيت الثاني أقام الشاعر مقارنة بين طرفي التشبيه؛ الشادن (المشبه به)، وصاحبته (المشبه)، إذ يقول: إن الشادن الذي يرتعي الحمى والرياض، يقبل ويدبر فيها، مرحاً مصوتاً بصوته الخافت، ومكحول العينين -ليس بأجمل من صاحبته إذ طالعته يوم الفراق، بل إنها أملح منه وأشد رقة.

لمثل هذا ذهب الشاعر الجاهلي إذ ركّز على جمال عيني ولد الظبية، وذكر مرعاه ومكانه، وقارنه بصاحبته، إلا أنّ صاحبته أحسن منه(34).

أما الظبية في مجال الصيد، فيقول جرير:

تَرَعَى قَى ذُرَى الهَضَب النِثْنَامَا وإِنْ أَخَالَ الرُمَاةُ لها سيسهَامَا مُلَقَّااً أَهُ الها سيسهَامَا مُلَقَّااً أَهُ الْإِرْامَالَ الْكِرَامَالَ الْكِرَامَالُ الْكِرَامُ الْكِرْامُ الْكِرَامُ الْكِرَامُ الْكِرَامُ الْكِرَامُ الْكِرَامُ الْكِرَامُ الْكِرَامُ الْكِرَامُ الْكُلْمُ الْكِرَامُ الْكُلْمُ الْمُلْلُولُ الْمُعْلَى الْمُلْلُمُ الْكُلْمُ الْمُلْلُمُ الْمُلْمُ الْمُلْلُمُ الْمُلْلُمُ الْمُلْلُ الْمُلْمُ الْمُلْلُمُ الْمُلْلُمُ الْمُلْلُمُ الْمُلْلُولُ الْمُلْمُ الْمُلْلُمُ الْمُلْلُولُ الْمُلْلُمُ الْمُلْلُمُ الْمُلْلُمُ الْمُلْمُ الْمُلْلُمُلْمُ الْمُلْلُمُ الْمُلْلُمُ الْمُلْلُولُ الْمُلْلُمُ الْمُلْلُمُ

فما عَصنَمَاءُ لا تَخنَـو لِإلَـفِ تَـرى نَبُلَ الرُماة تطنِـشُ عنها مُوقَـاةُ إِذَا تُرَمَـى، صنيـود بانُورَ مِـن اُمَامَـةً، حيـن تَرجِـو

يصف الشاعر الظبية فهي ذات لون أبيض (عصماء)، ويذكر مرعاها (في ذرى الهضب)، ويذكر النبات الذي ترعاه (البشام)، ويذكر أيضاً ما تعرضت له من خطر إذ رميت بالنبل، إلا أن (نبل الرماة تطيش عنها)، إنها (موقاة)، علماً أنّ هذه النبل لو رمي بها الكرام الأدمتهم، ثم -في بيت القفل-

يقارن الشاعر بين المشبه (أمامة) والمشبه به (عصماء)، فالظبية التي ترعى البشام في ذرى الهضب، والتي تعرضت لسهام الرماة، ليست كأمامة في إشراقها وضيائها، رابطاً ذلك بوقت يرجى معه (جداها، وتروم لها مراما).

والموضوع الثاني من موضوعات الحيوان الذي ورد في الشعر الأموي في ظاهرة التشبيه الدائري (ألناقة) بوصفها أماً، يقول مجنون ليلي:

فَمَا أُمُّ سَقَبِ هَالِكِ فَـى مَضَلَـةً إِذَا فَكَرَتُـــةُ آخـــرَ الليـــل خَنُـــتِ بِأَبْرَحَ مِنِـى لوعـةُ غـير آننــى أَجَمِدِمُ احتَىائِي علـــى مَا أَكَنُــتِ (36)

في هذين البيتين وصف الشاعر (أم سقب) وولدها الـ (هالك)، وحدّد المكان (في مضلّـة)، وذكر حنين الأم لولدها (أخر الليل حنّت)، ودافعها الحب واللوعة والخوف عليه من سباع الأرض، ومع ذهك فعندما أجرى الشاعر مقارنة بين طرفي التشبيه؛ الناقة وذاته، قال: إنّ هذه الناقة لم تكن في لوعتها على سقبها (بأبرح) وأوسع من لوعة الشاعر على صاحبته ليلى، غير أنّه يكتم ذلك طيَ أحشائه.

والموضوع الثانث الذي ينتمي إلى الحيوان، ووقف عليه الشاعر الأموي في ظاهرة التشبيه الدائري- البقرة الوحشية، يقول جرير:

مـــا ذَاتُ اُرْوَاقَ تَصـَــدَى لُجـــؤُذَر بحيـثُ تَلاقَـــى عَــازَبٌ فــالأواعِسُ بأخسَنَ مِنْها يـوم قـالت: ألا تَــرى لِمَـن حَوَلَنا قيهم غيورٌ ونــافسّ(37)

يقارن جرير في بينيه بين طرفين ؛ صاحبته وبقرة وحشية، ويصف البقرة فهي (ذات أرواق)، وهي أم (الجوذر)، وقد أجرى الشاعر لقاء بين البقرة الوحشية الأم ووليدها الجؤذر في مكان (عازب فالأواعس)، وخلص في مقارنته إلى أنّ البقرة الوحشية لم تكن بأحسن من صاحبته فيما صدر عنها من قول (ألا ترى لمن حولنا فيهم غيور ونافس).

والموضوع الرابع الذي مصدره الحيوان، وورد في ظاهرة التشبيه الدائري في الشعر الأموي، قول الأحوص الأنصاري في بيضة النعام:

فما بَنِضَـةً باتَ الظَّلِيمُ يَحْفَها ويجعلها بَيْـنَ الجَنَـاحِ وحَوْصَلَـة بأخسَـنَ منها يـوم قـالت تَدُّلـلاً تَبَدُّلُ خليلـي، إننـي مُتَبِدَ لــهُ(38)

من عادة أسرة النعام في الشعر العربي القديم أن يتقاسم الظليم وزوجه حضانة البيض والفراخ، وظني أنّ دور الظليم في الحضانة يحكيه البيتان الشعريان، فقد حدّد الشاعر زمن جلوس الظليم على بيضه (بات)، وحدّد المكان الذي نزله البيض من الظليم (بين الجناح وحوصله)، فهذه البيضة وما

هِ التران المران المران المالم المالم

توافر لها من نعمة الحضائة ليست بأحسن من صاحبة الأحوص الأنصاري إذ قالت تدللا (تبدّل خليلي، إنني متبدلة).

والموضوع الخامس الذي يرتد إلى - الأسد، يقول جرير:

فما مُخْسَدِرٌ وَرُدٌ بِخُفُسِانَ زَارُهُ السِي القِسِرُن رَجْسِرَ الزَّاجِرِيانَ تَسَوَّرُدَا بأمضى من الحجَّاج في الحرب مُقَدِماً إِذَا بِعَضْهُمْ هَابِ الْخَيْاضَ فَعَارُدَا(39)

فأسد جرير من أسد (خفان) وزنيره فيه زجر لقرنه، ثم قارن الشاعر في القفل بين طرفي التشبيه، المشبه به (الأسد)، والمشبه (الحجاج)، وخلص إلى أن الحجاج في مضائه وإقدامه زمن الحرب أمضى من الأسد في زئيره، رابطاً وجه الشبه بشرط مفاده: إذا ما تقاعس الخائفون وفر المذعورون.

وبعد فإن حديث الشاعر الأموي عن الحيوان الذي ذكرنا في مجال التشبيه الدائري يكاد يلتقي في بوتقة واحدة، فجل الشعراء في حديثهم عنها، توخوا أن يتوافر للطرف الثاني (المشبه به) المكان والزمان، بينما عملوا على أن يتوافر للطرف الأول (المشبه) التفوق على الطرف الثاني، في مجالات كثيرة كأن يكون في مجال الحيون، وفي حسن القول والحديث، وفي بهاء الوجه وإشراقه، وفي تتيم المحبوب، كما حرصوا أيضا أن يتوافر للطرف الأول (المشبه) الزمان، كأن يكون ليلا، أو عشية، أو يوم الرحيل، أو غداة، وقلما عملوا على توافر المكان للطرف الأول، إلا مرة واحدة، إذ أورد عمر بن أبي ربيعة لفظ (الغميم) في شعره (40).

والمتأمل في الأمثلة التي قدمناها في موضوع الحيوان، يجد أنها جاءت جميعاً في مجال الغزل باستثناء منّال واحد جاء في مجال المدح إبّان المقارنة بين الحجاج والأسد، فالممدوح أشد مضاءً وإقداماً من الأسد.

والشاعر الأموي فيما ذهب إليه في حديثه عن صعور الحيوان يسير في فلك الشاعر الجاهلي، ويقتفي أثره، ويترسم خطاه، وهذا يدعم ما قلناه في الصفحة الأولى من صفحات البحث: إنّ الشعر الأموي امتداد للشعر الجاهلي في فنيته وموضوعاته، فقد صنع الشاعر الجاهلي الشيء نفسه، إذ وفر المكان والزمان للمشبه به، ووفر التفوق الجمالي للمشبه (41).

كما اتفق الشاعران في أن نكون صورة المرأة مقترنة وصورة الظبية، وصورة الممدوح مقترنــة وصورة الأسد، وزيادة على ذلك جعل الشاعر الأموي صورة المرأة تستحضر صورة بيضة النعام.

وأما موضوعات الإنسان في التشبيه الدائري فلها غير صورة منها أشمياء الإنسان الحياتية، ومنها الموضوعات الاجتماعية التي شغلت بال الإنسان الأموي، أما أشياء الإنسان الأموي، فيحكيها الشاعر ذو الرُمَة، ممثلة في مزادتيه:

وما شُنْتًا خُرْفًاءُ واهِيَتًا الكُلِّي

سقى بهما ساق ولمتا تبللا

تذكرت رَبْعاً أو تُوهَمت مُسْنَرُلاً (43)

باضنيغ مين عينيك للذمع كلما

في البيت الأول وصف ذو الرُمّة صاحبته بأنها (خرقاء)، ووصف مزادتيها، فهما (واهيتا الكلى)، وهما أيضاً (سقى بهما ساق)، فماؤهما قد انسرب بسبب ذلك، وفي البيت الثاني، حيث القفل، قارن الشاعر بين المشبه والمشبه به، بين عيني الشاعر و (شنتا خرقاء)، ووجه الشبه تضييع الماء، وخلص إلى أنّ المزادتين الخلقتين إذ انسرب الماء منهما ليستا بأضيع من عيني الشاعر في ذرف دمهما، وربط ذلك بشرط مفاده: تذكر الربع أو توهم المنزل.

أما الموضوعات التي شغلت بال الإنسان الأموي فمنها (الوجد)، يقول مجنون ليلى:

فما وجُـدُ أعرابيـةٍ قَدْفَت بهما عُدوفُ النّوى من حيث لم تَـكُ طُنّـتِ

إذا فكسرت نجداً وطيب ترابسه وخيمسة نَجْد، اغواست وارنست

بـــأكثر منَــــى خرَقَـــةً وصبابـــةً إلى هضباتٍ بـاللَّوى قــذ ٱظَـــتِ (43)

في هذه الأبيات يحكي الشاعر العناصر التمي ولَدت وجد الأعرابية، منها: (صروف النوى)، ومنها (إذا ذكرت نجداً وطيب ترابه)، وإذا ذكرت (خيمة نجد)، ثمّ يحكي أثر هذا الوجد في الأعرابية (أعُولُتُ وأرنَت). وفي البيت الثالث حيث (القفل) يقارن الشاعر بين المشبه (هو) أي الشاعر، والمشبه به وهو (وجد الأعرابية)، ويخلص إلى أنّ وجد الأعرابية ليس بأكثر مما أصابه من (حرقة وصبابة) تجاه ذاك المكان الذي أحبه (هضبات باللوى).

ومنها الهجاء، يقول الفرزدق:

وما شيء باضنيع مِن قُشنير ولا ضانٌ تربيع السي خَيال (44)

باقتضاب شديد، قدّم الفرزدق طرفي التشبيه، المشبه والمشبه بـه فـي الشطر الأول من البيت الشعري، مقيماً بينهما مقارنة مفادها: لا شيء أضبع وأحقر من قشير.

ومنها الثار، يقول ذو الرُمة: وما كان ثبار الامرئ القيس عندنا

بأدنى من الجهوزاء لهلا مُهاجرُ (45)

إن إدراك بني امرئ القيس للثأر منا، ليس بأدنى من الجوزاء على بعدها، لولا مهاجر والمي اليمامة الذي مكّنهم، والبيت يحمل مقارنة بين طرفي التشبيه؛ المشبه (الجوزاء)، والمشبه به (ثأر بنمي المرئ القيس).

ومنها الجود، يقول جرير:

فما كعب بن مامة وايسن سيغدى

بأجُودَ منيك يا عُمَر الجَوَادَا (46)

تكمن ظاهرة التشبيه الدائري في هذا البيت الشعري في المقارنة بين طرفي التشبيه المشبه ويمثله الخليفة (عمر بن عبد العزيز)، والمشبه به ويمثله (كعب بن مامة وابن سعدي)، فذان الرجلان ليسا بأجود من عمر بن عبد العزيز.

بعد الوقوف على النماذج الشعرية الخاصة بموضوعات الإنسان في التشبيه الدائري في الشعر الأموي نقول: إنّها قليلة كما ونوعاً، وهي دون ما يقابلها في الشعر الجاهلي نضجاً.(47)

بعد أن تحدّث البحث عن موضوعات التشبيه الدائري في الشعر الأموي، سواء أكانت تنتمي إلى دائرة الطبيعة أم الحيوان أم الإنسان، فمن المفيد أن ننعم النظر متفحصين النماذج الشعرية التي أوردها البحث لنرى مدى اقتفاء الشاعر الأموي آثار الشاعر الجاهلي، ولنرى ما انفرد به، ولكسي يتم ذلك، لا بد من التعرف إلى ما خلصت إليه النماذج الشعرية التي اعتمدها التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي، لقد ركزت نماذج التشبيه الدائري الشعرية في الشعر الجاهلي على الاهتمام بالحدث وشخوصه، والاهتمام بالمكان والزمان، كما ركزت على توافر القصيص الخرافي الذي مردّه إلى العقلية الجاهلية الأسطورية، وهي قصص لم تخل في الوقت نفسه من الضبط الواعي لتأليف عناصر ها(48)، إن الفاحص المتأمل في نتاج التشبيه الدائري في الشعر الأموى، يخلص إلى تحقيق ما تحقق للتشبيه الدائري في شعر الشاعر الجاهلي؛ من تركيز على الحدث والشخوص، والمكان والزمان، والعمل على توافر روح القصة (49)، لكنها قصة لا تنجسم والجانب الخرافي، لأنها كانت نتاج عقل واع لما هو فيه، فالشاعر الأموى ينتمي إلى دائرة الإسلام، والإسلام طهر عقله من الأساطير والخرافات، فهو إن نثر روح القصة في ظاهرة التشبيه الدائري، لا يطلق العنان لفكره أن . ينتج نماذج عليا؛ كالرجل المثال، والمرأة المثال، كما صنع الشاعر الجاهلي(50)، فمجيء الإسلام يعد ثورة غيرت من حياة العرب الجاهليين ومن طبيعة المجتمع العربي في العصر الجاهلي في شتى جوانبه تغييراً بعيد المدى، فقد جاء الإسلام داعياً إلى الإيمان بديـن واحد، ورب واحد لا شريك لـه، ونبذ عبادة الأصنام والأوثان، وجاء ثورة أدبية أيضاً غيرت من الصورة التي كان عليها المجتمع الأدبي في العصر الجاهلي، لذا لا مجال للقصة الخرافية الأسطورية في شعر الشاعر الأموى، فقصته إن لم تكن واقعية، فإنها تجرى على نمط الفنية الجاهلية شكلًا، لا رمزاً وإيحاء يصب في التيار الخرافي الأسطوري.

وجملة القول إن ظاهرة التشبيه في الشعر الأموي -وما توافر لطرفيها من تحديد للمكان والزمان، ومن أحداث وشخوص، ومن روح قصصية جاء بها تفكير واقعي أشرق بنور ربه، لا يشوبه فكر خرافي أسطوري- لم ترق إلى منزلة قرينتها في الشعر الجاهلي، لما توافر لطرفي ظاهرة التشبيه الدائري فيه من أحداث وشخوص، وتحديد للمكان والزمان يكاد لا يخلو من ذلك نموذج شعري جاهلي يقع في دائرة الدراسة، وهذا ما لم يتحقق في كل نموذج من النماذج الشعرية الأموية (51)، ومما لحظه البحث أيضاً، ما ذهبت إليه دراسة (التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي) من تحقيق الوحدة العضوية المحكمة في كثير من القصائد التي ورد فيها التشبيه الدائري، بل عمقت الدراسة

المقولة إذ ذهبت إلى أن التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي شكل للقصيدة وحدتها العضوية لأنه حوى أكثر أبياتها(52). فمما لا شك فيه أن من يستقرئ نماذج التشبيه الدائري في الشعر الأموي، ويتأملها في القصائد التي وردت فيها، يخلص إلى أن هذه الظاهرة تسهم في بناء الوحدة العضوية في القصيدة الأموية كقرينتها في القصيدة الجاهلية، وشاهدنا أن كثيراً من النصوص الشعرية التي وردت فيها الظاهرة حدث لها انفجار في طرفي التشبيه. وبخاصة في (المشبه)، فكثيراً ما تجاوز (القفل) وتعداه إلى أبيات كثيرة، ولعل انفجار هذه الظاهرة يؤدي إلى إنشاء تشبيه دائري جديد، فهذا قول الأخطل يقارن بين صاحبته وولد الظبية:

يَسرودُ بهكدُسول نسؤوم مُوَثَّنَسخُ
مع الجيش لا بل هي أبضُ وأصبخُ
وأنجَسلُ منها مُقَلَّدَيسن وأملسخُ
بمسك وبالكافور يُطلَسي ويُنِضَخ
تَغُورُ التُريّا في المساء فتَجَنَّحُ

فما شمادن يَرعى الجمئ ورياضتها بأحسن منها يَرعى الجمئ ورياضتها بأحسن منها يَرومَ جَدَّ رحيانا ومضحكاً لها أرَج جُنْد خ العِشاء كأنَّه بالطيب مِسن أزدان ذلقاء بعدما إذا الليال ولسى واستبطَرَّت نُجُومُه

وردت ظاهرة التشبيه الدائري بطرفيها؛ المشبه والمشبه به، في البيتين الأول والثاني، وعقدت المقارنة بينهما في البيت الذي اصطلح على تسميته ب (القفل)، ولكن هذه الظاهرة بطرفيها أيضاً انفجرت مرة ثانية، وخرجت من بيت (القفل) الذي فيه المقارنة، وامتدت إلى الأبيات التي تلي، لتشكل قفلاً ثانياً لتقع هذه المقارنة بين الشادن وصاحبة الشاعر، فالشادن ليس أجمل عنقاً ومبسما، وليس أوسع مقلة وأجمل من صاحبته، ولم تكتف هذه الظاهرة بما ذهبت إليه، فقد أخذت تصف المشبه باسهاب، ثمّ جاءت بقفل ثالث لتقارن بين المشبه والمشبه به، إذ قال: إنّ الطيب الذي يطلى ويمزج بالمسك والكافور، والذي يشتد تضوعه في المساء، إن ذلك الطيب ليس بأشد من الطيب الذي يتضوع من أكمام قميص صاحبته (ذلفاء)، وربط ذلك بشرط زمني مفاده قبيل الصبح عندما تفسد الأطياب والأنفاس.

ويقول مجنون ليلى أيضاً:

فما وجُدُ أعرابية قَدَفت بها إذا ذكرت نجداً وطيب ترابع باكثر منسى خرقة وصبابة تمنت أحاليب الرعاء وخيمة

صرُوفُ النَّوَى من حيث لم تَكُ ظنَّتِ وخيمَ النَّوَى من حيث لم تَكُ ظنَّتِ وخيمَ النَّوَى من حيث لم تَكُ ظنَّت اللَّمِي وَالنَّاتِ اللَّمِي وَالنَّاتِ اللَّمِي وَالنَّاتِ اللَّمِي وَالنَّالِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ الْمُلْمُ اللْمُلْمُ الْمُلِمُ اللْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلْمُ اللَّهُ الْمُلْمُ الْمُلْمُ ا

ههه التراز العربي هههههههههههها مرساييل أحمد العالم هههههههههها

وبرد الضحى من نحو نَجد ارَئُتِ سُحنَراً فلولا أثناها لَجُنُّتِ غَدَاهُ ارتحلنا غدوةُ واطمانُتِ(54) إذا ذكرت ماءَ العضاء وخيمةً لها أنَّه قبل العِشاء وأنهةً بالوَّه والْهِ أَنْهُ وَالْهُ الْعِشاء وأنهة بالوَّه وجدتَّه

فإذا كان نموذج الأخطل الشعري حكى انفجار الظاهرة في المشبه، فإن انفجارها في نموذج مجنون ليلى الشعري وقع في المشبه به، وكان من نتائج انفجار ظاهرة التشبيه الدائري الإنتيان بقفل ثان يتمثل في قول الشاعر:

بــُاوْجَدَ مــن وجُــد بليلــى وجدّتــة غــداة ارتحلنــا غــدوة واطمــأنت

إنّ ما لحظناه في النموذجين السابقين، من انفجار في ظاهرة التشبيه الدائري سواء في المشبه أو في المشبه أو في المشبه به، أو في كليهما، ليعد علامة من علامات الوحدة العضوية التي تنهض بها الظاهرة في الشعر الذي ترد فيه.

وبعد هذه السياحة مع ظاهرة التشبيه الدائري في الشعر الأموي، والوقوف على مواضع ورودها والمصادر التي تردّ اليها، وتوصيفها، وموازنتها بقرينتها في الشعر الجاهلي، نخلص إلى إدراك الشاعر الأموي ما كان فيه الشاعر الجاهلي من قدرة في خلق فنه، إذ نهج نهجه، وترسم خطاه إلى حد ما، كما جاءت الظاهرة التي ندرس تؤكد توافر الفن الجاهلي وامتداده في الفن الأموي.

🔳 الهو امش

ا- انظر الدراسة التي أقامها الدكتور عبد القادر الرباعي بعنوان التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي، العجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، العند السابع عشر، العجلد الخامس، سنة 1985، ص 130، فالعينة التي اعتمدتها الدراسة تتكون من اثنين وعشرين شاعرا، لهم ثمانية وخمسون تشبيها، فبالمقارنة مع العينة التي اعتمدها البحث الذي نحن بصدده، نخلص إلى أنّ حضور ظاهرة التشبيه الدائري في الشعر الأموي أكثر كما ونوعاً من التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي.

- 2- التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي، د. عبد القادر الرباعي، من صفحة 128-130.
- 3- العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط8، سنة 1977، ص 365.
- 4- في النقد الأدبي، (ديليا الحاري، ط دار الكتاب اللبناني، بيروت، سنة 1979م، ط4، ج2، ص 145، انظر شرحه لقصيدة متم بن نويرة في رثاء أخيه مالك، وانظر شعر متم في الكتاب نفسه وهو بتحدث عن (حزن النوق).
 - 5- تاريخ الشعر العربي، نجيب محمد البهبيتي، دار الفكر للطباعة والنشر، طبعة القاهرة، سنة 1950م، ص 95.
 - 6- انظر: التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي، ص 130.
- 7- انظر: مجريات بحث التشبيه الدائري في الشعر الأموي وموازنته بالشعر الجاهلي. الذي نصن بصدده، إذ جاء

金金金 البران - 79 金金金金金金金金金金金金金金金金金金金金金金金金 البران المسروي

- اهتمام الشاعر الأموي مبايناً لاهتمام الشاعر الجاهلي.
- 8- تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي، د. يوسف خليف، طبعة دار الثقافة بالقاهرة، سنة 1976م، ص 23.
 9- انظر التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي، ص 134.
 - 10- شرح ديوان الأخطل التغلبي، إيليا الحاري، بيروت، سنة 1968م، ص 91.
- المزبد: النهر الكثير الزبد، حامر: ناحية بين منبج والرقة على شط الغرات، الخيزران: نوع من الشجر المعروف، غرقد عوسج، تحرز: أي تهيّب منه وأعدّ له ما يقيه أذاه، يقتص: أي يثير اضطرابه، المشيح: المجرّب، المجدّ، الاذي: الموج، جون: هنا أبيض، المطرد: الذي يتبع بعضه بعضاً، زفا: حثّ، القراقير: جمع قرقور، السفينة الطويلة، بنات الماء: طيوره، حجراته: نواحيه، دياف وصرخه: قريتان، بخته: إبله الخراسانية.
 - 11- انظر التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي، ص 134.
- الديوان، لعمر بن أبي ربيعة المخزومي، إعداد وتحقيق على ملكي، منشورات دار إحياء النتراث العربي، بيروت، د. ت، ص 258.
- 13 الديوان، لذي الرئمة، غيلان بن عقبة (ت ١١٦هـ)، تحقيق الدكتور عبد القدرس أبو صالح، دمشق، 1973م، جـ
 2، ص 867 الثخب: الغدير العذب، تصفقه الصبّا: أي تردده وتضربه، النهي: الغدير، أباقته: ملاته، الروائح: السحب تمطر ليلاً، رمّان: موضع.
- 14- النيوان، لجرير بن عطية الخطفي (ت 14هـ)، دار صادر ودار بــيروت، سنة 1964م، ص 123، غواربــه: أعالمي موجه، الأذي: العوج، السيب: العطاء، سجالكم: الواحد سجل، وهي الدار العظيمة.
- 5أ− ديوان ذي الرُمَة: حـ3، ص 459.ا، الوسمى: المطر والغيث، تهلّن: صبّ، انهلالاً: انصباباً، بذي لجب: أي لـه صوت، وهو صوت الرعد، البُلق: الخيل، شبوب الخيل: أي كما تشب الغيل، العرق: كل موضح فيه نبـات، الرغيب: الواسع، اليوارق: السحاب فيه برق، والواحدة بارقة، منقمس النثريا: مغيبها، طـلال: من الطل، وهو الذي، الساحية: المطرة التي تقشر الأرض، الذراع: نجم، انسحل، أي تبع بعضه بعضاً، سجوم: صبوب، اكتهل: تمّ وطال، نشاص: نجم، العز لاه: مصب الماء، يشب: يشعل، الحوذان: نبت.
- أًا- لو أجرينا مقارنة بين النماذج الشعرية التي تتعلق بعناصر المماء في الشعر الأموي، والنمـاذج الشـعرية التـي تتعلق بعناصر الماء في الشعر الجاهلي، والواردة في ص 134، ص 135، لرأينا تحقيق ما ذهبنا إليه.
- 17 شرح ديوان الأخطل، ص 550، القهر: موضع في أسافل الحجاز، الشقيقة: الفرجة بين جبلين، النّـور: الزّهر، الأسحم: السحاب المتكاثف الغيرم، الصبّا: الربح الشرقية، الجهام: السحاب البادي العبرس، الدُجُنّة: هذا الغمام المطبق، الطلان: جمع طل وهو الندى، أو العطر الخفيف.
 - 18- انظر الديوان، للفرزيق، همام بن غالب بن صعصعة (ت111هـ)، دار صادر، بيروت، جـ 2، ص 85.
 - 19- ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص 228.
- 20- انظر كتاب تاريخ الأنب العربي، للدكتور عمر فروخ، دار العلم للملاييـن، بـيروت، ط4، سـنة 1981م، جــ1، ص 435.
 - 21- ديو ان ذي الرئمة، جـ2، ص 958.
 - 22- المصدر السابق نفسه.
 - 23- شرح ديوان الأخطل، ص 550، وديوان عمر بن أبي ربيعة، ص 228، وديوان الفرزدق، جـ2، ص 85.
 - 24- انظر إلى مظان النماذج الواردة في البحث الذي نحن بصدده، فهي تشير إلى مصادرها ومراجعها.

金金金 التر العرب 金金金金金金金金金金金 مراسماعيل أحمد العالم 金金金金

- 25- النشبيه الدائري في الشعر الجاهلي، ص 135.
- 26- ديوان مجنون ليلي، قيس بن الملوح، تحقيق عبد الستار فراج، دار مصر للطباعة، د. ت، ص 167.
 - 27- التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي، ص 136.
- 28- ديوان مجنون ليلي، ص 128، خدر: جمع أخدر، ولعله من الخسدر و همو النقل والفتور، ويبراد بذلك ضعفه، الخشف: ولد الظنية، الرهائم: الأمطار، الوسمي: أول مطر الربيع، الخازل: المنقصف الظهر، المرعوي: الراجع، العفر: جمع أعفر، وهو نوع من الظباء. السفر: المسافرون.
- 29- ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص 95%، تقرو: تتبع، النماث: جمع دمث، وهو المكان السهل المرتقى، الرّبا: جمع ربوة، وهي ما ارتفع من الأرض، عاشبا: ذا نبات، غذاة الغميم: أراد غذاة الثقينا في الموضع المممى بالغميم.
- (31- ديوان ذي الرُمَة، جـ3، ص 1414، مساقط الرملة: الواحد مسقط، وهو منقطعها، الواكف: المطر، نضر: أخضر، التلاع هراقت عند حوضى: أي كان مصبها عند حوضى، قابلت: استقبلت، الحبل: من الرمل مـا طـال منه، املة: رملة، عفر: بيض تضرب إلى الحمرة، أنساً: أي إنساناً، عند الخلاء: عند الخلوة، الوقـر: تـأثير فـي العظم.
 - 31- انظر في النماذج الشعرية التي أوردناها في الظبية الأم.
- 32- وازن بين ما أورده الشاعر الأموي إبان حديثه عن الظبية الأم في هذا العجال وما ورد في (النشبيه الدانري في الشعر الجاهلي)، ص 131.
- 33- شرح ديوان الأخطل، ص (641)، الشادن: ولد الظبية الذي فطم عن أمّه، العمسى: ما يحمى من الأرض حول البيت أو سواه، يرود: يُقِل ويدبر، المكعول: هو الذي غشي عينيه سواد كالكحل، النؤوم: الذي له صموت خانف، أبض: أرق.
 - 34- التتبيه الدائري في الشعر الجاهلي، ص 131.
 - 35- ديوان جرير، ص 441، الملقاة: المقابلة بالشر، عصماء: صفة للظبية لبياضها.
 - 36- ديوان مجنون ليلي، ص 87، السقب: ولد الناقة.
- 37- ديوان جرير، ص 253، أرواق: الواحد روق وهو القرن، وأراد بذات أرواق: البقرة الوحشية، عارب والأواعن: موضعًان.
- 38-شعر الأهوص الأنصاري، جمع وتحقيق عائل سليمان جمال، الهينة المصرية العامة للكتاب، سنة 1977م، ص 176، الظليم: ذكر النعام، الحوصلة من الطائر: بمنزلة المعدة من الإنسان.
 - 39- نيوان جرير: ص 146، الخياض، خوض الحرب، عرد: هرب وفر.
 - (41- انظر ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص 259.
 - 41- التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي، ص 131-134.
 - 42- ديوان ذي الرُمّة، جـ3، ص 1897، شنتًا: الواحدة شنة، وهي القربة الخلق، واهيتان: خلقتان.
 - 43- ديوان مجنون ليلي، ص 85.
 - 44- ديوان الفرزدق، جـ2، ص 64، تريع: تضطرب وتخاف.
- 45- ديوان ذي الرُمّة، جـ3، ص 1756، مهاجر : هو المهاجر بن عبد الله الكلابي والي اليمامة، ومن ممدوحي ذي الرُمّة.

- 46- شيوان جرير ، ص ١١١٦، كعب وابن سعدي كلاهما من أجواد العرب.
 - 47- انظر (التشبيه الذائري في الشعر الجاهلي)، ص 136-140.
 - 48- المرجع السابق من صفحة (١٤١-١42.
- 49- يمكن رصد ذلك من خلال التأمل في نماذج الذير الواردة في البحث الذي نحن بصدده، وكذلك في نموذج المطر الوسمي، ونماذج الروضة والطبية.
- (51- انظر (التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي)، ص 145، وقارنه بالنماذج الشعرية الواردة في البحث الذي نحن بصدده.
 - 51- يمكن إدر اك ذلك إذا نمت المقارنة النقيقة بين النماذج الأموية والنماذج الجاهلية في نطاق الشعر .
 - 52- انظر (التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي) ص 143 وما بعدها.
 - 53- شرح ديوان الأخطل، ص 640 وما بعدها.
 - 54- ديو ان مجنون ليلي، ص 85، 86.

■ المصادر والمراجع

- الأحوص الأنصاري، ديوانه، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال، الهيئة المصرية العلمة للكتاب، القاهرة، سنة 1977.
 - 2- الأخطل التغلبي، ديوانه، شرح إيليا الحاوي، بيروت، سنة 1968م.
 - 3- إيليا الحاوي، في النقد الأدبي، طبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت، سنة 1979م.
 - 4- جرير بن عطية الخطفي، ديوانه، دار صادر ودار بيروت، سنة 1964م.
 - 5- ذر الرئمة، غيلان بن عقبة، ديوانه، تحقيق عبد القنوس أبو صالح، دمشق، سنة 1973م.
 - أ- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ط8، سنة 1977م.
- 7- عبد القادر الرباعي، بحثه الموسوم بـ النشبيه الدائري في الشعر الجاهلي. المجلة العربية للعلوم الإنسانية الكويت، العدد السابع عشر، العجلد الخامس، سنة 1985م.
 - 8- عمر بن أبي ربيعة، ديوانه، إعداد وتحقيق على ملكي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
 - (١- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، سنة 1981م.
 - ١١١ الفرزنق، همّام بن غالب بن صعصعة، ديوانه، دار صادر، بيروت، د. ت.
 - ١١- مجنون ليلي، قيس بن العلوَّح، ديوانه، تحقيق عبد الستار فرَّاج، دار مصر للطباعة، د. ت.
 - 12- نجيب محمد البهبيتي، تاريخ الشعر العربي، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، سنة 1950.
 - 13- يوسف خليف، تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي، طبعة دار الثقافة بالقاهرة، سنة 1976.

بسمالله الرحمن الرحيد تحليل نص هيئ رسالة التوابع والزوابع (إجازة تابع امرئ القييس الايسين شهيد)

نادر حقّاني

الغضة البناء الغني للقصة وجماليّات الأسلوب حجمالية الصورة الشعرية النوصيل النوصيل التوصيل اليها البحث.

مخطط اليحث

جانب نظري ويتضمن: 1-دواعي البحث.. المنهج.. الغاية 2-التعريف برسالة التوابع والزوابع 3-نص قصة تابع امرئ القيس

الجانب النظري

1-دواعي البحث.. المنهج.. الغاية

-جانب تطبيقي ويتضمن:

يأتي اختياري لهذا البحث بعد اطلاعي على عدة نصوص، وتقليبي لوجهات النظر فيما بينها، وانتهائي لاختيار هذا النص من أجل دراسته دراسة تذوقية، والذي دفعني لاختياره هو تمثله لشخصية ابن شهيد بأبعادها النفسية والاجتماعية والأدبية بأسلوب متميّز يشدّ الانتباه، ويشير في النفس الدهشة والغرابة.

حتى إنَ الأسئلة تتبادر إلى الذَّهن بصيغ متعدّدة عن طبيعة هذا النصّ، فهل تأثر ابن شهيد في

كتابته لرسالة التوابع والزوابع بالفكر اليوناني كما ذهب بعضهم!، أم جاءت رسالته عربيّة الطّابع والطّبع، وما هو هدفه من هذه الرّسالة، وهل ظهرت طبيعة عصره في رسالته، وإلى أيّ مدى كان موقفاً في إيصال الفكرة إلى المتلقي؟

كلّ هذه التساؤلات دفعتني لأختيار هذا النّص من أجل تحليله من خلال العناصر الغنيّة المكونّة لبناء القصة 2 ، وجماليّات الأسلوب 3 ، والصورة الشعرية 4 ، كما أبرز القيمة الجماليّة للنّص من خلال أهميّة التّوصيل 3 في العمل الأدبي، مظهراً نفسيّة ابن شُهيد من خلال النّص وأكون بذلك قد نهجت المنهج الغني 3 والنفسي 7 .

وقبيل التحليل أعرف برسالة التوابع والزّوابع، وفي ثناياه أجيب عن الأسئلة التي دفعتني لاختيار النصّ، وأختم التّحليل بالنتائج التي توصّل إليها البحث.

وغايتي من هذا التحليل تقديم صورة عن أدب ابن شهيد ونفسيته من خلال النص، وتبقى محاولة مني لعلي أقدم شيئاً يلقى القبول والتقدير، والله الموفّق.

2-التعريف برسالة التّوابع والزّوابع:

ورسالة التّوابع والزّوابع رسالة نثريّة خاطب فيها ابن شُهيد صديقـه أبـا بكـر بـن حـزم وعـرض فيها أروع نتاجه الشّعريّ والنثريّ، وقرنه إلى نتاج كبار أدباء المشرق مبيناً تفرّده وتفوّقـه، وعـرّض بخصومه وحسّاده من معاصريه الأندلسيّين والقرطبيّين.

والتوابع والزوابع قصمة رحلة خياليّة إلى عالم الجزر قام بها ابن شهيد مع تابع اسمه زهير بن مر ولقي شياطين المشرق وكتابهم، وجرت بينه وبينهم مطارحات أدبيّة، ومناقشات لغوية تجلّت فيها

[ً] يبريس هنري والشمر الاندنسي في عصر الطوائف) ص42- انظر فقد ذهب إلى أنّ ابن شهيد قد شائر بىالفكر البونـاني -تـر. د. الطـاهر أحمــد - مكّي - دار المعارف.عصر - القاهرة 1988 ط1.

در رشدي رشاد رفيز المفسة المصيرة) ص17 · 92 · 95 · 82 - 97 - 121 - دار العودة- بهورت- 1975 - ط2- ود. فضل صلاح وبلاغة المخلف وغل المنطقة على المنطقة المعدد المخلف الوطني المثقافة والمعدد المحال المخلف الوطني المثقافة والمعدد المحال المخلف الوطني المثقافة والمعدد المحال المخلف الوطني المثقافة والمعرد والأداب «المكويت 1992.

د. النَّابَة فايز رجماليَّات الأسلوب) ص16 -17 -20 -12 -68 -69 -73 -92 مديرية المطبوعات الجامعيَّة بحلب 1992

أد. اسماعيل عز الذئين وانتقسي المأدب) من ص63 حتى 76 - انظر فقد حدّد أسسيها ركيفية بناتهها -دار المعدرف.عصر 1963 رد.
 الباني نعيم ومقدمة ندراسة الصورة الفيّة) ص74 - إذ عرقها فقال: (هي التعبير عن التجربة على هيئة صور ذهنية) - وزارة الثقافة والإرشاد النوم. بدستين 1982
 المنوم. بدستين 1982

[.] د. البايل عيم إن مغال عن مفهوم النّقد عند غالب هلسا والموقف الأدبي) ص14 - العدد 2671 بملّة شهريّة تصدر عن اغــاد الكتاب العبرب بدمشن غهر 1993

علیل أحمد والرؤ یا الجمالیة في شعر الجاهلیة و صدر الإسلام) من ص296 و حتی 318 انظر البعد الفسی. بحث و سالة دكتبوراه قدام بجامعة
 حلب 1989 - روالموقف الأدبی ص14 - انظر فنیة النص.

والنفسي النفسي للأدب، من ص32 حتّى 36- انظر النُرجسيّة · ووالمؤويا الجماليّة في شعر الجاهلية وصدر الإسلام، من ص250 حتى 273- انظر النعد النفسي.

أراء ابن شهيد النقديّة، وانتزع اعترافهم بتفوّقه وجودة أدبه، فضلاً عن الفكاهات والطّرف وروح الدّعابة التي سرت في هذه الرسالة⁸.

3-نصّ قصة تابع امرئ القيس:

والنص الذي بين يدي ما هو إلا قصة جمالها في نسج أسلوبها، ودقة ألفاظها، وبعد مراميها الفكرية والحضارية والغنية، وقد جعل ابن شهيد والمنها: "تذاكرت يوماً مع زهير بن نمير أخبار الخطباء والشعراء، وما كان يألفهم من التوابع والزوابع، وقلت: هل حيلة في لقاء من اتفق منهم؟ قال: حتى أستأذن شيخنا، وطار عني، ثم انصرف كلمح البصر، وقد أذن له، فقال: حُل على متن الجواد، فصرنا عليه، وسار بنا كالطائر، يجتاب الجو فالجو، ويقطع الدو فالدو، حتى التمحت أرضاً لا كأرضنا، وشارفت جواً لا كجونا. متفرغ الشجر عطر الزهر، فقال لي: حالت أرض الجن أبا عامر، فبمن تريد أن نبدأ؟

قلت: الخطباء أولى بالتقديم لكني إلى الشعراء أشوق. قال: فمن تريد منهم؟ قلت: صاحب امرئ القيس. فأمال العنان إلى واد ذي دوح تتكسر أشجاره، وتترنم أطياره، فصاح: يا عتيبة بن نوفل بسقط اللوى فحومل، ويوم دارة جلجل، إلا ما عرضت علينا وجهك، وأنشدتنا من شعرك وسمعت من الإنسى، وعرفتنا كيف إجازتك له!

فظهر لنا فارس على فرس شقراء كأنها تلتهب، فقال: حياك الله يا زهير، وحيا صاحبك! أهذا فتاهم؟ قلت: هو هذا، وأيّ حمرة يا عتيبة! فقال لى: أنشد، فقلت: السيّد أولى بالإنشاد.

فتطامح طرفه، واهتز عطفه، وقبض عنان الشقراء، وضربها بالسوط، فسمت تحضر طولاً عنَّـا وكر ، فاستقبلناه بالصعدة هازاً لها، ثمَّ ركزها، وجعل يُنشد:

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا

حتى أكملها، ثمّ قال لي: أنشذ، فهممت بالحيصة، ثم اشتدت قوى نفسي، وأنشدت: شعبته مغان مسن سليمي والنور أ

ومِن قُبِّةَ لا يدرك الطَّرف رأسها تَـرَلُ بها ريعُ الصبَا، فتحـدُرُ تكلَفُتُها، واللينلُ قَـذ جِـاشَ بحـرهُ وقَــذ جعلـــت أمواجُـــهُ تتكسُّــرُ

^{*} انباها جانه رحب رالأندنسية وأثرها في أدب الأندلس في عصر الموخدين) ص177- بحث رسالة ماجستير قُدَّم بمامعة حلب 1997.

و المزر كلي حير المدين (الأعلام) ص163 -جدا - ابن شهيد الأشجعي ر382-426هـ) هو أحمد بن عهد الملك بين أحمد بن شهيد، من بهن الوضاح، من أشجع، من قيس عبلان. أبو عامر الأشجعي: وزير من كبار الأندلسيين أدباء وعلماً. مولده ووفاته بقرضة. له شعر حبد، يهزل في وبجد: في رديوان - ط) جمعه المستشرق شارل بلا. وتصانيف بديعة منها كشف الدك وإيضاح الشمك وحانوت عطار و "التواسع و الزراع- ط قطعة منه مصدرة بدرامة تاريخية لمطرس السمناني. وكانت بيسه وبين ابن حزم المظاهري مكانبات ومداعبات - دار العلم للمداوين - يورت 1979 - ط4

وفى الكفّ مـن عسّالةِ الخـط أسـمَرُ مُقيـلان مـن جـدَ الفتـى حيــن يَغــثُر وذا غصـُـنٌ فـى الكـفّ يجنــى، فيتْمــرُ ومِنْ تَحَتَ حَصَنَى اَبِيضٌ ذُو سَفَاسَـقَ همـا صاحبـای مـن لَـدُنْ كنـتُ بِافْعَــاً فَذَا جَدُولٌ فَـى الْغِمِدِ تُسَـقَى بِـه الْمُنْــى

فلمًا انتهيتُ تأمَّلني عُتيبةُ، ثم قال: اذهب، فقد أجزتُك، وغاب عنا 10٠٠.

-الجانب التطبيقي:

1-فكرة القصة:

والنَصَ هو قصمَة رحلة خياليَة قام بها ابن شُهيد مع زهير بن نمير للقاء تـابع امـرئ القيس هـذا اللقاء يقدّم فيه ابن شهيد نتاجه الشّعري، لينال إجازة من تابع امرئ القيس.

2-البناء الفنّي للقصّة وجماليّات الأسلوب:

ولكن كيف نسج ابن شهيد قصته؟ لقد جعل بدايتها لقاء مع زهير بن نمير فيه تمت إعادة ذكريات من التوابع والزوابع، هذه البداية هي بمنزلة العقدة الرئيسة في القصة التي انطلقت من خلالها الأحداث 11، وعلى منوال هذه البداية نسج ابن شهيد قصته لرغبة في نفسه، هي شوقه وتوقه للقاء تابع امرئ القيس، هذا الشوق يوحي باللون الأحمر 12 المعبر عن تعطشه للقاء ذلك التابع كي يحظى بإجازة منه.

وابن شهيد يمثّل شخصيّة البطل في هذه القصّة، كما يمثلها في أغلب قصصه، فهو البطل والرّاوي، بعكس ما هي عليه الحال في الملاحم، إذ تقوم أبطال القصّة بالقول والفعل، ويبقى الرّاوي خلف السّتار الذّاتي يراقب الأحداث وتطور اتها13.

وتأتى شخصيّة زُهير لتكون ظلاً لشخصيّة ابن شهيد إذ ترافقه أينما توجّه، وحيثما حلّ وتسهم

مطبعة الكندي بحلب -1983-ط1

ابن بساء انشتزيني أبو الحسن علي (انذّ عرة في محاسن أهل الجزيرة) ص212-213-214 جامعة فواد الأول- كلية الأداب مطبوع رقم: 26- انقسم الأول- المحلد الأول- مطبعة لجنة الناليف والنشر- القاهرة 1939- ط1- وابن شهيد (رسالة النوابع والزوابع) من ص221- حتى 125- الحيصة: الانهزام المغاني: الممازل، أنؤز: جمع دار، سفاسق فج ينّد السبف، مقيلان: منهضان -نحفيق: بطوس البستاني -مكتبة صادر يزرت - دون تاريخ.

^{11 (}فن انفصه انفصيرة) ص17- يجب أن يصور الحزر حدثًا، والبداية هي الموقف. ¹² الدملخي ابراهيم (الأنوان نظريًا وعمليًا) ص58- الأحمر الحزر مشهور ومثير ومهيج ومقلــن ومتعـب للأعصـاب ويـودي إلى الشــعور بـالملل-

أغريب جورج والشقر الملحمي -ناريخه وأعلامه) ص7- إذ قال: الشاعر في الملحمة رارية لا يعزل السباحة بينما الشّاعر الغمائي همو فارس الميدان - سلسلة الموسوعة في الأدب العربي رقم |6| دار الثقافة بيروت - بلا ناريخ.

\$\$\$ التراث العرب \$\$\$\$\$\$\$\$\$\$\$\$\$ نادر حقّاني \$\$\$\$

في إغناء مقدّمة القصمّة من خلال الحوار ¹⁴ الذي دار بينهما، والذي دلّت عليه المفردة (تذاكرتُ) التي توحي للوهلة الأولى بتداعي شريط من الذّكريات، وقد حُدّدت ماهيته ضمن السيّاق¹⁵ عن طريق التّصريح بأنّ التّداعي مرتبطً بالتراث القديم.

وفي الحوار يبدو سلوك ابن شُهيد الحضاري في تساؤله، وهذا التساؤل يوحي بتواضعه والتواضعه والتواضعه وهذا السلوك هادئ لوقار صاحبه، هذا الوقار اكتسبته نفسيته من أدبي النفس والذرس اللذين نهلهما من منابع الثقافة، ومجالس الخلافة، فقد ننشأ نشأة مترفة في زمن المنصور، وكان بعد ذلك على صلة بخليفتين هما يحيى بن حمّود والمستظهر 16.

ولا عجب أن يظهر سلوكه في ألفاظه لأنّ الإنسان ابن البيئة، وقد كان للبيئة دور بارز في تكوين شخصيته، وصقل مواهبه. وهدوء النفس يرتبط بسياق القصة من خلال التركيب اللغوي الذي تتألف فيه العبارات محافظة على الوحدة العضويّة عن طريق العبارة الدّالة على السلوك تـارة، ومن خلال اللفظة المنسجمة مع التعبير والملائمة للجو تارة أخرى.

ويظهر سلوك الأندلسيّ في احترام الكبار على لسان زهير (حتى أستأذن شيخنا)، و(حتى) في هذا السياق توحي بعمق الشّعور باكبار هؤلاء الشيوخ، ويوجز¹⁷ بحذف الجمل لدلالة الكلام السابق على المحذوف، ولو ذُكر هذا المحذوف لحدّ ذلك ضرباً من اللغو والحشو.

وبعد الاستنذان يمضى، والسيّاق يشير إلى ذلك (وطار عنّي، ثمّ انصرف كلمح البصر) إذ يتمّم هذا الحدثُ الحدثُ السابق، وتأتي جملة (وقد أذن له) مؤكدة سبب انصراف زهير، وموجزة في التعبير.

وشخصية الشيخ هي الثالثة، وقد جاء بها ابن شهيد، لتكون حلقة وصل بين ابن شهيد ووادي عبقر حيث يلقى تابع امرئ القيس، هذه الشخصية لم يتحدّث عن هيئتها وأوصافها، بل اكتفى بالإشارة إليها لأهميتها في نيل تذكرة القبول بالمغادرة عن طريق الحوار الذي جعل من هذا النيل حدثاً ثالثاً في القصنة عبر تسيير شخصية الشيخ له، وتأصيله بدعوة من زهير لابن شهيد لاستقلال جواد يرحلان عليه.

وتبدو الدقة باستخدام اللفظة الملائمة للسياق في لغة الحوار التي تجذب النّفس لمتابعتها لما فيها من بساطة ووضوح، فالمفردة (حُلّ) التي جاء بها بدلاً من (امتط) فيها دلالة على ذوقه الفنّي المنطبع

^{1-1 (}من المقصة المقصيرة) ص29- لا يجوز النفرين بين الحدث والشخصية لأنّا الحدث هو الشخصية وهي تعمل وهو يفعل.

أرجمانيات الأسلوب) ص20 السبّاق: هو العلاقة المشتجرة بين جمال النص وعباراته ونجارب الأصدّاء التي يُصدّر قسم منها في طرف، فبلشاه طرف آخر لميتضح ريتكامل.

^{14 (}ديوان ابن شهيد) ص13 - جمعه وحفقه: يعقوب زكي، وواجعه د. عمود علي مكي - دار الكتاب العربي للطباعة والنشــر - القـاهرة- دون ناريخ.

¹⁷ د. آخندي درويش (علم المعاني) ص165 - إيجاز الحذف: ما قُصد فيه إلى إكثار المعنى مع حذف شيء من السنز كيب، ريجب أن يقوم دليلً على الحذوف، وإلاّ كان الحذف ردينًا، والكلام غير مقبول- مطبعة الرّسالة بمصر- دون ناريخ.

金金金 التراث العرب 29 金金金金金金金金金金金金金金 (7 - 1) 金金金金

بحضارة الأندلس، كما أنّ نطقها فيه انسيابيّة ورشاقة ¹⁸، على حين أن (امتط) صعبـة الإرسـال لتتـافر حروفها وبُعْدها عن تألف الألفاظ في هذا السياق، كما أنّ (حلّ) تعطي الصورة المتخيّلة في الذهن عن ذلك الفارس الذي تعلوه الهيبة والوقار، وهو يتأهب لاعتلاء الجواد.

وابن شهيد يركز على وحدة نسيج القصة عبر اللفظ (سار بنا) بدلاً من (حلّق) لأن الجواد يسير، ولا يُحلّق من جهة، ولأن ابن شهيد يريد نقل المتلقي من الواقع إلى الخيال، إلى أرض ليست كأرض البشر، وهنا يدخل عنصر التشويق¹⁹ ليثير في النفس الدهشة والغرابة، وليجعلها تنتظر معرفة المزيد، ويأتي بمفرده (التمحت) بدلاً من (شاهدت) ليؤكد دقته في استخدام اللفظة المناسبة للجوّ، فهو في رحلة فضائية، يلمح معالم الأرض دون التماس جزنياتها.

لقد ادعى بيريس تأثر ابن شهيد بالفكر اليوناني²⁰، وكم كان هذا الادعاء باطلاً²¹? فلو أنه اطلّع على القراث العربي لما أطلق هذا الحكم، فالراحة عربية الطابع والطبّع، وهي مستمدة من التاريخ العربي الإسلامي، لأنها تشبه رحلة الإسراء والمعراج في فكرة الرحلة، وأصالتها في المساجلات التي حصلت بين ابن شهيد وشعراء المشرق العربي مما يؤكد انتماءها إلى التراث العربي الإسلامي، وينفي ما ذهب إليه بيريس، (كما أن رسالة التوابع والزوابع بُنيت على أساس الأسطورة العربية القائلة بأن لكل شاعر تابعاً يلهمه الشعر، ويعينه في صناعته)²².

وينساب التعبير اللغوي في هذا السياق، لتنتقل النفس إلى مشهد حيّ من مشاهد الطبيعة الحية، فإذا بخضرة ²³ الأشجار تزرع في النفس السلامة والطمأنينة، وتبعث فيها زهو الحياة وشبابها، هذا الزهو مرتبط بزهو حضارة الأندلس، كما أن حالة الصفاء تستشف من المشهد وتتحرك حاسة الشمّ بانتشار رائحة الأزهار التي تُغتَح النفس وتجعلها تتجذب، لتتأمّل ذلك الجمال عبر حاسة البصر التي تسهم في تكوين صورة فنية 24 ذات أبعاد حسية ونفسية 25 تسهم في إغناء الرحلة، والتأثير في المتلقى

^{*} الباسوف أحمد وجماليات المقردة القر أنية في كتب التفسير والإعمعاز) ص252- انظر ملاءمة بنية الكلمسة للمنز كيب- بحث رسانة ماجستير فذه بحامعة حلب 1991.

¹⁹ حويّي حان ماري (مسائل فلسفة الغن المعاصرة) ص48- إن الجمال الأسمى في الحركات يأتي من أفق الإرادة والعواطف، ولكي تجمله تعليله الصحيح، فلا بدّ من الصعود إلى هذا الأفق. تر: سامي المدروبي- مطبعة الاعتماد. يمصر 1948.

¹² - والأندنسيد و أثرها في أدب الإندلس في عصر الموحدين ص 191 - فقد ذهبت إلى ما ذهبت الباحثة - إذ قالت: ثم إنه لا بمكننا أن ننكر الأثر الدين الشمثل في قصة الإسراء والمعراج والذي بخلى لدى ابن شهيد في ذكره للجواد الذي حل على مننه مع تابعه زهبر وفسار بما كالطمائز يجناب الجو فالجو، ويقطع المدر قائدو) إنه على الأرجع صورةً للبراق الذي حل على مننه الرسول صلى الله عليه وسلم.

²² -(الأنوان نظريّاً رعمليّاً) ص58- فالأعضر مهدّى ومربح للإعصاب بما يجعل شعور المرء.بمرور الوقت ضعيفاً.

أن الناسوف أحمد والصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف)، إذ قسسم الصورة الفنية إلى أنواع، وقام بتحليلات عن كل نوع- الشسبة ص302- واللمسية 370 ص والذوقية ص384 واللونية ص403 والحركية 438- بحث وسالة دكوراه قدّم بجامعة حلب 1995.

^{. . (}ألباني نعيم ونطور الصورة الُفنية في الشعر العربي الحديث) ص217-218. إذ قال: ولعل أهم تطوّر أصاب اللون في هـذا النـرن أنّـه نُفـل ثلاثة نقلات هامة أو لاها من طبيعته الحياتية إلى طبيعته النفسية، والثانية من رؤيته عنصراً من عناصر الشـكل إلى رؤيته عنصراً من عنـاصر

عندما نثير في نفسه نوازع الشوق والنُّوق لتأمل جمال الطبيعة، وإدراك أبعاد ذلك الجمال.

هذه الجنة التي خالها ابن شهيد، تولّد حدثاً جديداً تولد معه شخصية عتيبة صاحب امرئ القيس عبر الحوار الذي دار بين زهير وابن شهيد، والذي فيه ايجاز بحذف الحرف²⁶ (يا) أداة النداء قبل (أبا عامر) لأنه منادى قريب متلقف للحديث، ولو ذكرت لفقد التركيب إنسيابيته.

ومجينه بأسلوب الإضافة ²⁷ لحظة استقباله يريد منه إكساب الكلمة تعريفاً حقيقياً يرصد أبعادها بكل دقة ومهارة، لأن هذا الأسلوب يجعل السامع يألف معه امتزاج الدلالتين للمضاف والمضاف إليه، ولجوء ابن شهيد لهذا الأسلوب في هذا السياق يعني أنه يريد أن يرسم ملامح من هذا وأخرى من ذك، فالأرض لا قيمة لها إن لم تكن هي هي (أرض الجنّ)، وبهذا يتفرّع الأصل إلى فرع بحسب السياق، وبحسب ماهيّة الدلالة المفردة التي تتحوّل إلى دلالة مركبة تسهم في إغناء الصورة، وإعطانها قيمة تعبيرية ذات مدلولات كثيرة. وتحديد ماهية الأرض من خلال الحوار فيه دلالة على إسهام الحوار في قيادة الحدث إلى الشخصية لتأصيل الحدث.

ويستمر جو الوقار في هذا السياق ليتسم جو السياق السابق (فبمن تريد أن نبدأ؟) دلالة على ا احترام المتحاورين بعضهم لبعض، وهو بهذا يعطيه حق الاختيار، وفي هذه العبارة إيحاءً بحرية الفكر في المجتمع الأندلسي²⁹ و كانت أحد أسباب ازدهار تلك الحضارة.

ويتابع ابن شهيد حديثه الرزين (الخطباء أولى بالتقديم) على الرّغم من شوقه للشعراء، وهذا الأسلوب في الكلام مرتبط بآداب الحديث، وكأن ابن شهيد يشير إلى تقنيات التربية في ذلك العصر، وطلبه لصاحب امرئ القيس فيه دلالة على نفسيته النزاعة إلى القمة، وعلى أن السيد لا يقابل إلا السيد، هذا الطلب كان عن طريق الانتقال من العام إلى الخاص، فهو يخصص امرأ القيس لأنه يدرك في أعماق نفسه أنه أفضل المشارقة من الشعراء، وهذا يدل على ارتباط ابن شهيد بالتراث العربي القديم.

ويمضي بالتصوير، فهو وزهير على متن الجواد في أعلى الوادي، وعتيبة في قعره والوادي لم يكن وروده عبثًا في هذا السياق بل جاء مرتبطًا بالأسطورة العربيّة القائلة بوجود وادي الجن الذي يقطن فيه ملهمو الشعراء، كما أنّ جو السياق يوحي بجنة خضراء مكتظة بالأشجار تجعل الناظر إليها يشعر ببطء الزمن لما فيها من ألوان وأشكال، كما تطرب النفس لصداح العصافير، الذي يُشعر النفس بالطمأنينة والهدوء، ويجعلها تتتشي لما ترى، وتطرب لما تسمع.

المعنى، رالثائنة من رضعه انتزيني كحلية للزركشة إلى رضعه الشعوري كأداة للتعبير – منشورات انحاد الكتــاب العـرب بدمشــن ط1- درن

^{° (}علم المعاني) ص165 -166 - من إيجاز الحذف حذف الحرف.

^{2 (}جمانيات الأسلوب) ص68 ·69

٣٪ (فن الفصة الفصيرة) ص122- من الخطأ الحديث عن بناء القصة منفصلاً عن نسيجها لأن النسيج والبناء شيء واحد.

^{29 (}ديوان ابن شهيد) ص15-16

泰泰泰 التراث العربي 金泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰 التراث المعربية

وفي هذا المشهد الطبيعي إشارة إلى فن توقف الفارس (فأمال العنان)، والإمالة ترتبط بالمكان العالي، وفي ذلك دلالة على ارتباط اللفظ بالمعنى في سياق القصة، ومفردة (تتكسر) تدل على الاستمرار والدوام، كما أنّ الشدة الظاهرة على اللفظ توحي بكثرة الأشجار، وتداخلها، ومفردة (تترنم) تتلاءم مع ذلك الجو الطبيعي 30 الذي تصدح فيه العصافير، وتغنّى لجمال الطبيعة.

وينادي زهير صاحب امرئ القيس باسمه، ذاكراً الأماكن التي ارتبط بها، هذه الأماكن تؤكد تواصل ابن شهيد مع التراث القديم، كما أنها تلخص مسيرة حياة امرئ القيس وأيام الترف والرخاء في دارة جلجل، وأيام البؤس والشقاء على زوال ملك كندة، فالبكاء على سقط اللوى فحومل.

ويقرن النداء بأسلوب القصر ¹³ (إلا) الدّالة على شوقه ولهفته لرؤية ذلك التابع، كما أنّها تدل على قدر تابع امرئ القيس، وبعد النداء تأتي الإجابة معلنة الانتقال إلى حدث جديد بشخصية رابعة عندها تحط الرّحال (فإذا فارس على فرس شقراء كأنها تلتهب)، وورود مفردة (فارس) في هذا السيّاق نكرة ³² فيه تعظيم لقدر هذا الفارس وللذهن أن يتصور مدى عظمة هذا الفارس بتصور الشقرة اللمتناهية في الفرس حتى يخالها تلتهب، والبعد الآخر لهذه الصورة فكريّ هو أنّ الشيطان من نار، أي أنّ عنصر الدّيمومة ملازمٌ لهذا الفارس، من خلال دوام الالتهاب واستمراره ³³، وارتباط هذا الاستمرار بصيغة المفردة (تلتهب) بدلاً من (ملتهبة)، ولو جاءت الصيغة (ملتهبة) بدلاً من (تلتهب) لبهتت الصورة، وضعفت لأنها فقدت عنصر الدوام في الالتهاب.

هذا الفارس بما أنّه تابع، فهو يعرف زهير بن نمير، والتحيّة التي أدلى بها (حيّاك الله يا زهير) تشير إلى بداوة هذا الشخص، وبعدها يتساءل مستغربا (أهذا فتاهم؟) هذا التساؤل يحمل في طياته الأنفة والكبرياء، كما أنّ مفردة (فتاهم) التي وردت على لسان عتيبة فيها دلالة على أنّ ابن شهيد يريد تمثيل الأدباء الأندلسيين في حضرة تابع امرئ القيس، كما أنّ فيها ايحاء بحبّ ابن شهيد لذاته 34، فهو يرى نفسه أفضل من الجميع، وتأتي الإجابة من زهير (هو هذا) لتؤكّد ذات ابن شهيد، ولتعلي من قدره أمام عتيبة عن طريق اسم الإشارة 35، ويوجز في الحوار بحذف الجمل ألها التي أراد من خلالها عتيبة الاستفسار عن سبب مجيء زهير، كما تحذف الجمل من الكلام السابق، وكأنّ حديثاً سابقاً دار بين عتيبة وزهير عن رغبة ابن شهيد في المجيء، وكانً عتيبة على اطلاع سابق على غاية ابن

⁽جانبات المفردة الغرانية في كتب النفسير والإعجاز) ص132- انظر جمانية تعيير الصيغة المتمثلة باللفظ عن حجم قوة الحركة.

المعانيات الأسلوب) ص 92

الم جانبات الأسلوب) ص7.3 ننصرف دلالة السكرة إلى محور أساسي تتوزع منه فروع دلالية لمواقف عدة، فمعنى العموم وعدم التحديد تنشعب منه دلالات الإنراد راتكتير والتهويل والتفخيم والتجاهل.

¹⁷ رجمانيات الأسلوب) ص16 - انظر صبغ الأفعال و دلانتها.

^{1 (}النفسير انفسيُ للأدب) ص33. - إذ أقدار إلى أنَّ المرجسية نملًا من المبدع إلى المبدع، رعلى همذا يصبح عسل الشاعر الجنز، الجنوهري في الشمنصية.

أن (علم المعاني) ص166- من إيجاز الحذف حذف الجمل.

\$\$\$ التراث العرب ههههههههههههه نامرحقنش هههه

شهيد في المجيء، هذا الإيجاز يفسح المجال للخيال لتصور مدى فراسة عتيبة وذكائه في إدراك سبب مجىء هؤلاء.

ويتساءل زهير عن المكانة التي تمنح لابن شهيد (وأي حمرة يا عتيبة)، وبهذا التساؤل تنتهي مهمة زهير ليلقى ابن شهيد عتيبة هذا اللقاء هو الحدث الأهم في القصة لأنّه يؤدّي إلى المغزى من خلال الحوار الذي دار بينهما إذ يطلب عتيبة من ابن شهيد إنشاد الشعر، ويبدو ابن شهيد متواضعاً كما هي الحال في بداية القصة، هذا التواضع فيه اعتراف بسيادة امرئ القيس لأنه الأقدم، وهنا يحترم ابن شهيد من هو أكبر منه قدراً، لأنّه يريد أن يظهر بمظهر الشاعر الممثل لشعراء الأندلس عليه هيبة الكبار، وتسيّر سلوكه طبائع وعادات استقاها من الوسط الاجتماعي الأندلسي والقصة في هذا السياق تقدم جاتباً هاماً من جوانب التربية 37 التي يتمثّل بها ذلك العصر، فقد هذبت طباعه أناقة القصور التي استظل في أفيائها، وخالط أصنافاً متعددة من أبناء المجتمع أيام النعيم واليوس، فهو نقطة الذائرة في عصره يرفع الأمراء قدره، ويخطب الوزراء صداقته، ويتبارى الشعراء والكتّاب بمساجلته 38، كلّ هذه الأمور ترتبط بهدوء حديثه، ووقار كلامه، وبروز ذاته.

وابن شهيد عندما طلب من عتيبة الإنشاد ملقباً إياه بالسيد، لم يكن لقبه عبثاً، بل كان يريد من هذا اللقب اعتراف عُتيبة به، كما أن عُتيبة عندما يسمع هذا الكلام ينتشي، وهذا ما حصل من خلال الحركات التي أبداها حتى إن المتلقي يخاله في زهوه وكبريائه يستعد لأمر عظيم، وهو في وادي الجن، وابن شهيد في أعلى الوادي، ويجمع بينهم الحوار، واستجابة عُتبة تقترن بالخيلاء من خلال الإيحاء الموجود في اللفظ (فتطامح طرفه)، وهذه نظرة الكبار الذي يأنفون من انحناء الراس، كما أنها تربط ببينة القصة فعتيبة في الوادي، ويريد الوصول إلى ابن شهيد.

وينبع تطامح الطرف باهتر از العطف (واهتر عطفه) إشارة إلى هيبة الموقف، وتتحرك الصورة بين هذا وذاك إلى ضرب الفرس التي يجعلها تتحرك، ويركز ابن شهيد على رشاقة اللفظ المرتبط بالحدث (فسمت) والمعبر عن نفسية ابن شهيد الطامحة للقمة، والمفردة (سمت) تؤكد تماسك السياق، ووحدته العضوية 39، في ارتباطه مع السياق السابق، وتتمم هذه المفردة (فسمت) المعنى، كما تؤكد وجود عتيبة في الوادي وابن شهيد في أعلاه.

وينطلق عتيبة اليهم، فيستغبلونه، فيتوقّف برهة، هذا الوقوف يرتبط بفن إنشاد الشّعر، عند الاستعداد للإلقاء حين يريح الشّاعر أعصابه، ويتأهّب للإنشاد، وهذا ما فعله عُتيبة ثم أنشد:

^{- .} انرعي رمادئ انتذر نظرية الأدب) ص60- فقد أشار إلى ضرورة البحث عن البعد الحقي في العمل الأدبي - مديرية المطبوعات الجامعية يحل 1992.

³¹ روسانة التوابع والزوابع) ص31

^{30 (}مادئ النفذ ونظرية الأدب) ص57 · إذ اكَّد أنَّ الرَّابط العضوي شرط ضروري من شروط فنيَّة الأدب.

3-جمالية الصورة الشعرية 40.

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا

واكتفاء ابن شهيد بذكر هذا الشطر على لسان عتيبة له دلالة على نفسية ابن شهيد التي ترى نفسها في القمة دوماً وحالة السمو تشير إلى ذلك، كما أن هذه المفردة ترتبط بشخصية قائلها، فهو ابن ملك كنده، وقمة شعراء المشرق، وتأتي كاف الخطاب (لك) لتدل على حالة السمو التي تلازم نفسية ابن شهيد، والمفردة (شوق) جاءت بصيغة النكرة الله لتدل على كثرة الشوق وشدته من جهة ولتبيّن عمق الصلة بينهما، وسمو الشوق بعد ركوده يؤجج المشاعر ويجعلها تضطرم داخل النفس، هذا الاضطرام يوحي باللون الأحمر المعبّر عن العلاقة الحميمية بينهما، وحالة السمو التي وردت على لسان عتيبة باختيار ابن شهيد لها في سياق القصة ما هي إلا تأكيد لنفسية ابن شهيد فيه دلالة على عظمته، الذات حتى على لسان الآخرين، هذا الاعتراف من عتيبة قبل إنشاد ابن شهيد فيه دلالة على عظمته، ويأتي الاعتراف متمماً لأحداث القصة، وملازماً لنفسية صاحبها.

وينهي عتيبة الإنشاد، ويطلب من ابن شهيد أن ينشده (فقال لي: أنشد)، ولا يأتي الإنشاد إلا بعد تبيان حالة ابن شهد عن طريق الإطناب 42 بالاعتراض الذي أراد منه التحسين لتشويق النفس كي نتابع الأحداث 43 والحالة التي انتابت ابن شهيد عندما طلب منه الإنشاد (فههمت بالحيصة) تشير إلي خوفه واضطرابه من جلال الموقف، ويتبع الخوف بالمواجهة (ثم اشتدت قوى نفسي) هذا الإتيان بين الجملة ونقيضها، يجعل القارئ يتخيل إنسانا أضطرب لسماع خبر ما، وبعد ذلك الخوف أراد المواجهة، وفي المواجهة تأكيد على قوة الإرادة التي ننغلب على الانفعالات إزاء الأشياء، وإبراز الحالة النفسية يشوق القارئ ليتابع الحدث تلو الحدث عبر إحكام النسيج 44 بقيادة الحدث لاكتشاف جوانب الشخصية، وبتأصيل الشخصية للحدث من خلال لغة الحوار البعيدة عن الإبهام، والموجزة في والتميير لتفسح المجال للخيال لتصور الأحداث والشخصيات التي تطورها.

و الأبيات التي أنشدها ابن شهيد تُصور ما ألت إليه حالته النفسية من ألم وشجن على تلك الدّيار التي عبثت بها أيادي الطامعين والناقمين من الفتنة التي حلت بالأندلس، وقد صرّح ابن شهيد في تتمة القصيدة التي قرأتها في ديوانه بتلك الفتنة إذ قال:

دريس الصوى معروفُها متنكــرُ 45

وداويَــة مــن فتنــة مدلهمــة

التفسير النفس للأدب) من ص89- حتى 96- انظر تطبيقات الصورة الشعرية في الشعر القديم.

¹¹ رجمانيات الأسلوب) ص73.

²º (علم المعاني) ص174 الإصاب هو زيادة الملفظ على المعنى لفائدة بلاغيَّة، كالاحتراس والنادَّب والنحسين والنكرار..

^{31 .} صنين حيسن (منذمة في نظرية الأدب العربي الإسلامي) ص27 - إن الأدب بمقل هذفه إذا حسد الواقع وفسره و حكم عليه - مديرية المطبوعات الجامعية بحلب 1994.

^{· (}من انفصة القصيرة) ص97 النسيج هو رحدة كل جزء فيه له رظيفته المعينة التي يؤديها مع غيره من الأجزاء.

اله رديو ان ابن شهيد) ص108.

ويتجلى الصراع عن طريق الحوار مع الذات (شجته مغان)، وصيغة الماضي 46 الملازمة للمفردة (شجته) ترتبط بالذكرى والذّكرى توحي بالألم الذي يعتصر الفؤاد، هذا الألم يوحي باللون الأحمر المعبر عن الحالة النفسية التي انتابت ابن شهيد من الجرح الذي أدمى الديار التي وصلت إلى قمة الازدهار، وإذ برياح الفتن تهب عليها لتنال منها، والمغاني التي أشجت ابن شهيد هي ديار الأندلس، وبذلك يكون ابن شهيد قد عبر عن حالته النفسية بشكل غير مباشر، لينقل انفعالاته إلى الأخرين، ويمضي ليستعيد أيام الازدهار التي وصلت إليها الأندلس، وهذا الحديث عن الازدهار ما هو إلا حالة تعوضية عما انتاب الأندلس من اضطرابات وفتن 47.

(ومن قبة) والمفردة (قبة) جاءت بصيغة النكرة ⁴⁸ لتدلّ على عظمة تلك الديار التي فضلت على ابن شهيد، وهذا إشارة إلى أصالته بعدم نكران فضل الاندلس عليه، والقبة تنقل القارئ إلى جوها ليتأمّل ذلك الجمال والسمو الذي وصلت إليه بحيث (لا يدرك الطرف رأسها)، والقبة توحي باللون الأخضر المعبر عن فتوة الحضارة وشبابها قبيل الفتنة، كما تأتي القبة لتوضيح معالم نفسية ابن شهيد الملازمة للقصة والسمو، وكأنّ ابن شهيد يريد القول: إنني ألازم تلك القمة التي لا تدرك النفس الإنسانية رأسها مهما حملت من مشاعر الشوق لرؤيتها.

والذوق المترف الذي تمثل به ابن شهيد يتجلّى بمجيئه بالمفردة (تزل) التي تتفق وهي تلك القبة التي از دهرت وسمت، كما أنها تشير إلى رونق البناء وجماله الهندسي، إذ إن الريح كالماء الذي ينساب منحدراً إلى الأسفل، وهنا تكمن براعة التصوير ودقته المتناهية، في رسم حالة الازدهار التي وصلت إليها الأندلس.

ولكن ما حصل أشجى ابن شُهيد، وجعله يفصل في حالته (تكلفتها) التي تعطي الصورة المتخيلة في الذهن عن ذلك الشخص الذي يواجه الصعوبات التي تعترض مسيرته في الحياة، هذه الصعوبات المتراكمة ما هي إلا هموم سود (4 توحي بحالة البؤس التي اعترت نفسية ابن شهيد لما ألت إليه حالة الاندلس التي صوره وقد أراد منه نقل الحالة الشعورية التي يحياها إلى الجميع، من خلال الاندماج مع الطبيعة (والليل قد جاش بحره) صورة سوداء مخيفة توحي بحالة القلق التي خيمت عليه، وقد أراد إزالتها ولكن هيهات، لأن الاضطراب يمثل حالة واقعية على حين ظن الشاعر ذلك اضطرابا في الطبيعة، وهنا يعبر ابن شهيد عن حالته بالصورة (أمواجه تتكسر)، وما اضطراب الأمواج إلا اضطراب في نفسية ابن شهيد من جهة، واضطراب في الوسط الاجتماعي الاندلسي من جهة أخرى.

¹⁷ رجمانيات الأصلوب) ص17

أَ (انتفسير النفسي للأدب) ص35. قد نكون النرجسيَّة حانة نعويضية.

XI. رجائيات الأملوب) ص73.

أو (الأثوان نظرياً رعميًا) ص75. أما المعاني التي توحي بالعناية بالسواد فإنها متناقضة، فهي نارة تشير إلى التكدر والقلق والفزع وعدم الجمرأة، وفقدان الأمل، ونارة نشير إلى التحدي وأنعاد والفؤة وعزة النفس.

هذا الاضطراب يجعل ابن شهيد في حيرة من أمره كيف يواجه ذلك الخطر؟ أجل! لا مواجهة للأخطار إلا بالسيف والرمح، وهما قوتان لا غنى عنهما في بناء الدولة والدفاع عنها.

وهنا يحرص ابن شهيد على الزمن والجو اللذين يرتبطان ببينته ومشاعره، ويمضي ليفخر بنفسه بشكل غير مباشر مؤكداً وجود ذاته عن طريق ياء المتكلم⁵⁰ (حضني) الصادرة عن حوار الذات، ويصل بين الشطرين بالواو لوجود اتحاد بينهما، وليرسم لوحة لإنسان يحمل السيف بيد والرمح بيد أخرى هذه اللوحة خالدة في الأذهان لأنها ترتبط بحالة القوة والكبرياء، وهو يبتعد عن التقريرية المباشرة ليرسم صورة شعرية أقى مسيرة حياته، وليؤكد ذاته بعد اهتزاز الأندلس، واضطراب نفسيته لهذا الاهتزاز، إذ شعر بحاجته إلى التعويض 52 عن طريق مساجلة شعراء المشرق، ليعيد التوازن والاستقرار إلى نفسه عندما ينال الإجازة من تابع امرئ القيس.

والنقطتان اللتان أشار إليهما ابن شهيد (السيف والرمح) يريد من خلالهما إثبات مقدرته فيهما فهما خلان وفيّان له، يقيلان عثرته إذا انتابته مصيبة، كما أنهما مرتبطان بالوقار والجلال في هذا السياق، وقد تطرق إلى هذا المعنى أبو تمام 53 والمتنبي 54، وقد جاءا بالمعنى في سياق الفخر الانفعالي ذي الإيقاع الحماسي المباشر، على حين جاء ابن شهيد به في سياق الحديث عن آلامه بشكل غير مباشر قارنا الشكل بالتصوير، محاولاً دغدغة المشاعر من خلال التعبير بالصورة التي أراد رسمها عن القوة التي تكون في الشباب، ونبضه الساعي خلف طموحاته في هذه الحياة، وفي الشدائد تكون أهمية السيف والرمح في إنهاض الفتى من عثرته.

وينهي إنشاده باستخلاص الغاية منهما بمشهد حي من مشاهد الطبيعة، فإذا غمد السيف جدول ماء يبرد غلّة العطشان ويروي ظماه، وجمال الصورة في هذا المشهد يكمن في تصوير الغمد جدول يقدم للإنسان متطلباته وأمانيه في هذه الحياة وإيجاز القصر 55- في هذا الشطر (فذا جدول في الغمد تسقى به المنى) - يرتكز على مفردة (المنى) التي ترتبط بأماني الإنساني اللامتناهية في هذه الحياة، وللذهن أن يتصور هذه الأماني سواء أكانت مادية أم معنوية. والصورة الأخرى في هذا المشهد تنبض بالمشاعر الإنسانية عن أهمية الرمح الذي خاله ابن شهيد، غصناً ينمو ويكبر ليثمر، وهذا النمو

ن حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب

[&]quot; (جانبات الأسلوب) ص46 انظر دلانة الضمير.

ا وانتفسير المفسي لاأدب) من ص63٪ حتى 76- والرزيا الجمالية في شعر الجاهلية وصدر الإسلام). فقد قستمها إلى لفظيّة ص298- وسياقية 299- وبنائيّة 301.

⁵² (التفسير النفسي للأدب) ص35

أبو غاء حبب بن أوس انطائي (ديوانه) ص7

انستيف أصدق أنماء من الكنب

حفقه عي الذبن خباط مضعة حجازي بالقاهرة 1942.

⁵¹ انسي أبو الطيب (ديوانه) ص484

استي ابو المفيت (ديوانه) ط. فالخيل والمليل، والسيداء تعرفني

شرح الإماء انواحدي -طبع في برلمين 1891

والحرب والضرب والقرطام والفلم

^{&#}x27;' (علم المعاني) ص167 - إيجاز انفصر ويكون بنضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف.

ﷺ التراة العربي ﴿ وَهُوهِ وَهُوهِ وَهُوهِ وَهُوهِ وَهُوهِ وَهُوهِ وَهُوهِ وَهُوهِ وَهُوهِ وَالْمَرَاةِ الْعَرَاقِ

يوحي باللون الأحمر المعبر عن الحيوية والتجدد في هذه الحياة، كما أنّ نضارة الثمر توحي باللون الأخضر المعبر عن نضارة الحياة أيام عزّ الدولة ونضارة الثمر تحرّك حاسة الذّوق لتستمتع بنكهة تلك الثمار ونضارتها وحلاوتها، كما أن الرائحة التي تفوح من الثمار تحرّك حاسة الشم التي تجعل الناظر إلى الثمار بحاجة لقطفها من أجل تناولها، وتأتي المفردة (يجني) التي تحرّك حاسة اللمس عند قطف الثمار حيث تشعر بنضارتها وملمسها الناعم، والمعنى الأخر لهذه الصورة فكريّ، وهو أنّ الرمح عندما يصورًب نحو الخصم يجنى عليه، ليثمر النصر.

وجمالية الصورة الشعرية السابقة تتجلى في مكوناتها من الملمس الناعم والحركة والذوق والشم والمون تلك المكونات التي تثير الجمال في النفس، وهنا لا بدّ لي من القول إنه لا قيمة للعمل الفني إذا لم يترك انطباعاً في النفس⁵⁶.

وعند هذين المشهدين ينهي ابن شهيد إنشاده لينتقل إلى إبراز رأي عنيبة في ذلك الإنشاد (فلما انتهيت تأمّلني عنيبة) هذا يعني إصغاء عنيبة لذلك الإنشاد، والمفردة (تـأمّلني) توحي بتراخي الزّمن لأنّ فيها توقف النظر على ابن شهيد، وتفحّص تلك الشخصية، هذا الإنعام فيه إعجاب من عُتيبة، لذلك يأتي الحكم تتويجاً لذلك التـأمل والإعجاب (انهب فقد أجزتك)، وهنا يفك السّحر، وتنتهي القصة بتوضيح الهدف⁵⁷ الذي من أجله نسج ابن شهيد قصته، وهو إثباته لذاته عن طريق نيل الإجازة من تابع امرئ القيس، هذه الإجازة تبرهن على إعجاب ابن شهيد بنفسه وتأتي لتـأكيد صلة أدب المشرق بالمغرب، وتطلّع ابن شهيد إلى رئاسة الأدبين، ولا شك في ثقافته الواسعة التي سخرها لخدمة نسيج بالمغرب، وتطلّع ابن شهيد إلى رئاسة الأدبين، ولا شك في ثقافته الواسعة التي سخرها لخدمة نسيج بوجود توابع للشعراء في وادي عبقر، واستقائها فكرة رحلة الإسراء والمعراج في نسج أحداثها، كما أنّها أتت عربية المضمون لما حوته من قص وشعر مرتبط بحضارة الأندلس من جهة، وبالتراث المشرقي من جهة أخرى.

4-جمالية التوصيل 58.

وما هذه القصمة إلاً رسالة موجهة إلى الجمهور، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن، كيف استطاع ابن شهيد إيصالها إلى المتلقى؟

لقد استطاع ابن شهيد ايصال فكرته للمتلقي من خلال تألف التركيب، ووضوح اللفظ في روايـة أحداث القصة التي أبرزت غير قليل من جوانبها، واضعاً نصب عينيه قضية التوصيـل، والتأثير في

٣٠ رجانبات الأسلوب)ص 21 - النَّوصيل: هو العلاقة بين المبدع والمثلقي.

⁴⁷ (الموقف الأدبي) ص13 · كلّ نص لا يقدّم رؤية جديدة تدعو إلى الثغيير والتقدم نحسو الأمام من أجمل المجتمع والإنسبان يعدّ نصاً متخلفاً ورديناً.

⁷⁷ رَفَنِ انفصة الفصيرة) ص50٪ فقد بيّن أهسبة المفزى في بناه القصة فقـال: بدو نـه لا يمكـن أن يتحقـق للحـدث الاكتمــال لأن أركـان الحـدث الثـلاثة هي الفعل وانفاعل والهدي... و لا قيــة للفعل والفاعل إذا لم يكشفا عن الحدث.

المتلقى عن طريق السهولة والوضوح لأن الغموض في الرواية والإغراب في ألفاظها يقلّلان من قضية التأثير، ويفقدان النـص الأدبي جمالية التوصيل⁵⁹ لأنه يصبح حُكراً على طبقة محدّدة من المجتمع.

وما أودّ التنبيه عليه هو تلك الحالة الانفعالية المسماة بالتوصيل، والتي استطاع ابـن شـهيد خلقهنًا في إطار جمالي عن طريق لغة الحوار التي تجذب القارئ، وتجعله ينفعل مع الشخصيات والأحـداث، ومن خلال خصوبة خياله، فجمالية الأسلوب كانت سبباً في ايصال الفكرة للمتلقي⁶⁰.

كما أنّ البعد الحضاري المتمثل بارتباط أدب المغرب بالمشرق كان سبباً في ذلك التوصيل وغاية ابن شهيد من ذلك التوصيل التنبيه على أن الفتنة ⁶¹ ستكون سبباً في دمار حضارة الأندلس كما أنّ غايته إثبات مقدرته الأسلوبية النثرية والشعرية أمام المشارقة عن طريق مقابلة توابع الشعراء والكتّاب، وكسب اعترافهم بتفوقه 62.

وابن شهيد لم يشبع الحاجة المعرفية للمتلقى بل أشبع جوعه الفنّي باستخدامه للحوار بصفته عتصراً فنياً هاماً في القصة، وهو لم يركز على الزمان الذي يمتد على مستويين الأول، حديث مع زهير عن توابع الشعراء والكتّاب، ورحلته التي لم يُحدد زمنها، والثاني: لقاؤه بتابع امرئ القيس ونيل الإجازة منه، وهنا لا بدّ لي من القول: إنّ هذه القصة هي قصة شخصية أولاً وأحداث وسلوك ثانياً محورها ابن شهيد وهو نقطة الارتكاز فيها.

5-النتائج التي توصّل إليها البحث.

وبعد هذه الرحلة النفسية الفنية في ظلال قصة ابن شهيد مع تابع امرئ القيس لا بد من التنبيه على أنَ تحليل النص يحتاج إلى مطالعة كثيرة وثقافة واسعة لأنني كلما قرأت النص اكتشفت فكراً كنت أجهلها، كما أنَ تحليل النص يُنمَى ذوق الباحث الفنى والجمالي، لأنه يرتبط بجمالية العمل الفنى.

وخلال هذا التحليل لمست البناء الغني وجماليات الأسلوب والصورة الشعرية في هذه القصة مماً يدفعني لقراءة رسالة التوابع والزوابع، للوقوف على مواطن الجمال فيها لأنها تمثل شخصية ابن شهيد بأبعادها المختلفة 63.

أما ما أخذه على نفسي في هذا التحليل فهو أنني عندما وقفت على فكرة التشابه والاختلاف بين ابن شهيد وأبى تمام والمنتبى في رسم صورة القوة لم أتعمق في التحليل لقلة خبرتي من جهة،

⁹⁷ (الموقف الأدبي) ص14- إذ بيّن أهمية النوصيل في العمل الأدبي بقوله: ونفيب هذه المسألة أو غيابها هو في المحصلة نحياب لجوهر الفن.

[&]quot; (منذمة في نظرية الأدب انعربي الإسلامي) ص252-253- انظر جمالية المتلقي.

¹⁰ وديوان ابن شهيد) ص44- الخديث عن الفتنة. ⁶² وفن انرسائل في الأدب الأندنسي) ص448 - إذ بيّن هدف ابن شهيد من كتابة رسالة النوابع والرّزابع.

^{63 (}بلاغة الخطاب وعلم النص) ص279- للأدب مظهران أحدهما خارجي يتمثل بعلاقة الأدب بالواقع رالأخر داخلي ويعني العلاقة بين الحدث والشخصيات ولغنها وخواصها، والطروف المكانية والزمانية والكيفية، وضرورة حبكة الأحداث.

ولضيق الوقت من جهة أخرى.

ويبقى هذا التحليل قراءة تذوقية أرجو أن تكون قد ارتقت إلى مستوى البحث العلمي، وإن وفقت فيها فذلك توفيق من الله، وإن أخطأت فحسبى أنى اجتهدت.

■ المصادر والمراجع:

1-د. إسماعيل عز الدين (التفسير النفسي للأدب)- دار المعارف بمصر 1963.

2-ابن بسام الشنتريني أبو الحسن على (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة)- جامعة الملك فؤاد- مطبوع رقم 26-القسم الأول- المجك الأول- مطبعة لجنة التأليف والنشر القاهرة 1939-1

3-ابن شهید (دیوانه) جمعه وحققه: یعقوب زکی، وراجعه د. محمود علی مکی- دار الکاتب العربی للطباعة والنشـر دون تاریخ.

4-ابن شهيد (رسالة النوابع والزوابع) تحقيق: بطرس البمتاني- مكتبة صادر بيروت بلا تاريخ.

5-أبو نمام حبيب بن أوس الطاني (ديوانه) حققه محي الدين خياط -مطبعة حجازي- القاهرة 1942.

6-أبو الطيب المتنبي (ديوانه) شرح الإمام الواحدي طبع في برلين 1891

 آ-الباشا جمانة رجب (الأنتاسية و أثر ها في أدب الأنتاس في عصر الموحدين) بحث رسالة ماجستير قدّم بجامعة حلب 1997

 8-بيريس هنري (الشعر الأنداسي في عصر الطوائف) تر. د. الطاهر أحمد مكي- دار المعارف بمصر 1988-ط1

9-د. الجندي درويش (علم المعاني) مطبعة الرّسالة بمصر - دون تاريخ

(١١ -جويّو جان ماري (مسائل فلسفة الفن المعاصرة) تر. سلمي الدروبي- مطبعة الاعتماد بمصر 1948

ا 1-خليل أحمد (الرويا الجمالية في شعر الجاهلية وصدر الإسلام) بحث رسالة دكتوراه قدم بجامعة حلب 1989

12 -د. الذاية فايز (جماليات الأسلوب) مديرية المطبوعات الجامعية بحلب 1992.

13-النملخي إبر اهيم (الأنوان نظرياً وعملياً) مطبعة الكندي بحلب 1983- ط1

14-د. رشدي رشاد (فن القصة القصيرة)- دار العودة بيروت 1975- ط2

15-الزركلي خير الدين (الأعلام) -دار العلم للملايين بيروت 1979- ط4

16-د. صنيق حسين (مقدمة في نظرية الأدب العربي الإسلامي) مديرية المطبوعات الجامعية بحلب 1994.

17-العيس مصطفى (فن الرسائل في الأدب الأندلسي) بحث رسالة ماجستير قدم بجامعة حلب 1986

الشعر الملحمي تاريخه وأعلامه) سلملة الموسوع في الأنب العربي رقم /6/دار الثقافة بيروت – دون تاريخ.

المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب -المجلس الوطني للثقافة والفنون
 الاداب -الكويت 1992

20-د. المرعى فؤاد (مبادئ النقد ونظرية الأدب) مديريّة المطبوعات الجامعية بحلب 1992

22-الياسوف أحمد (الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف) بحث رسالة دكتوراه قُدَّم بجامعة حلب 1995.

23-د. اليافي نعيم (تطورَ الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث) سمنشورات اتصاد الكتباب العرب بنمشق ط[درن تاريخ.

24-د. اليافي نعيم (مقدمة لدراسة الصورة الفنية) وزارة الثقافة والإرشاد القومي بنمشق 1982

25-د. اليافي نعيم في مقال عن مفهوم النقد عند غالب هلسا (الموقف الأدبي) العدد /267/مجلة شهرية تصدر عن
 اتحاد الكتاب العرب بنمشق- تعوز 1993.

هي تاريخ الطب عيث العرب: الطبيبان:

"ابن رضوان" ﴿ "ابن بطلان"

د.شاكر مطلق

شخصية الطبيب المصري "ابن رضوان" -أبو الحسن علي- والطبيب في البغادي "ابن بطلان" -أبو الحسن المختار -من خلال ماوصل إلينا عنهما من كتابات الطبيب المعروف "ابن أبي أصيبعة" -موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة السبعدي الخزرجي -صاحب المؤلف الشبهير "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، وهو من مواليد دمشق عام /600/هـ. وكان والده من أمهر الكحالين فيها. تلقى علوم الطب عن والده في شتى أمراض العيون، ثم سافر إلى القاهرة والتحق بالمارستان الناصري الذي أنشأه "الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي"، ثم عاد إلى بلا الشام تلبية لدعوة من "عز الدين" وهو في صرخد " -وعز الدين هو الطبيب السويدي - الشاد اللي الملك المعظم ابن الملك المعلم ابن الملك الميارستان باب المادرسة الذوري الكبير، بيمارستان باب البريد، قلعة دمشق، وفي أربعة أماكن: البيمارستان النوري الكبير، بيمارستان باب البريد، قلعة دمشق، وفي المدرسة الذخوارية التي درّس فيها -ومكث فيها حتى وفاته في عام /668/هـ. وتنسب إلى مهذب الدين محمد بن عبد الرحمن.

ألف موسوعته هذه التي احتوت على مايزيد على أربعمنة ترجمة لكبار الأطباء من إغريق ورومان وهنود وعرب ومسلمين وسريان وغير عرب وغير نصارى، ومن ظهر في بالد المشرق والمغرب.. وكان قد ألفه لأمين الدولة، وزير الملك الصالح، وقام المستشرق الألماني مولر "Muclicr". بنشره عام 1884م-1299هـ". نقلاً عن نسختين خطيتين عثر عليهما في مصر، وقد صدر هذا الكتاب، لأول مرة، في مصر بطبعة حجرية عن المطبعة الوهبية (نقله عن النسخ الموجودة في بعض خزائن الكتب وصححه العبد الفقير إلى عون الله ورحمته امرؤ القيس بن الطحان)، ويقع في جزأين،

ويوجد في مكتبتي الخاصة الجزء الثاني فقط من هذه الطبعة الأولى الحجرية ويقع في نحو 421 صفحة من القطع الكبير 16×24 سم.

لايتحدث "ابن أبي أصيبعة" في موسوعته (طبقات الأطباء) عن "أبي رضوان" مباشرة، وإنما من خلال حديثه عن الطبيب الأخر "ابن بطلان" -أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان المعروف أيضاً باسم "بوانيس" -يوحنا- وهو نصراني من أهل بغداد، تتلمذ على أبي الفرج عبد الله بن الطبيب، ولازم أيضاً الحسن ثابت بن إبر اهيم بن زهرون، الطبيب الحراني. كان ابن بطلان معاصراً لابن رضوان -كبير أطباء مصر في زمن المستنصر بالله -لا الحاكم بأمر الله- بطلان معاصراً لابن رضوان وشاطرات وشعر متبادل طريف.... الخ نشره المستشرق الألماني (ماكس ماير هوف) في رسائل خمس (بالإنكليزية) عام 1937م يتطرق فيها "ابن بطلان" بأسلوب دعابي، الي سواد بشرة "ابن رضوان" وقبح وجهه وياقبه "بتمساح الجن" ويقول فيه:

نَكُمنُ ن على أعقابهنُ من النَّدمُ

فإمّسا تُبسدَى للقوابسل وجهُسة

ألا ليتنا كُنَّا تركناهُ في الرَّحِيمَ

وقُلَـنَ وأخفَيْـنَ الكــلامَ تســتُرا

وسافر "ابن بطلان" إلى مصر والتقى "غريمه" "ابن رضوان" هناك، ثم سافر إلى أنطاكية والقسطنطينية، وكان "ابن بطلان" أعذب ألفاظاً وأكثر ظرفاً وأميز في الأدب ومايتعلق به، ومما يدل على ذلك ماذكره في رسالته (دعوة الأطباء): "وكان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الحكمية ومايتعلق بها" -أه.

دخل "ابن بطلان" الفسطاط -إمبابة الآن- وهي أول مدن المسلمين في مصر بناها عمرو بن العاص سنة 639م. بين القاهرة ومصر العتيقة -، وأقام فيها ثلاث سنين إبّان دولة "المستنصر" بالله - 420-487هـ/1029-1094م. الخليفة الفاطمي الثامن الذي حكم ثمانية وخمسين عاماً.

ومن أطرف مايرويه لنا "ابن أبي أصيبعة" عن "ابن بطلان" ماتحدث به من سنة 446هـ. (فإن في تلك السنة دفن في كنيسة "لوقا" بعد أن امتلأت جميع المدافن في القسطنطينة -أربعة عشر ألف نسمة في الخريف. فلما توسط الصيف في سنة سبع وأربعين لم يصرف النيل، فمات في "الفسطاط" والشام أكثر أهلها، وجميع الغرباء، إلا من شاء الله. وانتقل الوباء إلى العراق فأتى على أكثر أهله، واستولى عليه الخراب بطروق العساكر المتعادية، واتصل ذلك بها إلى سنة 454هـ، وعرض للناس في أكثر البلاد قروح سوداوية وأورام للطحال...) أهـ. ولعله يتحدث عن الطاعون القاتل.

ويعزو "ابن بطلان" هذا الوباء إلى إنذار "بطليموس" القائل (الويل لأهل مصر إذا طلع أحد ذوات الذوائب، وانجهم -أي أصبح كالح الوجه -في الجوزاء) ويؤكد صحة مقولة "بطليموس" -النبوئية - حول هذا الموضوع حين قال: (إن زحل والمريخ متى اقترنا في السرطان زلزل العالم).

ونقل "ابن أبي أصيبعة" من خط "ابن بطــلان" مــاذكره عـن الأوبــاء العظيمــة وفقـدان العلمــاء فــي

زمانه، إذ يورد أسماء لعدد من المشاهير الذين ماتوا خلال بضع عشرة سنة ومنهم الشيخ أبو الحسن البصري (؟) -الفقيه الحنفي القدوري (362-428هـ/972-1037م)- أقضى القضاة الماوردي (1038-1038م)- وعالم البصريات والرياضيات والطبيعيات وفلسفة أرسطو. على بن الهيثم (354-نحو 430هـ/ 965-1039م)- ومنهم الشاعر مهيار الذيلمي الذي توفي في بغداد عام (428هـ-1037م)- وأبو العلاء المعري (979-1058م) وقد عالجه "ابن بطلان في مرضه الأخير، وغيرهم.

ألف "ابن بطلان" العديد من الكتب العلمية والكنسية وعدداً من الرسائل في تدبير الأمراض (التي كانت تعالج قديما بالأدوية الحارة إلى التدبير المبرد، كالفالج واللَّقوة والاسترخاء وغير ها، ومخالفتهم في ذلك بالعراق وما والاها على في ذلك لمسطور القدماء في الكنانيش والأقرباذينات وتدرجهم في ذلك بالعراق وما والاها على استقبال سنة سبع وسبعين وثلاثمنة (377هـ) -إلى سنة خمس وخمسين وأربعمنة (455هـ...) -أهـ.

وكان "ابن بطلان" قد ألف هذه المقالة في أنطاكية سنة (455)هـ. حين أهل فيها لبناء البيمارستان، كما ألف في الطب كتاب (المدخل إلى الطب) للأمير نصير الدولة أبي نصر أحمد بن مروان بخطه عام (؟).

-هناك لبس في التواريخ، كما أظن، ورد عند (ابن أبي أصيبعة). فهو يورد في "عيـون الأنباء...." عن "ابن بطلان" وبخط يده مايلي:

(فرغت من نسخها أنا مصنفها بوانيس الطبيب المعروف بالمختار بن الحسن بن عبدون، بدير الملك المتنيح قسطنطين، بظاهر القسطيطينية في آخر أيلول من سنة خمس وسنين وثلاثمئة وألف) ويتابع ابن أبي أصبيعة وكأنه أدرك اللبس هذا قائلاً: (هذا قوله ويكون ذلك بالتاريخ الإسلامي من سنة خمسين وأربعمئة) -أه.

وهذا التاريخ الهجري ينطبق على كل المعطيات وماذكره "ابن بطلان"، عن زمن الوباء وعلاقته بـ "ابن رضوان" ولكن اللبس هذا، يمس التاريخ الميلادي فقط لا الهجري، ويظل قائما سواء بالنسبة الى التاريخ (الجولياني القديم المعمول به حتى القرن الخامس الميلادي- أو بالنسبة إلى التاريخ (الغريغوري) الحديث، ولعل هذا الخطأ حصل في أثناء النسخ، وينتفي بالمقارنة (بالتأريخ الاسكندراني).

وله كتاب يسمى (دعوة الأطباء) وكتاب (تقويم الصحة) ومقالات في شرب الدواء المسهل ودخول الغذاء إلى البدن وهضمه وخروج فضلاته وحول الأدوية المسهلة وتركيبها، ومقالة في (مداواة صبي عرضت له حصاة) وكتاب ديني بعنوان (كناش الأديرة) والكناش لفظة أرمنية معناها (المجموعة)، و (دعوة القسيس). وله أخيراً كتاب طريف في (شراء العبيد وتقليب المماليك والجواري).

والأن وبعد أن تحدثنا عن "ابن بطلان" صديق "ابن رضوان" -بلغة العصر - وعن بعض ما

\$\$\$التراثالاران المربي المحالية المح

أعلمنا به "ابن أبي أصيبعة" في موسوعته المذكورة أعلاه، عن كتاباته وطرائفه مع "زميله"، ننتقل إلى الحديث قليلاً عن جانب من اهتمامات "ابن رضوان" الطبية وآرائه في تصنيف الأمراض وصفات الطبيب الحق.

الطبيب "ابن رضوان" –(376-460ـ986-1067م).

يتحدث الطبيب ابن رضوان في كتابه (مقالة في شرف الطب)، عن الأمراض وأنواعها: أولا : المرض القابل للشفاء، وفيه يقوم الطبيب وعلمه وبراعته بالدور الأكبر.

تَالثُنَّا : المرض الذي له في نظام الغذاء المناسب دور هام.

رابعاً : الذاء الذي يتطلب العلاج فيه استعمال الأدوية اللطيفة. وقال القدماء إن أكثر الأدويــة نفعـاً هي المنوافرة والرخيصـة.

ونذكر هنا بمقولة الرازي العظيم (854-932م): (مايستطاع معالجته بالغذاء لايعالج بالدواء، ومايمكن علاجه بالدواء لايعالج بالجراحة).

وكذلك بمقولة الشيخ الرئيس (ابن سينا) -980-1037م -عن عدم جواز العلاج بالأدوية المركبة حيثما يمكن العلاج بالأدوية البسيطة، وهو أمر متفق عليه بين أطباء ذلك الزمان.

وقالوا أيضنا: (وكلَ داء قُدِرَ على دفعه بالأغذية والحمية لم يحاول دفعه بالأدوية). وقالوا: (ولاينبغي للطبيب أن يولع بسقي الأدوية فإن الدواء إذا لم يجد في البدن داءً يحلله... تشبتُ بالصحة وعبث بها)

الطب النّبوي

وإذا أصاب المريض الضرر' توجبَت المسؤولية. وفي الحديث الشريف (من تطبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن) وكذلك الطبيب المرخص المأذون له، يكون ضامناً في حالة وقوعه بخطأ (فني) -كما نقول اليوم-. وهناك شروط للضمانة قد تؤدي إلى إعفانه في حالات خاصة أو إلى تحمّل بيت مال المسلمين للضمان أو أن يدفع من ماله الخاص إن كان من أهل الذمة...

فالطبيب مطالَب بأن يكون عالماً بالمرض والمريض الذي يدوايه وبأحواله وعاداته أي بقصته المرضية) ليشخص داءه بدقة ويعطيه العلاج الصحيح اللازم.

ويقول الطبيب أبو الطيب الطبري (959-1058م).

(ولاينبغي لأحد أن يعجَل بالعلاج. ولا يقوم عليه إلا بعد التجربة ومعرفة الأدوية، لأن الدواء

\$\$\$ التران المران المران ي المران ي المولاد المولاد

يصير في يد الجاهل كالسِّم الزعاف.. وربما كان السم بحكمة الحكيم وحسن تقديره مثل ماء الحياة...) -فردوس الحكمة في الطب ص558-560. اهـ.

وفي هذا السياق نجد الطبيب الفقيه الحنبلي "ابن قيّم الجوزية" صماحب "الطب النبوي" يضع عشرين شرطاً ليكون الطبيب طبيباً حاذقاً ومنها (الشرط الثاني عشر):

(النظر في قوة الدواء ودرجته والموازنة بينها وبين قوة المريض).

ويقول أيضاً: (الرابع عشر):

على الطبيب (أن يعالج بالأسهل فالأسهل... فمن سعادة الطبيب، علاجه بالأغذية بدل الأدويـة وبالأدوية البسيطة بدل المركبة).

وفي الشرط الخامس عشر يقول للطبيب:

(أن ينظر في العلّة -هل هي مايمكن علاجه أو لا؟ فإن لم يمكن علاجها حَفِظَ صناعتَه وحرمته، ولا يحمله الطمع على علاج لا يفيد شيئاً. وإن أمكن علاجها نظر: هل يمكن زوالها أو لا؟..)

ويحتم "ابن قيّم الجوزية" شروطه بالشروط العشرين قائلاً:

(.... أن يجعل علاجه وتدبيره دائماً على سنة أركان: حفظ الصحة الموجودة ورد الصحة المفقودة بحسب الإمكان، وإزالة العلّة أو تقليلها بحسب الإمكان واحتمال أدنى المصلحتين لتحصيل أعظمهما، فعلى هذه الأصول السنة مدار العلاج.

وكل طبيب لاتكون هذه آخيته التي يرجع إليها فليس بطبيب....

ولما كان للمرض أربعة أحوال:

ابتداء وصعود وانتهاء وانحطاط، تعين على الطبيب مراعاة كل حال من أحوال المرضى بما يناسبها ويليق بها، ويستعمل في كل حال مايجب استعماله فيها.

-الطب النبوي-.

ولقد فهم بعض كبار الأطباء القدامى، في أماكن مختلفة من العالم القديم الطب وقاية وحفظاً للصحة. فالأطباء في الصين، مثلاً، كانوا يتقاضون أجورهم ما دام الشخص الذي يشرفون على صحته معافى من المرض، ويتوقف هذا الأجر في حالة مرض الشخص. وهذا مانجده أيضاً -على سبيل المثال- عند محمد بن زكريا الرازي حيث يقول: (الطب حفظ الصحة وحرمة العلة...).

كما نجده فيما رواه "عبد الله بن جبر انيل" من أل بخت -يشوع (بختيشوع) عبد يسوع - (460هـ-106 ام)، ويعطي "الزركلي" في (الأعلام ج4) تاريخاً أخر هو (453هـ) -عاصر ابن بطلان وصادقه- خبراً طريفاً يحدثنا فيه عن ذهاب الطبيب المعروف "أبو الحسن الجرّاني" -وكان

شيخاً مسناً، برفقة الطبيب ثابت بن سنان وكان أصغر منه سناً- للقاء 'عضد الدولة' -من ملوك الدَيْلـم في القرن العاشر – عند دخوله بغداد، حيث سأل هذا:

(من هؤلاء؟ قالوا: الأطباء، قال: نحن في عافية ومابنا حاجة إليهم... فقال (سنان): أطال الله بقاء مولانا الملك، موضوع صناعتنا حفظ الصحة، لا مداواة الأمراض والملك أحوج الناس إليه. فقال (عضد الدولة) صدقت.

وقرر لهما الجاري السني وصارا ينوبان مع أطبانه) اهـ. عيون الأنباء ص308-.

وقد اهتم "ابن رضوان" كثيراً بالناحية الأدبية –المسلكية لمهنة الطب –وهو مايعرف اليوم باسم (أداب المهنة)– فخصها بدراسات ومؤلفات عديدة نجد فيها مرجعية استوعبت الموروث الإغريقي (أبقراط) وأضافت إليها إسهامات هامة. وأهم ماورد عنده في صفات الطبيب الفاضل:

1-أن يكون تام الخلق، صحيح الأعضاء وحسن الذكاء، جيد الرؤية، عاقلاً ذكوراً، خيّر الطبع.

2-أن يكون حسن الملبس، طيب الرائحة، نظيف البدن والثياب.

3-أن يكون كتوماً لأسرار المرضى لايبوح بشيء من أمراضهم.

4-أن تكون رغبته في إبراء المرضى أكثر مـن رغبته فيمـا يلتمسـه مـن الأجـرة، ورغبتـه فـي علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء.

5-أن يكون حريصاً على التعليم والمبالغة في منافع الناس.

6-أن يكون سليم القلب، عفيف النظر، صادق اللهجة، لايخطر بباله من أمور النساء والأموال التي شاهدها في منازل الأعداء فضلاً عن أن يتعرض إلى شيء منها.

7-أن يكون مأمونًا، ثقة على الأرواح والأموال، ولا يصف دواء قتَالاً ولايعلمه ولا دواء يسقط الأجنة، يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حببيه (عيون الأنباء...).

ثم قال: (المعلم لصناعة الطب هو الذي اجتمعت فيه هذه الخصال بعد استكماله صناعة الطب والمتعلم هو الذي فراسته تدل على أنه ذو طبع خير، ونفس زكية وأن يكون حريصاً على التعليم، ذكياً ذكوراً لما قد تعلمه).

وقال أيضاً: (البدن السليم من العيوب هو البدن الصحيح الذي كل واحد من أعضائه باق على فضيلته، أعنى أن يكون يفعل فعله الخاص على ماينبغي أهـ.

وكان "ابن رضوان" منسجماً في حياته وعمله مع هذه القوانين الأخلاقية التي يطالب الطبيب بأن يتميز بها ويطبقها، وكتب في (شرف الطب وأدب الطبيب) وهو يعلمنا في سيرته بكيفية تعلّمه الطب وفي ذلك يقول:

(إنه لما كان ينبغي لكل إنسان أن يتخير أليق الصنائع وأوفقها له، وكانت صناعة الطب تتاخم الفلسفة -طاعة الله عز وجل، وكانت دلالات النجوم في مولدي تدل على أن صناعتي الطب (١١)،

وكان العيش عندي بالفضيلة ألذ من كل عيش، أخذت تعلم صناعة الطب وأنا ابن خمس عشرة سنة)_ عيون الأنباء ص561-.

من هذه الشهادة الذاتية نرى كيف كان الشاب "ابن رضوان" ينظر بقدسيّة إلى صناعة الطب، حتى ليخال نفسه -وهو الذي عمل في صناعة التنجيم أيضاً- مختاراً أو منذوراً ليدخل عالم الفضيلة، عالم الطب ويروي "ابن رضوان" سيرته في تعلم هذه الصناعة النبيلة ويقول:

(.... أخذت في تعلم صناعة الطب والفلسفة، ولم يكن لي ما أنفق منه فلذلك عرض لي مشقة في التعلم وصعوبة، فكنت مرة أتكسب بصناعة القضايا وبالنجوم ومرة بالتعليم إلى السنة الثانية والثلاثين، فإنني اشتهرت فيها بالطب...) عيون الأنباء ص561-

وهذا ماينقله إلينا أيضاً "القفطي"- عاش في أواسط القرن السابع الهجري- في كتابه "أخبار الحكماء" حيث ترجم لـ "ابن رضوان" فيقول:

(وكان في أول أمره منجماً يقعد على الطريق ويرتزق بطريق التحقيق على عادة المنجمين، ثم قرأ شيئاً من الطب وشيئاً من المنطق)- تاريخ الحكماء ص443-444-.

وقد كتب "ابن رضوان": (النافع في تعليم الطب) ضمنه خبرته وقدم نصائحه العملية للطبيب ولطالب الصنعة، وكيفية التعامل مع العريض إن كان من الخاصة أو العامة، كما قدّم وصفاً للامتحان الذي يجب أن يطبق لاختيار الطبيب وضرورة فحص الجسم عضواً عضواً.. ومن سيرته الذاتية يحدثنا عن نفسه وفلسفته المهنية ويقول:

(.... أتصرف كل يوم في صناعتي بمقدار ما يغني.... وأجتهد في حال تصرفي في التواضع والمداراة، وغيات الملهوف وكشف كربة المكروب وإسعاف المحتاج، وأجعل قصدي في كل ذلك الالتذاذ بالأفعال، والانفعالات الجميلة... وألزم الصمت وكف اللسان عن معايب الناس... ولا أتسلف إلى أن أضطر ذلك. وإن طلب مني أحد سلفا وهبته منه ولم أرد منه عوضاً، ومابقي من يومي بعد فراغي من رياضتي صرفته في عبادة الله سبحانه... وأتدبر مقالة أرسطاطاليس في التدبير... الخ).

هذا الموقف العلمي الدقيق والنبيل في تعامل الطبيب مع المريض وواجباته المعرفية والمسلكية، لايقتصر على هذا الطبيب الحكيم أو ذاك فحسب، وإنما كان الروح السائد والغالب على الصنعة والذي تراقبه أيضاً الجهات الرسمية، ومن واجبات المحتسب، حسب نظام الحسبة الذي يرمي إلى مراقبة الغش وقمعه، ومراقبة أصحاب الصنائع والحرف ويقتصر عمل المحتسب بما يتعلق بالغش والتدليس الشيزري: (نهاية الرتبة في طلب الحسبة)-.

وهو يدل بالتأكيد على المستوى الرفيع الذي وصلت إليه صنعة الطب في عصـر ازدهـار الأمـة والذي هو جزء من سطوع شمس الحضـارة على أكبر دولة امتدت مساحتها أوسع من أية امبراطورية عرفها التاريخ، والتي تحدثت عنها الدكتورة "سيغريد هونكه" في كتابها المترجم خطأ بـ (شمس العرب

تسطع على الغرب) والذي عنوانه الصحيح هو:

(شمس الله فوق الغرب) فتأمل!

■ مراجع البحث:

أهم المراجع الأجنبية (الألمانية خاصة):

- ا- (أطناء العين العرب) للعالم الشهير يوليوس هيرشبيرغ (J.Lippert) بمساعدة لبيرت (J.Lippert) ومينفوخ (Lippert) عام 194/م.
 (E.Mittwoch) صدر في لايبزغ -ألمانيا (Lcipzig) عام 194/م.
- 2-(الطب في الإسلام) المستشرق الألماني م أولمان (M.Ullmann) -وهو إهداء شخصي إلى بخط العولف- ويشكل القسم الأول من المجلد الممتمم السادس للفصل الأول حول الطب في الشرق الأدنى والأوسط، وذلك ضمن (موسوعة الشرق) التي أصدرها قديما (ب شبولر B.Spucler)، وصدرت هذه النسخة من الكتاب في ليدن وكولن (كولونيا) عام 1970م.
- 3- الكتاب المنزجم المعروف تحت عنوان (شمس العرب تسطع على الغرب) وهـو فـي الأصـل (شمس اللـه تسـطع على الغرب) للباحثة ..سيغرد هونكه (Dr. S.Hunkc) صـدرت الترجمة العربية عن دار الأقاق الجديدة بيروت الطبعة السادسة 1981. ونظها فاروق بيضون وكمال دسوقي.
- 4-كتاب خمس رسائل لابن بطـلان نشـره (مـاكس مـاير هوف) M.Mcycrhof وشـاخت (Schacht) عن المنـاظر ات الطبية -الفلمفية بين ابن بطـلان وابن رضوان -صنر بالإنكليزية) في القاهرة عام 1937م.

أهم المراجع العربية:

- اعبون الأنباء في طبقات الأطباء) حاليف ابن أبي أصيبعة، شرح وتحقيق د.نزار رضا. من منشورات دار مكتبة الحياة بيروت -1965م.
- الجزء الثاني من الكتاب أعلاه نقله أمرؤ القيس بن الطحان وصدر عن المطبعة الوهبية الطبعة الأولى عام
 1299هـ= 1883م في طبعة حجرية (وهو موجود في مكتبتي).
- 3- (الطبيب العربي علي بن رضوان) -«.سلمان قطاية- المؤسسة العربية للدراسات والنشر -بيروت الطبعة الأولى -عام 1983م.
 - 4-(ناريخ العلوم في الإسلام) تأليف أنور الرفاعي، دار الفكر -لبنان 1393هـ= 1973م.
- 5-(العلوم عند العرب) تأليف محمد إبراهيم الصبحي- صدر عن مكتبة النهضـة مصـر ومطبعتها -مـن دون تـاريخالأصـدار -.
 - 6-(الطب عند العرب)- حنيفة الخطيب- الأهلية للنشر والتوزيع بيروت (1986)م.
- 7-(الموجز في تاريخ العلوم عند العرب) تأليف د.محمد عبد الرحمــن رحبـا -دار الكتــاب اللبنــاني بــيروت- الطبعـة الثالثة (1981)م.
 - 8-(تاريخ مختصر الدول)- تأليف غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري- بيروت (1958)م.
 - 4-(تاريخ الحكماء)- جمال الدين القفطى -لايبز غ/ ألمانيا (1903)م.

((تحفة الملك العزيز بمملكة باريز)) كن أدب الرحلات للسفير إدريس هِيْ إدريس العمراوي

تقديم وتعليق د. زكي مبارك عرض د. مصطفى محمد العبدا لله

يكن ابن بطوطة المغربي الوحيد الذي تجول في مختلف أصقاع العالم ودخل أقاصي بلاد المشرق ومجاهل إفريقية وظلت لنا أخبار أسفاره بفضل عناية ابن عنان الذي أمر بجمع هذه الأخبار وتصنيفها. كما أن هناك العديد من الذين سافروا وتجولوا في أصقاع العالم لأسباب متعددة، وقد صنف الأستاذ محمد الفاسي هذه الرحلات إلى حجازية، وسياحية، ودراسية، وأثرية، واكتشافية، وزيارية، وسياسية ومقامية، وقبالية، وفهرسية، وسفارية، وحول هذا الصنف الأخير من الرحلات، إلى رحلات السفراء، يوضح لنا الأستاذ الفاسي: (برز المغاربة في هذا النوع من الرحلات، ولم يؤلف أحد من العرب بقدر ما وضع المغاربة من رحلات سفارية وكلها كتبت في العصور الحديثة أي ابتداء من السعديين).

وتعد رحلة رفاعة الطهطاوي إلى فرنسا من أهم رحلات الأدب التي نجم عنها وثانق أدبية وإنسانية كان لها الأثر العظيم في تطور الفكر العربي الحديث. وكان الطهطاوي أول مؤلف عربي في العصر الحديث يكتب عن أوروبا ويكشف القناع عن محيا هذه البقاع.

لقد أقام الطهطاوي في الديار الفرنسية نحو خمس سنوات للدراسة والتتقف والاطلاع. وقد نالت رحلة الطهطاوي إلى فرنسا عناية وشهرة ومجداً لكونها ترتبط بمكانة الطهطاوي العلمية والأدبية في مصر النهضة، وما حظيت به رحلته من عناية وتقدير من السلطة الحاكمة في مصر وخاصة من محمد على الذي اطلع على ما ألفه وكتبه الطهطاوي، فأعجب به وأمر بترجمته إلى التركية والعربية وطبعها باللغتين وتوزيعها بعد طبعها على الدواوين والوجوه والأعيان، والاستفادة منها في المدارس المبرية المصرية. وقد تم طبعها في مطبعة بولاق عام 1934. ونذكر منها المؤلف الشهير ((تخليص الإبريز

في تلخيص باريز)).

وتم تصنيف رحلة السفير المغربي ابن إدريس العمراوي صاحب ((تحفة الملك العزبز بمملكة باريز)) وما نتج منها من فكر وأدب من أدب الرحلات الذي كان له أثر كبير في التبادل التقافي بين الأوروبيين العرب. فقد أقام فيها فترة قصيرة لا تتجاوز الأربعين يوماً، ولكن السفير خلال هذه المدة القصيرة استطاع أن يتغلغل داخل المجتمع الفرنسي وتعرّف العديد من جوانب الحياة فيها لينقلها لنا خلال كتابه ((تحفة الملك العزيز بمملكة باريز)) الصادر عن مؤسسة التغليف والطباعة للشمال في المملكة المغربية، حيث قام بالتقديم له والتعليق عليه الأستاذ الباحث بالمعهد الجامعي للبحث العلمي في جامعة محمد الخامس المغرب، الدكتور زكى مبارك.

يتكون الكتاب من 126 صفحة من القطع المتوسط، ويشتمل على توطئة، ثم تقديم حول الإطار التاريخي للرحلة وتعريف بالسفير إدريس بن إدريس العمراوي. ثم تبدأ تحفة الملك العزيز بمملكة باريز فيعرض المؤلف لنا موضوع الزحلة منذ التحضير لها والإقلاع من ميناء طنجة وكيفية السفر والوصول إلى مرسيلية، ويقدم لنا وصفاً لميناء مرسيليا والمدينة بكاملها.

ثم يصف القطار والسكة الحديدية، ثم السفر من مرسيلية إلى مدينة ليون، ويخصص قسماً لابأس به للحديث عن هذه المدينة. ثم يتحدث المؤلف عن إقامته في باريس ((مقام ابن إدريس في باريس))، فيصف هذه المدينة خلال الحديث عن جنات النباتات والوحوش (حديقة الحيوان). ثم وصف لنا دار السلاح ودار الضرب، ودار الطباعة، ودار السلع والأثاث، ودار العسكر العاجز، (وصراية مدينة فرساي). كما أفرد المؤلف بحثا حول التجارة في هذه المدينة، وتحدث عن مقابلته للمبراطور نابليون الثالث ووزرائه والعسكر وكيفية تكوينه. بعد ذلك تحدث المؤلف عن رحلة عودته إلى المغرب. ويتضمن الكتاب أيضاً "تحفة الملك العزيز بمملكة باريز" باللغة الفرنسية وعدد صفحاتها 77 صفحة من القطع المتوسط.

وقد ورد في الكتاب بعض الأشعار منها:

أميل إلى الشكل الظريف إذا بدا

وما مقصدي فعسل القبيسح وإنمسا

أمتــــع طرفــــى فيــــه تـــــم اردَد دُ أشـــاهد صنـــع اللـــه تـــم أوحَـــد د

ميناء مرسيلية: عندما وصل السفير العمراوي إلى مرسيلية وصفها قائلاً:

... وهذه المدينة كبيرة تقارب مدينة فاس في الكبر، وهي بلاد تجارة وباب إقليم فرنسا. ولها مرسيان شرقي وغربي فيهما المراكب ما يزيد على الثلاثمانة، والمرسى كالخليج الراكد يشق وسط المدينة حتى إن بعض المراكب تدخل حتى ترسي أمام حانوت صاحبها أو داره، فنقل السلع من المركب للدار أو الحاتوت من غير وساطة، وشوارعها متسعة، وأبنيتها عالية متقنة... وفي وسط المدينة محال متسعة فيها أشجار كبار لا ثمر لها يستظل بها السائرون والمتفرجون تحتها

تقديم وتعليق مزكن وبارك ***** ﴿ وَعَلَيْهُ مَرْكُنُ وَبَارِكُ **** ﴿ وَعَلَيْهُ مَرْكُنُ وَبَارِكُ ***** * وَهُواللَّهُ ***** وَمُواللَّهُ ****

كراسي للجلوس وقهاو وحوانيت تباع فيها الفواكه والحلاوي) ص44

ويصف المؤلف القطار والسكة الحديدية قائلاً (وهي من عجائب الدنيا التي أظهرها الله في هذا الوقت على أيديهم تحير فيها الأذهان ويجزم الناظر إليها بديهة أن ذلك من فعل الجان وأنه ليس في طوق إنسان) ويصف لنا قاطرة القطار وصفاً دقيقاً وتفصيلياً.

ويقارن بين القطار والوابور (الباخرة). ثـم يتـابع وصـف رحلتـه مـن مرسـيليا إلـى مدينـة ليـون فيخصـص لها حيزاً ويصفها قائلاً:

مدينة ليون: (وهي مدينة كبيرة أكبر من مرسيليا بكثير ولكنها مائلة للبداوة وأهلها أهل حرف، وصنائع، وفيها الفابريكات التي تخدم فيها الثياب الحريرية والقطنية التي تجلب من أرض الفرنصيص ويستعملونها ولا يخدم في غيرها من ذلك إلا القليل.... وهذه المدينة بين جبال صغار محيطة بها وبعض بنائها في الجبل. وقد ذكروا لنا أن أهلها أهل اتحراف عن الدولة وخروج عليها، فلا يمر زمان إلا ولهم فيه ثورة.

وأرض الفرنسيين معروفة عند النصارى بكثرة الخمر وجودتها وكانت صحفهم تفتخر بذلك على الإنكليز فيتذكرون: (إنا نبيع للإنجليز الخمر الذي يخرج من عنب بلادنا فنبخسهم لأننا نـأخذ فيـه ما لهم وعقولهم).

إقامة ابن إدريس في مدينة باريس:

وعندما وصل السغير العمراوي إلى مدينة باريس وصفها قائلاً: (وهذه المدينة كبيرة جداً من أكبر مدن الدنيا يقال: إن أعظم مدن الدنيا ثلاثة: قسطنطينية العظمى التي هي اصطنبول، حرسها الله وعمر ها بدوام ذكره، والوندريز "المقصود بها لندن" وهي قاعدة ملك الإنجليز وهذه، على الفرنصيص يزعمون أن هذه المدينة أكبر من هاتين. أما أنا فلا أقدر أن أصف كبرها ولم أكن أظن أن في الدنيا مدينة قبل أن أراها مثل ذلك. وقد رأيت في مصر القاهرة وسلكت أكثر طرقها.... فقدرت أنها أكبر من مدينة فاس بأربع مرات وأظن أن هذه أكبر من مصر بثلاث مرات، فتأتي على هذا أنها أكبر من فاس باثنتي عشرة مرة.) ثم وصف المؤلف المساكن في باريس وعادات الأكل والشراب فيها فاس باثنتي عشرة وحركة السير فيها ثم وصف لنا حديقة الحيوانات التي سماها جنان النباتات والوحوش وما تحتويه من أنواع الحيوانات والطيور والزواحف والأسماك وغيرها. وقد وصف لنا المؤلف دار السلاح التي تعد متحفاً حربياً يجمع فيه كل أنواع الأسلحة مع تطورها. وكذلك وصف المؤلف دار السلاح التي تعد متحفاً حربياً يجمع فيه كل أنواع الأسلحة مع تطورها. وكذلك وصف دار السكة، وهي المكان الذي يتم فيه سك النقود المعدنية. كما وصف أيضاً دار الطباعة دار الكتب، المرأة هي رئيسة البيت والرجل تابع لها، ويورد مثلاً باريسياً إذ يقول: "باريز جنة النساء وجهنم المرأة هي رئيسة البيت والرجل تابع لها، ويورد مثلاً باريسياً إذ يقول: "باريز جنة النساء وجهنم الخيل"، ويصف المؤلف مدينة باريز بالمدينة التجارية إذ يقول: (وأكثر تكسب أهل هذه المدينة من التجارة. والتجار عندهم معتبرون اعتباراً زائداً، وهم ركن من أركان الدولة، وكلما زاد مال الرجل التجارة. والتجار عندهم معتبرون اعتباراً زائداً، وهم ركن من أركان الدولة، وكلما زاد مال الرجل

عندهم ونجحت تجارته كان أرفع منزلة وأعظم مكانة.... وقد بلغنا أن لهم داراً يتعلمون فيها كيفية التجارة كما يتعلمون التجارة كما يتعلمون الكتابة والحساب وغير ذلك... ولهم دار يجتمع فيها التجار ساعة في كل يوم يتعاطون فيها أخبار السلع النافدة والكاسدة وأخبار السكك وكيفية روجانها في البلدان واختيار الفابريكات "المصانع" والكنطرادات "العقود" وغير ذلك).

مقابلة الإمبراطور نابليون الثالث:

وعندما قابل السفير العمراوي الامبراطور نابليون الثالث، وصف تفاصيل اللقاء بدقة منذ أن قدم الحاجب بالرسالة التي تعلمه بموعد اللقاء وحتى وصوله إلى الصدراي التي قابل فيها الامبراطور ويصفه قائلاً: (وهذا الملك عندهم داهية من دواهي الدنيا قد اتفق رأي كبراء الدول وملوكها فيما بلغنا أنه أدهى ملوك النصارى وأشهمهم وأنتجهم رأيا وأصوبهم سياسة وتدبيرا وأكثرهم حزماً في أموره وتوقياً حتى إنهم يفضلونه على عمه نابليون الأول المشهور بالدهاء والشجاعة، ويقولون: إن هذا مع ما هو عليه من الشجاعة والحزم أمره مبني على الحيل والمكر وكتمان السر، ويحب أن يبلغ مراده بالتدبير والحيلة من غير حرب، ويحب تأخير الحرب ما أمكنه لكونه لا يعرف ما تنتج له ولكون عمه المذكور أتي من حرصه على الحرب، وهي التي كانت السبب في إخماله وسجنه وانتزاع ملكه وما أل إليه أمره من خراب داره وتشنيت أل بيته مدة حتى قام هذا).

وذكر المؤلف أنه كان لنابليون الثالث تسعة وزراء وهم:

وزير الحرب، وهو أكبر الوزراء مرتبة، وهو الذي يعقد الحرب والهدنة ويباشر العسكر ويولي ويعزل فيه ويقدم ويؤخر. وزير البحر، وهو المكلف بعسكر البحر والمراكب. ووزير الخزنة، وهو المكلف بخزنة المال وحساب الداخل والخارج وعلى يده كافة العقود والضرائب والمكوس. ووزيير الأمور الداخلية ووزير العلوم والمعارف، ووزير العدل ووزير الأمور التجارية المكلف بأمور التجارة ودفع المضار عنهم والخسارات وجلب المنافع، ووزير الفلاحة والطرق ووزير الأمور الجزائرية. ووزير الأمور الخارجية، وهو المكلف بالكلام مع الدول الأجنبية والكتابة لهم والتوسط بينهم وبين الدولة.

لقد اطلع السغير ابن إدريس العمراوي على رحلة رفاعة الطهطاوي واستفاد منها، وساعدته على فهم العديد من الأمور ما كان يقبل بصحتها لولا أنه وجدها مذكورة في مؤلف الطهطاوي "تخليص الإبريز في تلخيص باريز". لقد تأثر ابن إدريس برحلة الطهطاوي منهجاً وأسلوباً ودراسة وتحليلاً لمختلف جوانب الحياة في فرنسا. وقد تشابهت الرحلتان في العنوان. فرحلة ابن ادريس تحمل عنوان تحفة الملك العزيز بمملكة باريز" في حين أن عنوان رحلة الطهطاوي "تخليص الإبريز في تلخيص باريز". ويعد هذا الكتاب من أدب الرحلات التي يصف من يقوم بها أحوال الشعوب وعاداتهم ومنازلهم وطرائق عيشهم ليستفاد منها وتكون عبرة، وهي طريق أيضاً للمثاقفة بين الشعوب.

رأي هي المسألة التراثية

د.محمد أحمد النابلسي

التراث هو القيمة المرجعية الأساسية للأمة. لذلك تعمل الأمم المستحدثة بصورة هبينة على اصطناع ومحاولة خلق تقاليد تشكل لها ماضياً يمكن مقارنته بالتراث. لذلك تشغل المسألة التراثية الأمم كافة بما فيها تلك التي تفتقر لما يمكنه أن يستوفي شروط مايسمي بالتراث. خصوصاً أن الاهتمام بالتراث يتجاوز أبناء الأمة كافة إلى غيرهم. فالسياح لاتكتمل زيارتهم لبلد ما إذا هم لم يزوروا متاحفه ومعالمه الأثرية والتاريخية، حتى باتت متاحف بعض البلدان تلجأ إلى الاستعارة وعروض الإعارة والسرقة والاستيلاء ووضع اليد بل واصطناع المتاحف. على سبيل المثال فإن زوار المتحف القومي الأميركي ينقلون دهشتهم لعدم احتواء هذا المتحف على مايمكن تسميته بالآثار أو بالتراث. حتى إن مدخل المتحف يحتوي على مكتب بريد من طراز مجمعات رعاة البقر لما يمض عليه سوى بضعة عقود.

المسألة التراثية هي هاجس إذاً، وهي هاجس إنساني لايهم فقط الأمة صاحبة التراث بل يهم الإنسان عموماً الذي يعيش ثمار تراكمية المعارف في التراث الإنساني بحضارته المتعاقبة المختلفة. وتراثنا العربي هو جزء من أهم أجزاء هذا التراث الإنساني. لذلك تعرض هذا التراث للسرقة على عدة أصعدة. فقد ترجمت بعض مؤلفاته لينتحل مترجموها صفة المؤلفين، كما مارس الاستشراق صنوفا عديدة من السلب الثقافي لهذا التراث. أما السرقة المباشرة فمثالها ما أورده محمد كرد علي في كتابه "خطط الشام" إذ يقول: من المصائب التي أصيبت بها كتب الشام، أن بعض دول أوروبا ومنها فرنسا وبريطانيا وهولندا وروسيا، أخذت تجمع منذ القرن السابع عشر كتباً من تراثنا تبتاعها من الشام بواسطة وكلانها وقناصلها والأساففة والمبشرين من رجال الدين. وكان قومنا ولاسيما من اتسموا بشعار الدين ومن كان يرجع إليهم أمر المدارس والجوامع، بلغ بهم الجهل والزهد في الفضائل أن يفضلوا در هماً على أنفس كتاب. فخانوا الأمانة واستحلوا بيع ماتحت أيديهم أو سرقة ماعند غيرهم والتصرف به وكأنه ملكهم. وحدثتي الثقة أن أحد سماسرة الكتب في القرن الماضي كان يغشى منازل

^{*} أستاذ الأمراض النفسية والعقلية -رتيس نحرير محلة الثقافة النفسية المتخصصة.

بعض أرباب العمائم في دمشق ويختلف إلى متولي خزانن الكتب في المدارس والجوامع فيبتاع منها ماطاب له من الكتب المخطوطة مأثمان زهيدة. وبقي هذا سنين يبتاع الأسفار المخطوطة من أطراف الشام، ثم "رحل بها إلى بلاده فأخذتها حكومته وكافأته عليها".

بهذه الطرق وبغيرها انتقلت مخطوطاتنا التراثية إلى المكتبات الأجنبية. ثم تلت ذلك المشاريع الاستشراقية بتكاليفها المادية الهائلة. حتى بلغ الإنفاق الأجنبي على تراثنا مالن نتمكن يوماً من الوصول لإنفاق مواز له. الأمر الذي يدفعنا للتساؤل عن هذا الاهتمام الأجنبي ومقارنته ببعض المواقف العربية السلبية من هذا التراث؟.

فإذا استأهل التراث العربي كل هذه الجهود الأجنبية أفلا يستحق منا اهتماماً ولو بدرجات أدنى وقدرات أقل؟.

إن الجواب عن هذا السؤال والأسئلة التي يستتبعها ليس بالجواب السهل. ذلك أنه يرتبط بأساسيات المسألة النراثية وهي:

1-ماهية التراث.

إن التراث العربي لم يظهر فجأة مكتملاً إلى الوجود إبان عصر التدوين ليبدأ بعدها بعمليات التراكم المعرفي والإبداعي. فهذا التراث لم جذوره في العصور السابقة للإسلام. التي من دونها لايمكننا أن نفهم هذا التراث أو أن نحدد ماهيته. من هنا تنبع الأهمية القصوى للأدب الجاهلي ولكل معلومة تاريخية عن عصر الجاهلية فالتدوين هو عصر تعلم الكتابة الذي تسبقه عصور تعلم القراءة والنطق وإصدار الصرخات العشوائية. المسبوقة بدورها بعصور التشكيل الأولى، وإذا كنا لانملك مايكفي من المعلومات عن تلك العصور فإن خيطاً حريرياً متيناً يربطنا بهذه العصور، وهو المتمثل بالنظام الرمزي الأساسي للأمة وهو اللغة. فاللغة بالنسبة للتراث هي حبة الرمل التي تتكون حوله اللؤلؤة مع مرور الزمن.

والواقع ان تحديد ماهية التراث العربي، ومن ثم تعريفه، يصطدم بجملة أفكار سابقة. في طليعتها تأتي الإيحاءات الاستشراقية التي تحول كل ماهو عربي إلى إسلامي، اذ يكفينا هنا التذكير بالإسهامات التراثية الفائقة للمسيحيين العرب لندرك سذاجة هذه الإيحاءات. وبهذا يسقط التعريف الضمني للتراث العربي والقائل بأنه: "جملة المواضيع التي تتاولها الاستشراق بالدراسة". مع ذلك يبقى الخلط واردا فعندما يذكر التراث العربي فإن الأنظار تتجه آليا إلى العصر الإسلامي دون سواه من العصور العربية. هذا الخلط لايتأتى فقط عن إيحاءات الاستشراق بل يسهم فيه عاملان مقرران أولهما أن العصر الإسلامي هو العصر الذهبي للحضارة العربية وثانيهما هو أننا، نحن أصحاب هذه الحضارة، نركز على هذا العصر ونتجاهل غيره من العصور. عذرنا في ذلك أنه العصر الأغنى حضارياً والأوسع مجالاً سياسياً، على هذا الأساس تبرز تعريفات عديدة للتراث منها: "أنه مرادف

للتراث الإسلامي حيث تذوب كافة الفوارق القطرية والعرقية في دولة الإسلام". أيضاً يسقط هذا التعريف لدى مراجعتنا للصراعات، ذات الطابع العرقي، داخل الدولة الإسلامية في حينه. كما نصادف تعريفات بالغة الحساسية لهذا التراث بحيث ينطوي بعضها على إدانة ذات طابع عدواني. وهي عدوانية تكمن وراء رفض بعضهم لكل محتويات هذا التراث. هذه العدوانية التي تقترب بسذاجة من الحيلة الدفاعية المتمثلة بـ "التوحد بالمعتدي" لغاية الوقوع في الأسر العقلي للاستشراق.

إن تحديد مفهومنا لماهية هذا التراث يقتضي بعض الشرح المدعوم بالأمثلة. كنا قد أشرنا إلى أن اللغة هي حبة الرمل التي تتكون حولها اللؤلؤة، بما يعادل إعطاء اللغة دور الأساس في البناء الحضاري، بما يطرح المسألة اللغوية كمسألة مركزية في الحضارة وفي تراثها. كما تزداد حيوية تأثير هذه المسألة في تراثنا نظراً للعمر المديد للغتنا العربية. هذه اللغة التي حافظت على بنيانها الدلالي- الفلسفي، دون تغييرات تذكر، مقابل اضمحلال، وزوال، لغات الحضارات الأخرى من الإغريقية إلى اللاتينية. أما العبرية فإنها تكاد تققد أثرها في اللغة المتداولة في إسرائيل. من هنا اعتقادنا بأن اللغة العربية لم تحفظ لنا تراثنا فحسب بل إنها حالت دون تحويله إلى إرث لأنها أبقته على قيد الحياة. هذه ليست مغالاة إذا نحن نظرنا إلى المواقف القانونية والسياسية التي تعتمدها الدولة الفرنسية لحماية لغتها، حيث تسن هذه الدولة القوانين لمعاقبة من يستخدم كلمات إنجليزية. أما على الوجه الأخر للعملة فيبرز السؤال هل بالإمكان بناء حضارة أو مجرد دولة من دون لغة؟. الأجوبة عبيدة وماثلة للعيان. فقد استعارت الولايات المتحدة اللغة الإنجليزية في رؤية الآخرين ومعها الأسلوب الإنجليزي في تغيل الزمان والمكان. حتى أنت الولايات المتحدة ابنة شرعية للدولة صاحبة اللغة. من هذا الواقع جهد الفرنسيون لدعم انفصال مقاطعة كيوبيك عن كندا. من هذا المنطلق أيضا فإن كل محاولات النيل من تراثنا وأمتنا كانت تمر بمحاولات النيل من اللغة العربية.

من أوائل هذه المعادلات نذكر محاضرة المستر ولكوس في القاهرة (1892) وفيها: ".... إن السر في تخلف المصريين وعجزهم عن الابتكار يكمن في اعتمادهم اللغة العربية السروفي تخلف المصريين وعجزهم عن الابتكار يكمن في اعتمادهم اللغة العربية (أو اللغة الأم بالنسبة لأي شعب من الشعوب) لايمكنه أن يكون مصدراً للتخلف والعجز عن الابتكار. من الدلائل على ذلك ارتفاع نسبة الانتحار بين شعب بريتانيا الفرنسية عندما اضمحلت لغتهم مما جعلهم يحسون بفقدان الهوية والتكامل الذاتي. في المقابل فإن الانغلاق الثقافي في عصر الاتصالات هو المعوق الرئيسي للتطور. فالحفاظ على الهوية العربية والتمسك بلغتها يجب ألا يصرفنا عن الانفتاح على اللغة الإنجليزية بوصفها، مرحلياً، أداة اتصال عالمية الانتشار.

بعد هذه الأمثلة المختصرة يمكننا أن نقول إن اللغة هي عنصر الخلق الأساسي للحضارة التي تحولها إلى كانن حي يموت بموت الحضارة التي نسجتها. لكن اللغة العربية تمكنت من الاستمرار ككانن حي فأبقت بذلك على العناصر الحضارية العربية من دول وكيانات تعتمد العربية كلغة أم

للدول والجماعات الناطقة بالعربية مع مايرافق هذا الوجود من استمرارية طقسية لتراث الحضارة العربية. هذه الاستمرارية هي المدينة للإسلام لأنه هو الذي حفظ للغة العربية حياتها. أما ماتبقى فإنه مسألة لغة ساندة تمكنها سيادتها المرحلية من تحقيق المغريات لاعتماد نظامها الفكري بصورة شمولية تمكنها من تصديره للشعوب الأخرى. ولعل الولايات المتحدة من الأمثلة المعاصرة على ذلك. حيث لاتوجد حضارة أميركية وإنما هناك نظام حضاري من بناء مجموعات عرقية مختلفة. مع التأكيد على ليبيرالية الحضارة العربية في القرون الهجرية الأولى. هذه الحضارة التي لم تفرض نظامها الفكري والاعتقادي فرضاً مباشراً أو غير مباشر عن طريق فرض التغيرات الحيوبوليتيكية أو افتعال الحروب أو حتى تشويه حضارات الأخرين وتزييفها.

ماهو التراث إذاً؟. إن التعريف الذي نقترحه، انطلاقاً مما عرضناه أعلاه للتراث، هو التالي: "هو تجارب السلف التي تصل البنا من خلال الأثار التي تركوها في المكتبات والمخطوطات والمرويات وفي المقابر والمتاحف أو غيرها من المنشآت، مع التركيز على ماتحافظ عليه هذه الأثار من استمرارية فكرية وإنسانية تجعلها مؤثرة".

2-القضية التراثية

وفي المقابر والمتاحف أو غيرها من المنشآت. مع التركيز على ماتحافظ عليه هذه الأثـار من استمرارية فكرية وإنسانية تجعلها مؤثرة".

2-القضية التراثية

﴿ وَهُوهِ الرِّهِ الْمُرْحِيِّ فِي وَهُوهِ وَهُوهِ وَهُوهِ وَهُوهِ وَهُوهِ وَالْمُوا الْمُرَادُ الْمُاسِيِّ وَالْمُوهِ وَالْمُوالِّ اللَّهِ وَالْمُوهِ وَالْمُوالِّ اللَّهِ وَالْمُوهِ وَالْمُوالِّ اللَّهِ وَالْمُوالِّ اللَّهِ وَالْمُوالِّ اللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَاللَّالِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّ

3–التزييف في التراث العربي.

يتعلق التزييف في تراثتا ببواعث وأهداف مختلفة يمكننا تصنيفها وتوزيعها على الخانات التالية: أ-أخطاء الرواة سواء أكانت مقصودة أم غير مقصودة.

ب-الأسباب الدينية وتقسم إلى:

1-الصراع بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى.

2-الصراع بين المذاهب والقرق الإسلامية.

3-الترسبات الحضارية التي انتقلت مع أصحابها إلى الإسلام.

4-الأسباب السياسية -الإسلامية.

ج-الصراعات الحضارية وبدورها تقسم إلى:

ا-الشعوبية (قديمة ومحدثة).

2-الاستشراق (كوجه استعماري).

3-الأخطاء اللغوية.

د-الانتحال بأنواعه التالية:

1-نسبة المؤلفين العرب لأنفسهم ماليس لهم (ثبتت ندرتها).

2-نسبتهم ماهو لهم إلى غير هم (لإعطائه وزناً).

3-قيام غير هم بنسبة أعمالهم إليه (الأمثلة الموثقة أصبحت كثيرة).

4-أن ينسب لهم زوراً مالم يرد على السنتهم ولا في كتاباتهم.

هـ-القراءات الانتقائية في الاتجاهين:

1-قيام العرب بانتفاء مايرونه مناسبًا وتجاهل غير المناسب.

2-قيام المستشرقين بانتفاء مايرون فيه إدانة حضارية للعرب وتجاهل غيره.

و-القراءة المزيفة والتفسيرات الخاطئة للنصوص التراثية.

فإذا راجعنا هذه البواعث وحاولنا استعراض الأمثلة حول كل باعث منها فإننا سنجد أنفسنا نستعرض التاريخ الشامل للأمة العربية. مع مايتخلل هذا التاريخ من نسايات (فترات تاريخية منسية) بدءا بنساية العصر الجاهلي وماقبله وانتهاء بالنسايات التي تعود إلى أجزاء مفقودة من تراثنا المسروق أو الموؤود بجهلنا. في المقابل فإننا نحتاج إلى محو هذه النسايات كي نتمكن من ترسيخ توازن شخصيتنا العربية دون أية حاجة للتوحد بالآخرين.

4-خطاب الجنون في التراث العربي

يتركز اهتمامنا بالتراث في ميدان اختصاصنا وهو حقل الدراسات النفسية. وتقويم الـتراث مـن الناحية العلمية يهتم أول ما يهتم بتحديد العوامل الأتية:

أ-حجم المادة العلمية الموثقة الباقية منه.

ب-مدى المعاصرة والإسهام الراهن لهذه المادة العلمية.

ج-مقدار الأثر الذي يمارسه التراث راهناً في حضارة الأمة.

و-فعالية محتواه في الإسهام بتطور العلوم.

والواقع أن أيا من هذه العوامل لم يحدد بعد بالدقة الكافية. كما يضيق المجال بنا لعرض التقديرات المعروضة والمنشورة حولها. لذا سنعمد إلى متابعة مفهوم الجنون في تراثتا منذ الجاهلية إلى اليوم. فإذا بدأنا بالعصر الجاهلي فإننا نجد محدودية ضوابط الحياة الغريزية المسؤولة عادة عن القلق وخصوصاً لجهة الجنس والحياة الجنسية، إذ إن قيم المجتمع الجاهلي كانت قيماً رجولية مقياسها مدى فعالية الرجل في دعم استمرارية قبيلته. فكانت تساميات الجاهلية تتعلق بالفروسية والشجاعة والكرم والقدرة على التحمل الجسدي والفحولة، فإذا ماعدنا إلى مرويات العصر الجاهلي وجدنا أن الاضطرابات النفسية في حينه اقتصرت على الهيستيريا لدى النساء وعلى إدمان الخمر والحمق من طول معاشرة النساء ومخالطتهم، وبمعنى آخر فإن العصر الجاهلي قد اشتكى ودون من الاضطرابات النفسية تلك التي تشكل إعاقة للرجل عن القيام بالأدوار التي يطلبها منه مجتمعه القبلي.

وباعتمادنا معايير التقويم المعروضة أعلاه نلاحظ أن حجم المادة الموثقة من تراثنا الجاهلي ضئيل جداً. لكنه يتمتع بجرعة من الراهنية والمعاصرة تجعله يمارس تأثيراً مستديماً ومستمراً إلى اليوم. وفيه تحتل قيم الجاهلية مكانة بارزة في جهاز القيم العربي المعاصر. في حين أصبحت الممارسات الغريزية -الجاهلية موضع تحريم ديني واستنكار اجتماعي، فلو أننا راجعنا مفهوم الجنون في العصر الجاهلي لوجدناه معرفاً على النحو التالي: إنه العجز عن التكيف مع الواقع الاجتماعي القتالي والانسياق المبالغ وراء ممارسات تفقد الشخص قدرته على الدفاع عن قبيلته وعن مكانتها.

بالانتقال إلى العصر الإسلامي الأول نجد أن المشركين قد عملوا على الصاق تهمة الجنون بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم نفسه. فلما انتشر الإسلام وجدنا تصنيفاً خاصاً للاضطراب العقلي إذلحظ ثلاث فنات: 1-الممسوسين من الجن و2-الحمقي و3-المجاذيب.

مع العصر الأموي ومع اتساع الفتوحات الإسلامية دخلت تعديلات عديدة على الحياة الاجتماعية اليومية وانتقلت اليها بعض العادات الاجتماعية المنقولة عن مجتمعات أخرى. في حينه بدأت بالظهور حاجة المنقطعين عن الواقع للادعاء بأنهم نسخة عن إحدى الشخصيات الهامة (على غرار ادعاء بعض المرضى المعاصرين بأنهم نابليون أو هتلر ... النخ) وتمركزت ادعاءات المرض في ذلك

العصر حول النبوة فكثر مدعوها. حتى إذا جاء العصر العباسي وازداد تعقيد الحياة الاجتماعية وطرح موضوع الدين طرحاً فلسفياً فبدأ مفهوم الجنون يتخذ طابعاً شديد التعقيد حتى بات شديد الشبه بمفهومنا المعاصر للجنون.

في ذلك العصر بلغ الاهتمام بالموضوع حدود تأليف الكتب حول أخيار الحمقي والمجانين فقد كانت هذه الأخبار موضوع تندر وتسلية لدرجة أن بعضهم كان يدعى المرض (يتحامق) لتحقيق غاياته. فمنهم من تحامق لينال غني أو هبة أو حتى ليجد طعامه، ومنهم من تحامق لينجو بنفسه من مأزق مع السلطة. في المقابل فإن بعض المرضى الفعليين كان يظن أن تركيز هذيانه على النواحي الدينية يجعل هذيانه مقبو لا ويجعله يحظى بالعطف والتفهم. أما ادعاء النبوة فقد اختفى بسبب العقوبات الرادعة ليحل مكانه هذيان المهدوية (ادعاء المريض بأنه المهدى المنتظر) أو ادعاء الزهد والتصوف. وهذا الادعاء الأخير لم يبلغ ذروته إلا في العصر اللاحق لنهاية العصر الذهبي للعباسيين. أما الجنون بالمعنى الذهاني أو المرض العقلي (كما يعرف اليوم) فقد حمل مسمى مس الجن لغاية الفترة الأولى من العصر العباسي. ثم تم تغيير هذه النظرة على يد الأطباء العرب الذين تمكنوا من تبيين وتحديد علاقة أمراض الدماغ واضطراباته بالمرض العقلى الذي صنفوه إلى مالينخوليا وعشق واضطرابات إدراك وسلوك ناجمة عن أورام الدماغ أو اضطراباته وإلى عته و لادي. ولو نحن راجعنا تعريف المالنخوليا في كتب التراث لوجدنا أنها مقسمة إلى عدة أشكال عيادية تجمع أهم الذهانات المعروفة اليوم وأكثرها انتشارا الاكتئاب والهوس والفصام والفصام الهذائي. وعن التفريق بين الاعتقاد الشعبي بمس الجن وبين النظرة العلمية نـورد هـذه المقولـة لابـن سينا إذ يقول في نسبة المالنخوليا إلى الجن: ونحن لانبالي من حيث نتعلم الطب أن ذلك يقع عن الجن أو لا يقع بعد أن نقول: إنه إن كان يقع من الجن فيقع بأن يحيل المزاج إلى السوداء، فيكون سببه القريب السوداء، ثم ليكن سبب تلك السوداء جنا أو غير جن٠.

بذلك يتجنب ابن سينا الدخول في متاهات النقاش الذي لايجدي نفعاً في العلاج والذي لايزال مطروحاً. أما عن التقويم العلمي لتراثنا النفسي (ولخطاب الجنون فيه) فإن العودة إلى عوامل التقويم المعروضة أعلاه تبين لنا مدى أصالة هذا التراث وتأثيره على الراهن العلمي العالمي، فعلى الرغم من تبعثر مخطوطاتنا التراثية وتوزعها على مكتبات العالم، وعلى الرغم من عدم الاهتمام بتحقيق من تبعثر مخطوطات في تراث الإنسانية من حيث الدراسات الإنسانية في حقل النفس البشرية، فإن التراث النفسي العربي له حضوره القوي الذي أتاح لله ممارسة آثار فاعلة في الفكر الطبي النفسي الحديث. إذ إن أحداً لاينكر إسهام هذا التراث وفعاليته في دفع تطور العلوم وحفاظه على معاصرة العديد من منطلقاته الفكرية العلمية التي سجلت السبق العلمي في عصرنا الراحل ولاتزال متعقينا في هذا المجال الإشارة إلى ماسجله تراثنا من سبق في علاج الأمراض النفسية بالأدوية العشبية. فقد كان العرب سباقين لاستخدام الأفيون والحشيش في علاج الاضطرابات العقلية (راهنا تجري أبحاث في بلدان عديدة لاختبار هذه العلاجات). كما استخدموا نباتات ست الحسن وكف الثعلب

التي لاتزال مستخدمة إلى اليوم وإن تراجع استخدامها، واستناداً إلى حفاظ تراثنا على معاصرته اقترحنا في مؤتمر "نحو علم نفس عربي" العودة إلى تراثنا النفسي- الدوائي وتنويره بالمعطيات الصيدلانية الحديثة. وأعطينا مثالاً على ذلك إمكانية الجمع بين نبات ست الحسن وبين أحد المهدئات النفسية البسيطة، بحيث يستطيع المريض الاستغناء عن تناول هذه المهدئات بجرع كبيرة ويتجنب بذلك احتمالات اعتباد العقاقير الكيماوية. فإذا كنا عاجزين عن تحويل مثل هذه المشاريع فإن ذلك لاينتقص من معاصرة تراثنا بشيء.

5-في مواجهة الإشكالية التراثية.

إن مواجهة إشكالية المسألة التراثية بجوانبها المعروضة أعلاه، والتي تمثل ماأتيح لنا إدراكه مــن هذه الإشكالية، نقتضي جملة خطوات قد تلخصها أوتطرحها للنقاش اقتراحاتنا التالية:

أ-الإسهامات الأكاديمية: إن مهمة الجامعات العربية يجب ألا تقتصدر على تهيئة طلابها لاستيعاب الإنتاج العلمي الحديث. بل إن هذه المهمة يجب أن تتضمن إعدادهم للإسهام في اللحاق بركب التطورات العلمية الحديثة وأيضاً للعمل الجاد على الإفادة من ذخائر تراثنا العلمي. لذا نقترح أن تفرض الجامعات على طالب الدراسات العليا في العلوم النفسية (الطب والدراسات النظرية) أن يرافق بحثه تحقيق أحد النصوص التراثية أوتجربة أحد الاقتراحات التراثية العلاجية المتعلقة مباشرة بموضوع أطروحته. مع مايقتضيه ذلك من توفير النصوص التراثية لهؤلاء الطلاب.

- ب-إنشاء مراكز للبحوث التراثية: ويفضل أن تتبع هذه المراكز للجامعات وأن تلحق بها، بحيث تشارك كل كلية من كليات الجامعة في تحقيق التراث وإعادة تحقيقه وتتويرها على ضدء المعطيات المعاصرة. كل كلية وفق اختصاصها.
- ج-دعم مراكز البحوث التراثية القائمة والمنشورات المهتمة بالموضوع وتشجيعها مثل: معهد المخطوطات العربية ومجلة التراث العربي ومركز جملة الماجد للثقافة والتراث.. الخ. مع مدّ يد العون والمساعدة إلى المشاريع الجديدة في المجال.
- د-وضع خطط وهيكليات منهجية في ميدان تحقيق التراث ونشره وانتقاء مواده، بحيث نتجنب تكرار نشر العمل التراثي الواحد لدى عدة ناشرين، حيث يعتمد هذا الانتقاء حالياً مبادئ الكسب المادي السهل ويتوجه بصورة انتقائية نحو المواضيع الدينية، فيكون ذلك على حساب المواضيع والأزمنة التراثية الأخرى.
- ه-يجب ألا يغيب عن بال الباحثين في تراثنا العربي حقيقة أن انتشار لغة ما واعتماد غير متكلميها لها لايتم إلا بإثباتها لقدرتها على إنتاج وسائل التسلية واعترافها بالحاجات الإنسانية. فإذا عدنا إلى اللغة العربية لاحظنا أن لسطوتها (في زمن القرون الوسطى)

بعدين أولهما ديني معروف وثانيهما قدرتها على ابتاج التسلية الىي جانب عطائها العلمي والفكري. هذا وتتضم لنا أهمية التسلية من خلال اهتمام الأجنبي البالغ الجمهور بمواضيع مثل "ألف ليلة وليلة" و"كليلة ودمنة" و "أداب الرحلات"... الخ.

خلاصة القول إن العلاقة الجدلية بين ثقافتنا وتراثنا وحضارتنا لايمكنها أن تتوضح وأن ترسو على أسس صحيحة إذا نحن لم نهتم بالمتوافر بين أيدينا من عناصرها بحثاً وتحقيقاً وتنويراً. فإذا أردنا إرساء خصوصية شخصيتنا العربية فعلينا أن نتجنب التركيز على الماضي، وأن نعمل على استحضار الماضي لندرك عناصره المؤثرة في صنع الحاضر وإمكانية استغلال هذه العناصر في سبيل حاضر أكثر إيجابية وأكثر وفاء لوعينا الجماعي.

000

كتاب الحفاية بتوضيح الكفاية للبيتوشي عرض \تعريف

الدكتور محسن إسماعيل محمد طه صالح أمين آغا

لم

تكن ذاكرة الزمن في القرن الثاني عشر من الهجرة ومطلع القرن الثالث عشر ترخر بذاك الكم الهائل من العلماء الذي حفظته لنا تلك الذاكرة في أيسام عزّها في القرنين الثالث والرابع من الهجرة.

وكان من أبرز وألمع العلماء الذين سجلوا حضوراً واسعاً في ساحة العلم والمعرفة أنذاك، وخطوا بأقلامهم مكانة لا تتسى في ذاكرة الزمن: البيتوشي (ت1211هـ)، ذلك العالم الذي خدم لغة القرآن بمؤلفات خالدة ما بقي للعلم محب.

واليوم أقدّم تعريفاً بأهم كتبه ألا وهو كتاب: الحفاية بتوضيح الكفاية، وهو كتاب -كما سترى عزيزي القارئ- يدور حول حروف المعاني، وهو موضوع لا تخفى أهميته في الدرس اللغوي قديماً. وحديثاً.

ومن اللّه التوفيق.

اسم الكتاب:

شرح البيتوشي منظومته (كفاية المعاني في حروف المعاني) شرحا مبسوطاً مفصلاً، وسماه (الحفاية بتوضيح الكفاية)، ونص على هذا الاسم في خطبة الكتاب بقوله: "... ولما تقفته بأنامل التقويم، وختمته بخاتم التتميم وصار حبلاً من مسد في جيد كل حسد سميته (الحفاية بتوضيح الكفاية) ومن الله استمد البداية...(1).

دراسة مسئلة من رسالة ماحستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية في كلية الأداب بمامعة صلاح الدين سنة 1414هـ -1993م نقدم بهـــا الطـالب طه صالح أمين بإشراف الذكتور محسن اسحاعيل.

泰泰泰 التراز العربي 泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰 ومحسن اسماعيل محمدو 金泰泰泰 (التراز العربي)

وأكد في شرحه الثاني (صرف العناية) البشرح الأول واسمه: (الحفاية بتوضيح الكفاية) وذلك بنقل خطبة (الحفاية) بتمامها إلى (صرف العناية)(2).

معنى (الحفاية):

١ وردت (الحفاية) في المعجمات بمعنى: المبالغة في العناية بأمر، وكثرة السؤال عن حاله.

جاء في (مختار الصحاح): "حفي" -بالكسر- (حفوة) و (حفية) و (حفاية) بكسر الحاء في الكل. و (حفي) به -بالكسر- (حفاوة) بفتح الحاء، فهو (حفي) أي بالغ في إكرامه والطافه والعناية بأمره(3).

وفي (اللسان): (حفي) بالرجل (حفاوة) و (حفاوة)، و (حفاية) و (تحفى) به و (احتفى): بالغ في اكرامه. و (حفي) به (حفاية): فهو (حاف)، و (تحفى) و (احتفى): لطف به و أظهر السرور به، وأكثر السؤال عن حاله(3).

قال الفرّاء: ويقال: فلان بي (حفي)، إذا كان معنيّا.

وقال الجوهري: (الحفيّ): العالم الذي يتعلم الشيء باستقصاء و(الحفي): المستقصي في السؤال (4).

دواعي تأليفه:

نص البيتوشي في تمهيد (الحفاية) على أن منظومته (الكفاية) نالت إعجاب الأدباء وفضلاء عصره، ووقعت في قلوبهم موقع الطلّ من أقاحي الربا، فطلب منه بعض الفضلاء أن يضع عليها شرحاً يبين فيه موادها، ويوضح مفادها، ويصرح بما لمح إليه من شواهدها.

قال البيتوشي: ".. طلب مني بعض فضلاء العصر، الهاصرين أغصان الفضل أي هصر، أن أضمع عليها شرحاً.. فبادرت لما رأيت من وجوب طاعته، وحرمة مدافعته إلى وضع عجالة تكفلت بأداء ما أمر.."(5).

زمن تأليفه:

ألَف البيتوشي منظومته (الكفاية) سنة 191هـ، ووضع شرحها (الحفاية) في السـنة نفسـها، فـي (الإحساء)، كما صرّح به في نهاية (الحفاية) بقوله:"... تمت بإعانة اللّـه هذه العجالـة.. أول يـوم مـن شعبان سنة ألف ومائة واحدى وتسعين في (الإحساء) المحروسة مع تشتت الحال واشتغال البال"(6).

منهج الكتاب

بنى البيتوشي كتابه (الحفاية) على: تمهيد، وخطبة، ومقدمة في حد الحرف، وخمسة أبــواب هــي

مواد الكتاب، ثم الخاتمة، وسنعرض فيما يأتي الكلام على ذلك كلَّه بالتفصيل.

التمهيد:

أننى البيتوشي في التمهيد على منظومة (الكفاية) لما نالت من قبول الأدباء والعلماء وفضلاء عصره واستحسانهم، لأنها كما يقول: ".. سلكت في إنشاء أمثالها من الأفكار مهامه لم تدمئها الخطا، ومن الابتكار صحاصح ما اهتدت إليها القطا،، ورضت فيها من المعاني جيادا تجمح بنوى صهواتها.. مع ما أسست عليه قواعدها من السهل الممتنع، والسلاسة التي تدعو إلى حفظها كل مستمع.."(7).

وأبان في التمهيد أن الإعجاب بها دفع بعض فضلاء عصره إلى أن يطلب منه وضع شرح عليها، فبادر البيتوشي بهذا الشرح إلى تلبية طلبهم.

ثم عرض فيه لمنهجه وطريقته في الشرح: ".. أبين فيه مرادها، وأوضح مفادها، وأرشد الطالبين إلى اقتناص شواردها، وأصرح بما لمحت إليه من شواهدها، وأوشح معاطفه بذكر اقسام أهملتها، وقيود أغفلتها.. تضمنت استطرادات تطرد تعب السهر عن مآقي أهل السمر، إلى نكات عربية، وأحاج نحوية، وعزوت غالب الأقوال إلى قائليها توخياً لثقة متناوليها.

وأوردت في شرح كثير من الأمثال بعد إيضاح ما فيه من الأشكال، وإعراب ما يخفى وجهه على الأطفال، أشعاراً، فيها اشعار بمطابقة مقتضى الحال، ليكون نسج الشرح والمتن على المنوال"(8).

خطبة الكتاب:

وفيها تناول شرح أبيات خطبة (المنظومة) التي تبلغ (43) بيتاً، وقد أسلفنا فيه القول، وهنـا فـي الشرح استطرد المؤلف في بيان نوع من الترجمة الذاتية.

مقدمة الكتاب:

وفي المقدمة بحث حدّ الحرف، وأورد أقوال العلماء فيه، مع الـرد على من أنكر ضرورة حد الحرف.

ويذكر في المقدمة أنه عقد للحروف خمسة أبواب على ترتيب أوضاعها، أي: الأحادي، فالثنائي.. إلى الخماسي(9)..

أبو ابه:

الباب الأول: في الأحادي(10): وهو أربعة عشر حرفاً، جمعها في قولهم (سألتموني بكشفها..) أوردها على ترتيبها في الهجاء: "أ، ب، ت... ه، و، لا، ي" ويضم ثلاثة عشر مبحثاً، لأنه جمع السين والشين في مبحث واحد، وخاتمة عرض فيها لعلامات البناء.

ଛଞ୍ଚ التراد المعربي هههههههههههههههههههههههههههها التراد المعالم المعمود السماعيل محمدوههههههههههها التراد المعربية ا

الباب الثاني: في الثناني: قال: "وهو ضربان: ضرب منفق عليه، وضرب مختلف فيه، والجميع ثلاثة وثلاثون حرفاً.. واكتفيت عن ذكر (هي، وهم) ضميري فصل استقلالا بما ذكرته مما يشملهما وغيرهما من ضمائر الفصل في (هو)"(11). وقد أوردها على ترتيب حروف المعجم، مراعياً الحرف الثاني في ذلك.

ثم ختم الباب بخاتمتين، قال في الأولى: ذكرت هنا خاتمة تتعلق بالأحاديات والثنائيات، نقلتها من أدب الكاتب لابن قتيبة، تنطوي على فوائد مجموعة، وهي تختص بدخول (من) على الحروف(12) وعرض في الثاتية: دخول (الباء) على (الكاف)، ودخول حرفي (على) و(الكاف) على حرف الكاف(13).

الباب الثّالث: في الحرف الثلاثي: قال: "ضربان: متفق عليه، ومختلف فيه، ولم أذكر (نحن) و (هما) و (هما) و (هنّ)، لما ذكرته في (هو) ضمير القصل."(14). ذكر فيه ثلاثة وثلاثين حرفا عدا ضمائر القصل.

بالباب الرابع: في الحرف الرباعي: قال: وهو نوعان: متفق عليه ومختلف فيه، وجماته: عشرون حرفا، ولم أذكر منها (أنتم) الواقع ضمير فصل في نحو: (إنكم أنتم الظالمون)(15)، لما ذكرته في: (هو) فراجع(16).

ويضم الباب تسعة عشر مبحثاً، وخاتمة، وفي الخاتمة: قال: "هذه خاتمة للحروف الأحادية والثنائية والثلاثية والرباعية، في ما جاء منها: حرفاً، وفعلاً، واسما. وتتبعت ذلك فوجدت منه عشرين حرفاً، ذكرها السيوطي أوائل الفن الثاني من كتابه (الأشباه والنظائر) إلا (الهاء)(17).

الباب الخامس: في الخماسي: قال: "وهو أربعة أحرف، واحد متفق على حرفيته وهو: (لكن)، وثلاثة مختلف فيها، منها: (أنتما)، و(أنتن)، ولم أذكر هما لما ذكرته في (هـو) والشالث: (الذي)(18). ولهذا جاء الباب على مبحثين مبحث (الذي) ومبحث (لكن).

ويختتم (19) البيتوشي كتابه هـذا بشـرح أبيـات خاتمـة منظومتـه، ويبيـن فيهـا زمـن تـأليف هـذا الشرح، وقد أسلفنا فيه القول.

ويرجو في الختام ممن يقع على هفوة أن يستره، ويسلك سبيل الإنصاف، ويسمح فيها بالتعويل على حسن التأويل، مستشفعاً بأحاديث نبوية في هذا الباب كقوله – صلى الله عليه وسلم-: (إن من يتبع عورة امرئ يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله)(20).

وعلى الرغم من رجائه هذا، لمن يتبع عيوبه في هذا الكتاب، فنحن ماضون في بيان ما يبدو لنا من المأخذ والهنات والأخطاء لأنه من صميم عمل المحقق عند تقديم أشر من الآشار المخطوطة إلى الدارسين.

بعد العرض المجمل للأركان الأساسية التي بنيت عليها (الحفاية) نأتي إلى بيان أبرز السمات

學學學學 التراز المرب 9 9 9 9 9 - ربيع 9 9 9 - ربيع 9 9 - ربيع 9 9 - ربيع

التى توضح منهجه:

- 1-إن كل باب من الأبواب الخمسة يشتمل على مباحث، لكل حرف مبحث، يتكلم فيه البيتوشي على المراب الخمسة يشتمل على مباحث، لكل حرف مبحث، يتكلم فيه البيتوشي على الحرف، يبين أقسامه، ومعانيه، ويذكر الخلاف في ذلك. وشدّ عن هذا ضمائر الفصل: (هي، هم، نحن، هما، هن، انتما، انتنّ) فقد جمع كلها في الضمير (هو) فجعله مبحثاً لتلك الضمائر جميعها. وقد أشار إلى إهمائه تلك الضمائر في أبوابها، وأحال جميعها إلى مبحث (هو) في الثنائي. وقد جمع السين والشين في مبحث واحد.
- وأدخل في كل مبحث عناوين باسم (تنبيه) أو (فائدة) أو (لطيفة) أو (تتمة) أو (خاتمة)، بذكر فيها معلومات متنوعة حول الموضوع، وقد يخرج عنه إلى موضوعات استطرادية، وقد يلي (التنبيه الأول) (تنبيه ثان) و(ثالث)، أو (تنبيه استطرادي). وقد تاتي (فائدة استطرادية) بعد (فائدة) بعد (فائد
- 2-اتبع الترتيب الهجاني في ذكر الحروف، أي على ترتيب حروف المعجم في الكتاب كله، وابنه وإن اعتمد على الجنى النائي إلا أنه قدّم (متى) على (منذ) بخلاف المرادي الذي قدّم (منذ) على (متى) مخالفاً ترتيب المعجم.
- 3-ذكر أراء العلماء، وناقش طائفة كبيرة منها، وحكم عليها بالترجيح والرد، كما رسم منهجه في مقدمة المنظومة، بترجيح رأي على رأي، ومخالفة رأي من الأراء(22)، واصطنع أسلوب الجدل والحوار، وطريقة السؤال والجواب، يتصور أسئلة تطرح عليه، فيجيب عنها بأسلوبه: (فان قلت...) أو (أجيب..)، ويرد عليها بقوله: (قلت...) أو (أجيب..) أو (فالجواب..).
- 4-أشار إلى الكتب التي استقى منها آراء العلماء من النحاة واللغوبين والبلاغيين وغيرهم مثل: الكتاب لسيبويه (180هم)، والمقتضب للمبرد (186هم) ورصف المباني للمالقي (502هم)، وشواهد التوضيح والتسهيل لابن مالك (672هم) سأذكر فيما بعد في (مصادر الكتاب) في موضعه من هذه الدراسة جميع الكتب التي اعتمد عليها.
- 5-وقد يذكر أراء العلماء دون كتبهم، لأنه قد يأخذ أراءهم من غير كتبهم وقد يأخذ من كتبهم دون دينهم دون ذكرها لما للشهرة أو للاختصار، وربما استعمل عبارات عامة مشل: قال البصريون، والكوفيون، والمحققون، والمغاربة، وقوم من النحويين، وقوم، والجمهور، وبعض، أو بعضهم، وأخرون.
- 6-ذكر آراء عدد من العلماء لم يبلغوا درجة الشهرة منهم: أبو جعفر ابن زبير، ابن عجلون في شرح الشيبانية، ابن أبي العافية، أبو جعفر بن صابر من أهل المغرب، ابن أبي ربيع، جمال السرمري، وغير هم(23).
- 7-اتخذ نقله لأراء العلماء عدة أساليب منها: نقبل نصبا، أو تلخيصنا، أو منا حاصله، أو بقوله:

أخذا من عبارة..، مثال ذلك تلخيصه لقول ابن هشام بقوله: (انتهى ملخصما)(24)، أو (ما حاصله) قال: "قال ابن هشام ما حاصله: "إنك إذا وقفت على الفسعل الماضي بالسكون، فالفتحة فيه مقدرة حتى لو وصل بعده لوصل بها(25).

هذا تعبير البيتوشي عمًا فهمه من إنكـار ابن هشـام علـى مـن يخـرج علـى الأمـور البعيـدة والأوجه الضعيفة، ويترك الوجه القريب القوى(26).

8-ويختم نفولاته من كتب الأخرين غالبًا بقوله: (انتهى).

9-استعان البيتوشي بنظمه في شرحه، لتلخيص معاني الحروف، أو جمع لغات مفردة من المفردات، أو عرض موضوع من الموضوعات، ليسهل حفظه وتذكره.

منها: تذبيله لبيتين من نظم غيره في جموع القلة وفيه يختار مذهب الكوفيين:

لأهل كوفة لابصريهم تفد (27).

وأثبتن (غرف) فيهن مع حجج

ومنظومة ما يكتسب الاسم بالإضافة (28)، وبيت نظم فيه لغات الاسم (29) ومنظومة ما ليس له تعلق من أحرف الجر (30) ومنظومة في الأجوبة الثمانية (جواب) الأمر والنهي والدعاء والاستفهام والعرض والتحضيض والتمني والنفي والإشارة إلى الخلاف في الترجي (31)، منظومة صيغ العموم (أربعين صيغة) (32)، منظومة ما جاء مؤنثه على فعلانة (33)، منظومة أنواع النسب (34) أبيات من منظومة الكافي في العروض والقوافي (35) واستعان بمنظومات لغيره، كمنظومات المرادى وجمال السرمدى (66).

- 10-ربط موضوعات الحفاية بعضها ببعض ربطا محكما عن طريق ابشارته الى ما مر وما سلف وما سيأتي وما هو آت من المباحث، ولا سيما في الموضوعات التي تتكور دائماً، مثال ذلك: و(صاح) مرخم (صاحبي) وقد مر شذوذه(37)، وفي اسمية (اذ ما) خلاف مر في (إذ) وفي (مهما) كلام سيجيء(38)، و(أن) زائدة لوقوعها بعد (لما) كما مر (39)، و(أن المصدرية) وسيجئ أنها قد تعمل (40).
- 11-قد يخرج عن معاني الحروف إلى الاهتمام بمسائل نحوية ولغوية قليلة الورود في العربية، أو آراء نادرة للعلماء، يذكرها لإفادة المستزيد من الناشئة في النحو واللغة، مثال ذلك: ما أورده لتوجيه بعض من أقواله: قولي (ما ناب عن همز) يجوز أن يكون مصدراً من "همزت الكلمة" إذا أتبت فيها بالهمزة وأن يكون مرخم همزة، وهو وإن لم يكن موضع الترخيم، إلا أنه ورد في اشعارهم على قلّة، قال امرؤ القيس:

بصارية يمشى كمشية قسورا

وعمرو بن نرماء الهمام إذا غدا

فحذف الهاء من (قسورة)(41).

وفي ايراده (أمّل) بالتشديد في منظومته، يقول: وقولي (أمّـلا) بالتشديد وبالتخفيف بمعنى،

ولا التفات إلى انكار أبي نزار لـ (أمّل) مخففاً وإن لقب لجلالته بملك النحاة، فقد صدر حبه أجلة من علماء العربية وغيرهم قديماً وحديثاً منهم الخليل والجوهري وصاحب القاموس(42). وفي باب الياء، يقول: (يعد) بمعنى ظنّ، ويورد في ذلك قول ابن مالك "وهوماً أغفله أكثر النحويين" (43).

- 12-عين مواقع النصوص في المصادر التي استقى منها ليعين القارئ على العودة إليها بيسر وسهولة، فهو مرة يذكر موضوع النص في بابه، أو يقول: وهو في أول الكتاب أو في أواخره، مثال ذلك: وذكر ابن هشام في "المغنى" في آخر (الباب السابع) منه ما هو صريح...(44) وقال: في أواخر المغنى.. وكثيراً ما ينقل عن "الأشباه والنظائر" مع تعيين النص في الفن المأخوذ منه، مثلاً: في فن الألغاز والأحاجي، أو في "التبر الذائب في الأفراد والغرائب." وغيرها.
- 13-عند ذكر مصادره لم يراع القدم والترتيب الزمنسي اللائق بالبحث العلمي، فهو يذكر ابن هشام (46). وكذلك هشام قبل المرادى على ابن هشام (46). وكذلك المصادر الأخرى.
- 1-1-جوّز لنفسه الاقتباس من القرآن الكريم في المعنى الخاص والعام بقوله: "وقولي (وإنْ كُلاً لمّا)(47)- بكسران- اقتباس من القرآن الكريم، وذلك جائز كما هو مقرر في محله، وفيه الاكتفاء.. (48).

فالاقتباس من القرآن الكريم مكروه عند عدد من العلماء، منهم الباقلاني، قال: "إن تضمين القرآن في الشعر مكروه"، وأئمة البيان جوزوه، وجعلوه من أنواع البديع، وسمّاه القدماء تضمينا، والمتأخرون اقتباسًا (49).

وأذهب أنا إلى تحريمه إذا اقتبست الآية لغير معناها الذي أنزلت له، كما في اقتباسه لآية (هاؤم الرّأوا كتّابية)(50)، ويعد هذا تحريفًا للكلم عن مواضعه والعياذ بالله، وهو تنزيل كلام الله منزلة لا بليق بها(51).

15-تضمن (ترجمة ذاتية) للبيتوشي، بخلاف تصانيفه الأخر، ولا سيما في التمهيد وخطبة الكتاب وخاتمته، ويعد هذا من السمات التي تميز أسلوب البيتوشي من غيره.

ستجد نتفا من ترجمته الذاتية مبثوثة في تضاعيف هذا الكتاب، وتجد شكواه من جور الزمان وحدثان الدهر، ومن الفقر والفاقة، وكلها ترجمة لنفسيته، ومثال ذلك: يقول في المنظومة:

صفعا يفيض الدّمع شفعا شفعا شفعا لا عيشبتي مؤدبي"

'تصفعنــی الأیــام صفعــا صفعــا ولـــم یکــــن ذنبــــی إلاّ ادبــــی

وفي الشرح يقول: لا عاش مؤدبي عيشة من العيشات إلاّ عيشة مثل عيشتي وذلك لأن تأديبه هو الذي أبرز قذالي للصفاع، فكأن الجزار قال على لساني لما طلع على شأني:

إذ عمها الادبار والإقبال

والأرض قد ثقلت عليها وطأتي

عينيان قال الناس ذا دجال

حتام أمسحها فلسولا أن لسي

ولقد رمي الفاضي عبد الوهاب عن قوس حالي، وأصاب، لما قال يشكو تشتت الحال:

قصور حالى وطول آمالي

أطسال بيسن الديسار ترحسالي

تبقى مدى لحظة على حال

كأننى فكسرة الموسسوس مسا

ثم يقول بعد عودة الوعي والفهم الصحيح إليه من بعد طول الشكوى وتذمر من الدهر وتقلباته: وقد كنت قدما أقضى العجب من شغف الدهر بتقديم الجهال الأراذل، وتأخير أهل الكمال الأفاضل، مثلما قال القائل:...

ولم أقف على سرَ تلك القضية.. إلى أن عثرت على سبب ذلك عثوراً لا عثرة يطلب منها الإقالة في قول من قال:..

فصرت كأنى انشطت من عقال، أو شفيت من داء عضال، وأنشدت قول من قال:

لنا علم وللجهال مال

رضينا قسمة السرزاق فينا

وإن العلم بساق لا يسزال (52)

فان المال يفنى عن قريب

وفي أبيات رائعة يدعو فيها البيتوشي على نفسه، مصوراً نفسيته في مرحلة المراهقة: "وقلت في أيام التصابي وغلوا" شبابي:

وفي وال عدمت مسن في وال

لين عين أزادني الله منها

في مطاوى الحشا كجمر الرّماد(53)

تلك تغرى بسى الوشاة وهذا

وقال في موضع أخر: "وقد غنّى كثير في هذا الوادي، مع تباين مراده ومرادى"(54)، وقال في منظومته:

ومن خطيئات جَنَّتُها أغرقست)

"(بما جَنْتُ عيني كبدي احسترقت

أي احترقت كبدي بسبب الذي جنته عيني من النظر إلى الوجوه الحسان، وأغرقت في بحر الدموع ومن خطينات جنتها..، وقلت:

وهائمكا بجباه الغيب والأمسم

يا مولعا بهوى الأوتسار والنّغه

لا خير في شبع يفضي إلى التخم (55)

مسرة تنتج الأحزان عن كثب

وقد أودع في قصيدته في وصف (بيتوشي) (ترجمة ذاتية) ذكر فيها أن بيتوش هي مسقط رأسه، وفيها ترعرع، وصور حياته فيها، ومعاناته، وطموحاته، وآماله في أصعب ساعاتها في ديار الغربة (56).

في هذا الكتاب تجد ملامح بارزة من حياة البيتوشي وشخصيته ونفسيته وعلمه وثقافته لا تجدها في أثاره الأخرى، عدا (صرف العناية) الذي هو مختصر له (الحفاية).

16-ولع البيتوشي بالأحاجي والألغاز النحوية واللغوية والمعنوية، لذا نرى شرحه هـذا قـد امتـلاً بألغازه والغاز غيره كالزمخشري والسخاوى وشرحه، وما أورده السيوطي في الأشباه والنظانر.

ولا يقصد من إيرادها شيناً سوى تحقيق أهداف علمية أو نفسية لإمتاع قارئه وإغرائه بالاستمرار في متابعة مباحث كتابه، وتكون زاداً للطلاب في أسمارهم ومجالسهم.

ومثال ذلك: من ألغازه النثرية، قال البيتوشي: وفي نحو (لا أبالك) على القول بأن (الـلام) هي الجارة لا المضاف، ألغزت بقولي: "ما اسم مضاف كما قد يعزى السي سيبويه، وليس يعمل في ما عدا مضافا اليه، أجب فلا زلت تهدى من في ضلال وتيه.. (57) ومن ألخازه الشعرية:

إنا هجرنا فيك طعم الكرى المنام (58) النا في المنام (58) المنام (58) الماما على على على المنام (58) الماما على على الماما على على الماما على على الماما عل

17-ترجم البيتوشي لجمع من أفذاذ علماء العربية، ليكون القارئ على علم بأقطاب النحو العربي وأعلامه البيتوشي لجمع من أفذاذ علماء العربية، ليكون القارئ على علم بأقطاب النحو العربي وأعلامه الذين صنعوا النحو بعبقريتهم الفذة. وهو الأهم: سيبويه (ت204هـ)، الأخفش (ت211هـ أو شميل (ت204هـ)، الأخفش (ت211هـ أو 225هـ)، الوجاج (ت 311هـ)، أبو جعفر النحساس (ت338هـ)، أبو جعفر النحساس (ت338هـ)، الفارسي (ت377هـ)، ابن جنبي (ت238هـ)، ابن بابشاذ (ت648هـ)، ابن الطليوسي (ت521هـ)، النرمخشري (ت538هـ)، ابن مالك (ت672هـ)(60).

18-ولم يترك أسماء القبائل دون ترجمة أو تعليق، انظر مثلاً: وخزاعة: حي من الأزد سمّوا بذلك لتخزعهم، أي انقطاعهم عن قومهم وإقامتهم بمكة (61)، وسليم: وهو كزبير: أبو قبيلة من حذام (62). ستصادف خلال النص أسماء قبائل عربية، علَق عليها البيتوشي تعليقات متنوعة.

19-أتى بألفاظ مساعدة على زنة الأسماء والمفردات التبي يوردها ليجنب القارئ الوقوع في خطأ قراءتها، ومثال ذلك كثير، منها: عمرو بن قميئة (كسفينة)، وخزاعة (كفلانة)(63).

هَهُ الرِ الْمُعَلِينَ مُعَمِّدُهُ هُمُهُمُهُمُهُمُهُمُهُمُهُمُ الرِّهُ الْمُعَلِينَ مُحْمِدُهُمُ هُمُهُمُ الم طه مالح أمين آغا

20-ولا يذكر علما من الأعلام الاً ويؤكد على صحة قراءته، وذلك بضبط الكلمة عن طريق الكتابة لا التشكيل، مثال ذلك: البطليوسي: بفتح الموحدة والمهملة، والمثناة التحتية بين واو ولام ساكنتين وبمهملة بعدها ياء النسبة وابن برهان: -بفتح الموحدة-(64) وغيرهم.

21-تطرق إلى ذكر كل صغيرة وكبيرة خارجة عن حروف المعاني، ولا يتركها دون تعليـق أو تعقيب، اتماماً للفائدة، وتوضيحاً للمتعلمين لأن غرضه تعليمي بحت، لذا نراه يولي (التذكير والتأنيث) اهتماماً بالغاً في الكتاب كلّه، وله منظومة في (المؤنثات السماعية) ارجع إليها ان شنت ضمن مؤلفاته في هذه الدراسة.

-نراه يعلل تأنيثه لفعل مسند إلى اسم مذكر كـ (سليم)، بقولـه: "وذهبـت فـي تأنيثـه إلـى القبيلـة، ويورد شواهد شعرية على ذلك زيادة في البيان"(65).

-وفي تفسير "النوى" في قول الشاعر:

أحساذر أن تنسأى النسوى بغضوبسا

يقول: "النوى: الوجه الذي ينوبه المسافر من قرب أو بعد، وهي مؤنثة لا غير، قاله الشّمني فـي حاشية المغني تبعاً لما في الصحاح، ولم يتعرض في القاموس للتأنيث(66).

-وقد استطرد في تذكير وتأنيث (ألاً) في منظومته:

وحرف تحضيض وليس يدخسل

(الاً) بتشديد وفتح مهمل وليس منها الحق ألا تعلوا

إلى معالجة التذكير والتأنيث بشواهد من أى الذكر الحكيم، والأحاديث، والأشعار، ما ينبئ عن حرصه في بيان كل ما هو مجد في تقديمه للقارئ وللناشئة في هذا الفن، وجاء ب (تنبيه) لبيانه ومعالجته خير معالجة: قال فيه: 'وقولي: (ألا) بتشديد وفتح مهمل': بتذكير ضمير (ألاً) ذهاب إلى إرادة (الحرف). وقولي فيما بعد: وليس منها الدق: بالتأنيث ذهاب إلى إرادة (الكلمة) ومثل هذا كثير في كتب المتقدمين والمتأخرين ونظير ذلك...(67).

راجع (التنبيه) تجد ما يشفي الغليل في هذا الموضوع، وأورد منظومة في "ما جاءت من المونثات على (فعلانة)(68).

22-عني البيتوشي بالحدود البلاغية والعروضية واصطلاحاتها. وامتلاء كتابه بها، كالجناس اللحق والجناس المضارع، والاستعارة، ومراعاة النظير، وبراعة الاستهلال، والتذييل والإيطاء في العروض، ولزوم ما لا يلزم.

مثال ذلك: قال: "وبين (أخشى) و(أعشى): (الجناس المضارع): وهو أن يختلف اللفظان بحرف واحد مع تفارب المخرج.."(69). وقد أورد مذاهب العلماء في تفسير الاستعارة بالكناية بصورة

مفصلة (70).

وفي العروض حد (التذييل) وشرحه على نهجه شرحاً وافياً (71). ويذكر (الايطاء) من تعريفه في ثمانية أبيات من منظومته الطويلة في العروض والقوافي (الكافي في علمي العروض والقوافي..)(72).

23-يهتم بالمسائل اللغوية، فكان لها نصيب وافر في هذا الكتاب، فما من مفردة في بيت من أبيات منظومته أو في شواهده تحتاج إلى نوع من التفسير أو الشرح إلاّ فسَرها وشرحها وعزز قوله بشواهد وأمثلة. مثال ذلك: تعرضه لذكر مثلثات الأسماء ولغات المفردات:

-نظمة لغات (الاسم) الواردة في العربية في بيت واحد:

سماء السمات منقولات (74).

اسع، سعّ، سما مثلثات

-ذكره في اللغات الواردة في المفردات، يقول مثلاً: المزحلقة -بالقاف والفاء- (74).

- إيراده أراء العلماء في جواز (أمل) بالتشديد والتخفيف، يقول: "وقولي (أملا) بالتشديد وبالتخفيف بمعنى، ولا التفات إلى إنكار أبي نزار له (أمل) مخففاً وإن لقب لجلالته بملك النحاة، فقد صرّح به أجلة من علماء اللغة وغيرهم قديماً وحديثاً، منهم الخليل بن أحمد، والجوهري، وصاحب القاموس.. وقال بعض المعمرين:

وطول عيش قيد يضره

والمسرء يامل أن يعيش

وجاء (مأمول) في (بانت سعاد). وقال المعري وهو من علماء العربية:

مدها ولم يعلم بها المأمول(75)

ومن العجائب أن يستير آمل

-ويولي المعاني المتعددة الصيغ اهتماماً، كما في تفريقه بين معنى صيغتي (رقبته) و (راقبته) قال: "رقبته": انتظرته، وأما (راقبته): فهو بمعنى: حرسته (76).

-حظي غريب اللغة بنوع من العناية، من خلال ايراده منظومتين له، نظم في إحداهما أنواع صيغ العموم والتي بلغت (أربعين صيغة)، قال: "وقد كنت نظمت صيغ العموم كلها أو جلّها في أبيات أحببت أن أوردها هنا لتميز بها بين التنصيص على العموم وتوكيد العموم:

وابين، ظفير، وتدميري

تقول ما بالدّار تؤمري

طوري، الحدرج، والطوري(77)

دُبَسى، الكسرَاب، والسدّوري

والثانية في أنواع النسب، من حيث الهجنة والأصالة، مع شرح كل نوع، وقد جاء بالمنظومة هذه بسبب ورود اسم من الأسماء الدالة على نوع من النسب في شاهد من شواهده، فأورد أنواع النسب مع شرح كل نوع ثم نظمها كلها في ثلاثة أبيات، مثال ذلك: "يقال: رجل مذرع- بالذّال

التراز العربي ههههههههههه التراز العربي هههههههههه التراز الماعيل محمدههههها التراز الماعيل محمدههها التراز الماعيل محمده التحالي الماعيل محمده التحالي التح

المعجمة والراء المشددة المفتوحة - لمن أمّه أشرف من أبيه، كأنه سمي بالرقمتين في ذراع البغل، لأنهما أتتاه من ناحية الحمار .. الخ ويقول في المنظومة:

نزيع، المقرف، والفلنقي (78)

محيوس، المذرع، العنبقيي

-الإشارة إلى ما تحتمله المفردات من المعاني، ومثال ذلك: (الزعم): استعماله للحق والباطل، قال: "(والزّعم) مثلث الفاء- مصدر زعم، إذا قال قولا محتملاً للحق والباطل، وغلب استعماله في الباطل، كقوله تعالى (هذا لله بزعمهم)(79) ومن استعماله في الحق قول أبي طالب يخاطب سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم:

ودعوتنى وزعمت أنَّك صادق ولقد صدقت، وكنت ثمَّ أمينا (80)

-عني بما هو شاذ من المصادر، بقوله: "قولي (في النبيان) أي في الكلام، وهو مصدر جاء بكسر التاء شاذا، ويفتح، ولا نظير له في المصادر غير (التلقاء) كما في القاموس، إلاّ أنه جعل (التلقاء) اسم مصدر، ومنهم من ثلث، فعد (التنصال) مصدر ناضله: إذا رماه بالسهام(81).

-قد يذكر عند تفسير مفردة وشرحها، مجموعة من العبارات الواردة في بابها، وكل ذلك لتزويد الناشئة بذخيرة وافية من التعابير الفصيحة لكل معنى، ومثال ذلك قوله:

"و(أشرق) من (شرق) -كعلم- شرقاً- محركة-: إذا غص بالماء، يقال شرق بالماء، وغص بالطعام، وجرض بالريق، وشجي بالعظم، وباب الكل واحد"(82).

وقوله:

"(يا منجدا): منجدا: من (أنجد) إذا أتى نجدا، أو خرج إليه ك (أَتَّهم)، و(أغرق)، و(أيمن) و(أشأم) و(أغار)(83).

اهتم بالفروق اللغوية بين المفردات، وقد أبدع في خاتمة الكتاب عندما رجح استعمال مفردة على أخرى، لأنها مطابقة لمعناها الحقيقي ولمقتضى الحال، وهو ترجيح لفظ (التمام) على (الكمال)، ويدل على براعة الختام، قوله: "ولا يخفى ما في لفظ (تمت) من براعة الختام، ومثله في ذلك: (الكمال) و(الختام) و(الاتمام)، وكل ما يؤدي مؤداها، وفرقوا بين (التمام) و(الكمال)، فقيل: (الاتمام) لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل، فلا يقال لأخر الكتاب مثلا: هذا كمال الشيء عبارة عن جميع أجزائه، بل يقال: هذا (تمام الكتاب)"(84).

24-أسلوب شرحه:

إن مادة كتاب (الحفاية) في حروف المعاني، ولكن المؤلف استطرد من هذا الميدان إلى الكلام على بعض الموضوعات استطرادا، والاستطراد شائع في كتب العرب: أدبها، وتأريخها، ولغاتها، وغيرها، وهو مما تعاب به هذه التآليف في مناهجها، لأنه من وضع الشيء في غير موضعه، إلا أن البيتوشي له عذر في ذلك، بأنه الله لأطفال الفن، فجاء بكل ما يفيدهم من خلال شرح

拳拳拳 التر المرابي ﴿ وَهُوهِ وَهُوهِ وَهُوهِ وَهُوهِ وَهُ وَ حَرَبِي ﴾ ووجه والتر المرابي والمرابي و المرابي و المرابي و المربي و المرابي و المربي و المربي

مفردات منظومته.

وقد يكون الاستطراد عند مسألة بعينها، فيخرج عنها لمناسبة عارضة إلى مسألة أخرى، يمعن في شرحها، ويستمر فيه إلى أن ينسى موضوعه الأصلي، ثم يعود إليه بعد ذلك مستدركا، ولا يخلو كلامه حيث كان من فوائد وتوجيهات، ولا بد من القول فيه، خشية أن يكون في كلامه شيء من اللبس أو الغموض وإن كان كلامه فيه عرضياً، لا أصلياً.

وقد يربك القارئ في أول وهلة، ولكن سرعان ما يتعود طريقته الممتعة التي لا تترك القارئ يمل مباحثه المطولة، وعلى سبيل المثال لا الحصر: وهو يعرب كلمة (الأثافي) في بيت من المنظومة، ثم يأتي بثلاثة شواهد من الأبيات الشعرية لتعزيز قاعدة نحوية، ثم يذكر تتمة ما يتعلق بالأثافي) من حيث المعنى فيفصل ثم يورد شاهدا من ثلاثة أبيات (85). وخروجه المفاجئ من موضوعات حروف المعاني إلى إيراد شواهد معنوية لتوضيح معنى ورد كما في إدرار الدّموع فيأتي بشاهدين لامرئ القيس والمتنبي على ذلك(86).

هذه هي طريقته لا يترك شيئاً يستعصى عنى القارئ إلاّ ويعالجه ويشبعه شرحاً معززاً بالشـواهد القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، والأبيات الشعرية والألغاز النحوية له ولغيره.

- ومع أن كتاب الحفاية يعد من أطول شروحه لمنظومته (الكفاية) إلا أنه يصف مباحثه بـ (العجالة)، قال: "اعلم أن الكلام على تحقيق أقسام اللاّم يؤدي إلى أطناب لا يليق بهذه العجالة (87). وفي (الفاء العاطفة) كلام طويل لا يليق بهذه العجالة (88). و(إلاّ) للاستثناء، وهذا هـ و معناهـا المشهور، وكتب النحاة متكفلة بتوضيح أقسامها و أحكامها، فلا تطيل هذه العجالة ببسط ذلك(89).

- ترك المؤلف بعض معاني الحروف الأنه كما يقول: (قد تكفلت بها كتب النحاة، والا أخص بالذكر إلاً ما هو محل الخلاف".

هذا ما قاله في معاني (النون)، فترك المعاني الثلاثة الأولى، نون التوكيد، والتنوين بأقسامه، ونون الوقاية، ولكن خص (نون الإناث) بالذكر لكونها محل الخلاف(90). أو يتركها لشهرتها، كما أهمل معنى المجاورة لـ (عن) لشهرتها، و هو أشهر معانيها، ولذا لم أذكره في النظم (91).

-لقد فسر البيتوشي ووجّه أعراب جل أبيات المنظومة، وبعض ما استشهد هوبه، أو غيره من النحاة، كما عرض لتفسير كل ما مثل به، ويلاحظ أنه يذكر فيما عرض لإعرابه كل الأوجه المحتملة فيه، وينبه على الصائب منها، وبذلك يعد كتابه هذا تطبيقات في أوجه الإعراب لتعليم الناشئة، ولا سيّما في تكراره تلك الأعاريب غالباً إلى نهاية المطاف، وهذا الأسلوب خير الأساليب التي يتبعها المدرسون لتمكين المادة العلمية في نفوس التلاميذ، مثال ذلك اعرابه بيت المنظومة:

..... الفتى

ذكرى: اسم للتذكير، وألفه للتأنيث: فاعل نفعت، والفتى: يحتمل أن يكون (فاعلا) للذكرى، وأن يكون مفعولا لها(92).

التراز العربي هههههههههههه التراز العربي ههههههههههههههههههههههههههههههههها التراز الماعيل محمده الماعيل الم

وقال في إعراب: (... يا قلب...): : و (قلب): إما مبنى على الضم بناء يا جبال أوبي (93)، أو بناء يا غلام -بالضم - في يا غلامي، وقرئ به (قل رب احكم) (94)، و (ربّ السّجن أحبّ إلـيّ) (95)، وأما مبنى على (الفتح) كما قالوا: يا غلام، في يا غلاما، أصله: يا غلامي، وإما على (الكسر) والأصل: يا قلبي (96).

-لم يلتزم بترتيب معين لذكر أمثلته وشرحها، فهو مرة يأتي بالأمثلة ثم يشرحها، ومرة يشرحها وفيما بعد يذكر الأمثلة، وكثيراً ما يشير إلى ذلك، فمثلاً يقول: "تقدم مضمون هذه الأبيات في الشرح مفصلاً فراجع (97)، وفي قوله: "ذكر شرح هذين البيتين في أول أقسام (لولا)(98).

-وفي شرح وتفسير المفردات قد يبدأ بمفردات البيت الثاني قبل البيت الأول ثم فيما بعد يعود الى مفردات البيت الأول، كما في كلمة (ما أحراه) في البيت الثاني، و(عدى) في البيت الأول(99).

-وقد يتحدث في مبحث حرف عن حرف آخر قبل أن يأتي مبحثها، فإذا جاء مبحثها لا يتحدث عنها إلا قليلاً، ويحيل القارئ إلى موضع شرحها سالفاً، كما في (وى): "والمعروف فيما أسلفناه، في (وا) من أنها اسم فعل بمعنى (أعجب)(100).

-تمعقه في شرح الأبيات، وبيان مقاصدها، كما يتجلى في قوله في تفسير البيتين الأتيين:

علَ صروف الدّهر أود ولاتها

يدلننا اللَّمَةُ من لمَاتها

وفي نفسي من تحقيق معنى البيتين شيء، ولم أعثر على من أوفاهما حقهما (101).

-النكرار سمة من سمات أسلوبه في الشرح، وهو من أنجح أساليب المدرسين، لقد كرر أعاريب كثيرة على طول الكتاب، وكرر لغات القبائل، كتكرار لغة خزاعة في كسر اللام مـن المضمر، ولغة ربيعة في الوقف على المنصوب بالسكون. وكرر ضبط اسم ابن السيّد البطليوسي(102)، ولا غير في كل ما كرره وأعاده لأنه كما يقول في منظومته وفي منهج هذا الكتاب إنه ألفه لأطفال الفن، وكل ما يؤلف لهم أسلوبه يتغير عمّا ألفناه من كتب النحو عامة.

-عند تعداده لأقسام حرف من الحروف، قد لا يجمع جميع الأقسام في موضع واحد، ولا يرقم كل الأقسام بل يرقم القسم الأخير، كما فعله في أقسام (ما) الاسمية واكتفى بشرح غير المشهور كعادته، كر النكرة غير الموصوفة، والمعرفة التامة) دون المشهورات، مثل: الموصوفة والشرطية والاستفهامية، وأشار خلال ذلك إلى قسم شرحه أنفا، وفيما بعد دون ترقيم الأقسام الستة يقول: و(السابع) من أقسام (ما) الاسمية هو (...) وهذا ما يؤخذ عليه في أسلوب شرحه لأنه لو اتبع الترقيم وجمع الأقسام في موضع واحد كان أفضل وأوضح.

-الإطناب في شرح معنى لفظة واحدة ترد في المنظومة أو في مثال أو شاهد كلفظة (حل) (103)، والاستطراد من إعراب لفظة (الأماني): (أماني) منصوب بـ (رميت)، وألفه للاطلاق، وهو جمع أمنية لما يتمناه الإنسان كالأحاجي والأحجية،

وياؤه في الأصل مشددة، لكن قد تخفف هنا كما قالوا: (ريّا الخلاخل) فـي الخلاخيل، وبالتخفيف قرأ غير الجمهور، جمع على أفاعل، ولم يعتد بمد المفرد، قال أبو حاتم: كل ما جـاء من هذا النحو مما واحده مشدد، قلك فيه التشديد والتخفيف، بل قال النحاس: الحذف في المعتل أكثر "(104).

شواهد الكتاب

وشّح البيتوشي كتابه بآيات من الذكر الحكيم، وفقرات من الحديث النبوي الشريف، وأقوال الصحابة، وبالجيد الرائع من الشعر القديم، وأقوال العرب، لتكون شواهد تدعم رأيـه وتؤيـده وتدخـل المتعة والرغبة إلى نفوس قرائه.

القرآن الكريم:

لقد حظيت أي الذكر الحكيم بنصيب وافر من الاستشهاد، بلغ عددها في (الحفاية) (830) أيـة قر أنية كريمة.

استشهد البيتوشي بآي الذكر الحكيم لمعاني الحروف، وأعمالها، واهمالها.. فيأتي كثيراً ما بموضع الشاهد من الآيات لأجل الإيجاز والاختصار، وقد يوردها بتمامها. وقد سها في ضم آيات متشابهة بعضها إلى بعض من غير قصد، ونسي أحرف العطف من صدر الآيات، وقد أثبت نصوصها كما هي في المصحف الكريم، وأشرت إلى مواضع السهو وما هو جدير بالإشارة، وسيجد القارئ الكريم تلك في الحاشية.

كان البيتوشي عالماً بالقراءات القرآنية، كما ذكرت ذلك في (ثقافته)، لذلك امتلاً كتابه هذا بوجوه القراءات لكثير من القراء.

وقد لا يعزو القراءات إلى أصحابها، مثأل ذلك: "زيادة الباء في اسم ليس. كقراءة بعضهم (ليس البر بأن تولّوا..)(150)، وفي موضع آخر (151) يذكر إجازة ابن مالك أن تكون الكاف ومخفوضها مجازاً ومضافاً إليه، على اضمار مبتدأ كما في قراءة بعضهم (على الذي أحسن)(152)، أي برفع (أحسن)(153).

وربما يعول على قراءات غريبة وشاذة لم أقف عليها في كتب شواذ القراءات ولا في غيرها. الحديث النبوى الشريف:

استدل البيتوشي بالأحاديث النبوية الشريفة بعد القرآن الكريم في دعم أرائه النحوية، وفي معاني الحروف وتعزيز ما ذهب إليه، سواء ما أورده هو وما نقله من أراء النحاة السابقين.

لقد بلغت (الأحاديث) التي استشهد بها في مواضع الكتاب أكثر من (100) حديث، وقد أعجب بابن مالك في الاستشهاد بالحديث، ولهذا نقل كثيراً من كتابه: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح.

الشعر:

عزز البيتوشي آراءه ودعمها بالشواهد الشعرية الفصيحة والرائعة، فاورد في كتابه هذا ما يزيد على (930) تسعمائة وثلاثين بيتاً من الشعر والرجز، و(142) مائة واثنين وأربعين من أنصاف الأبيات، و(84) أربعة وثمانين بيتاً من أشعاره، من بين منظومة وأبيات شعرية.

وقد استشهد في دعم الأراء النحوية ومعاني الحروف بشعر الشعراء الأقدمين الجاهليين والإسلاميين الذين يوثق بعربيتهم، أما غيرهم كالمتنبي والمعري وآخرين بعدهم، فقد استشهد بشعرهم استناسا لا لدعم قاعدة، أو استشهاداً لتوضيح معانى المفردات أو للتذوق الأدبى.

وغالباً يعزو الأبيات إلى قائليها كما ذكره في منهجـه وطريقتـه فـي التمهيـد كمـا أسلفنا، ويعـزو إنشادها إلى النحاة، مثل: أنشد سيبويه.. وأنشد الفراء.. وأنشد الكسائي..

فشواهده هي شواهد النحاة واللغويين الذين سبقوه، والذين نقل عنهم من البصريين والكوفيين وغيرهم.

ولم تكن الشواهد التي أوردها لدعم آراء نحوية فحسب، بل أورد الكثير منها في توضيح معنى من معاني مفردات منظومته أو في شرح الصور المجازية التي تضمنتها.

الأمثال وأقوال العرب:

وقد أورد في (الحفاية) ما يزيد على (12) اثني عشر مثلاً وقولاً مـن أمثـال وأقـوال العـرب فـي دعم الأراء والمعاني التي أتى بها في المنظومة وشرحها.

موقفه من البصريين والكوفيين:

للبيتوشي آراء كثيرة منها ما وافق البصريين، ومنها ما وافق الكوفيين، ومنها ما وصل إليه باجتهاده وبصيرته، وقد عكف على آراء البصريين والكوفيين والمتأخرين، فانتخب من الآراء البصرية، ومن الآراء الكوفية والثالثة من المتأخرين، ويبدو جليا ميله الظاهر إلى البصريين في ما رجحه وصوبه وما انتصر له. وهو في كل هذا اختط لنفسه منهجاً قائماً على الانتخاب والاختيار كغيره من النحاة المتأخرين.

■ هوامش البحث:

الحفاية ق 2 أ.
 انظر: صرف العناية، ص4
 مختار الصحاح (حفا)

4-اللسان (حفا) 5-الحفاية ق 2 أ 6-نفسه ق 382 ب

-32 نفسه ق 214 ب 7-نفسه ق 1 ب 8-نفسه ق 2 ا -33 الحفاية ق 236 س 9-نفسه في 29 ب 247 نفسه ق 34 10-نفسه ق 130 أ 368 نفسه ق 368 ب 36- نفسه ق 371 11-نفسه ق 107 ب 37- نفسه ق 124 12 - نفسه ق 237 38- نفسه ق 129 ب 13-نفسه 39- نفسه ق 131 س 14-نفسه ق 241 40- نفسه ق 129 ب 15: 55 الأنساء 51: 65 41- نفسه ق 116 أ. وستجد هناك تخريج البيت. 16-الخفاية ق 303 17 - في الأشباه والنظائر 6/2 يقول السيوطى: إنها: 42-الحفاية ق 24 (ثمانية عشر) حرف في حين يذكر لنا 43-نسه ق 104 ا (عشرين) حرفا، ومن ضمنها (الهاء) التي 44-نفسه ق 130 أ استثناها البيتوشي من مجموعة السيوطي سهوأ 45-نفسه ق ٦٦ب 46-نفسه في 79 ب 1371 2 ق م 178 ا 111:11:111 19-نفسه ق 382 ب 48-الحفانة 135ي 20- نفسه ق 382 ب 483-481/1 للزركشي 1/144-483 21- انظر: العفاية: على سبيل المشال ق 9 ب، 19:69 أحالماتة 69: 19 ق 42 أ، ق 46 أ، وآب، 80 ، 17 س، .1247 1116 1115 1101 13-11-11 ق 302ب- 303 52-نفسه ق ١١٤ داب، ١١٨ 22- الكفاية، ص 5، الحفاية 25ب 23- الحفاية: ق 38، 146، 134، 142، 1921، 1921، 53-نفسه ق53 1371 54-نفسه ق65 اب -24 نفسه ق 127 ب 1209 is ami - 55 25- نفسه ق 1140 1379 is amis-56 26- انظر: المعنى 710 57 - im 5, 69 m 110.5 قياما -27 58 - نفسه ق 33 ب 28- نفسه ق 44 59-نفسه ش228ب. وانظر: الغاز أ أخرى له في 29- نفسه ق 45 ب العفاية ق218ب، 1357 30- نفسه ق 55 ب 60-انظر تراجمهم في: الحفاية: ورقة 441، 31-نفسه ق 94

金金金 التر المحدود شود السماعيل محمدود 金金金 التر المحدود السماعيل محمدود و 金金金 (المحرب) (المحرب) (المحرب) (المحرب) (المحدود) (

1241 , -240 5 audi -85 136. a wei-86 162, a mai - 87 88- نفسه ق 48 89- نفسه ق808ب 90- نفسه ق.58 91- نفسه ق159ب 1126, a mais 92 93- سيا 34: 10 94- الأنبياء 21: 112. انظر: مختصر ابن خالوية 93، التيسير 156 95- يوسف: 12: 33 (قال..) 96- الحفاية ق288ب 97- نفسه ق 327 98- نفسه ق-98 99- نفسه ق 327 1233, 5 مسن -100 101 - نفسه ق342ب 102 - نفسه ق3 ق132 ا 103 - نفسه ق103ب 104 - نفسه ق53 اب 107 -البغرة 2: 177 106- الحفاية ق 44ب 107- الأنعام 6: 145 108-نفسه ق آب 109- نفسه ق354 ب

,342 1281 1378 1200 1275 .-335 ,-282 1132 61-الحفاية ق57ب 176 james - 62 -63 rian 5. 134 75 -63 64 - نفسه ق 3 س، 34 176. a mai- 65 1124 5 audi-66 1305 a -in-67 68-الحفامة و 235 أ- 236-. 69-نفسه ق12أ، وانظر: العدود الأخر ق(كب، (116 -415 70- نفسه ق. 16، آب -344, 5 audi -71 72- نفسه ق868پ 73- نفسه ق45ب 74- نفسه ق 75- نفسه ق24ب 76- نفسه ق 31 اب -214, a min -77 78- نفسه ق214ب 79- الأنعام 6: 136 80- الحفاية ق 443ي 81 – نفسه ق 209أ 82- نفسه ق358نب 83- نفسه ق226

-382 نفسه ق-84

محمود الأرناؤوط

أحد من الدارسين بأن الإمام الحافظ ابن كثير الدمشقي من أكثر المستعد الدمشقي من أكثر المستعد المفسّرين ثقة في نفوس المسلمين منذ العصر الذي عاش فيه وإلى أيام الناس هذه وعند أتباع المذاهب المختلفة لأهل السنّية والجماعة، نظراً لما يمثله هذا الإمام الكبير من الاعتدال والتوسط والواقعية، مما جعل العلماء وطلبة العلم يعتمدون عليه في بحوثهم ومؤلفاتهم ودراساتهم المتصلة بموضوع التفسير بشكل خاص، وعلوم القرآن بشكل عام، وجعل الكثير من العلماء يهتمون باختصاره وتلخيصه وخدمته، فمن هو ابن كثير، وما هي قيمة كتابه التفسير؟

أُولاً: ابن كثير (٠):

هو الإمام الحافظ المؤرّخ الفقيه عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بـن كثير بن ضـوء بن كثير القيسيّ البصروي الدمشقي.

ولد في قرية (القرية)(1) من قرى بصرى من أرض الشام في الجنوب الشرقي من سورية سنة

أن ترجمه في المفجم المحتص" للذهبي ص (74) و "ديل العبر" لابن العراقي (2 | 358 – 360) و "عريف نوي الملاعن في يذكر الذهبي من المدر" المفتود الشكر" لتفي المدين المفاسي ص (219) و "طفات الشانعية لابن قاضي شهبة (11313 – 115) و "الرد الوافر" لابن ناصر الدين ص (92) و "إنناء الفعر بأبداء العمر" لابن حجر العسقلاني (1 | 45-47) و "المدر الكامنة" (1 | 373 – 374) و "المدر بأنياء النام على دول الإسلام" للسحاري (1 | 259) و "طبقات الحفاظ" ص (529) و "شذرات المذهب" (8 | 737 – 93) بتحقيقي واشراف والدي وأستاذي فضيلة المتحدث الشيخ عبد المقادر الأولاروط طبع دار ابن كثير يدمشق و "المداري في تداريخ المداري " (1 | 360) و المبترين" للداردي (1 | 101) و "البتر المصائع" للشوكاني ص (168) طبعة دار الفكر بدمشق، و "الأعلام" للوركلي (1 | 373) و "محجم المؤلفين" لكحالة (1 | 373) و.

⁽ا) قال ابن كثير في "البنداية والنهاية" (114 31): رحى قرية من أعمال بصرى.

登録 التراث العربي 泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰泰

(701)هـ، ومات أبوه سنة (703)هـ⁽²⁾ فانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة (706)هـ وفيها نشأ، فسمع الشيخ شهاب الدّين أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن الصَّالحي الحجَّار ابن الشَّحْنَة المتوفى سنة (730)هـ، والشيخ إسحاق ابن يحيى بن إسحاق الأمدى المتوفى سنة (725)هـ، والشيخ علم الدّين القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد البرز إلى المتوفى سنة (739)هـ، والحافظ جمـال الدّين أبــا أبا العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تَيْميَّة الحرَّاني الدمشقي المتوفي سنة (728)هـ.

وكان لملازمته شيخ الإسلام ابن تيميَّة، والشيخين علم الدّين البرزالي، والحافظ المزَّى أكبر الأثر في تكوين شخصيته، فقد تأثر في جوانب الفكر والعقيدة والاجتهاد والتفسير بشيخه ابن تيميَّة، بينما تأثر في دراسته للتاريخ والحديث بشيخيه المزي والبرزالي.

وأجازه من مصر عدد من العلماء الأعلام.

وكان ابن كثير كثير الاستحضار، قليل النسيان، جيد الفهم، يشارك في العربية، وينظم نظماً وسطاً، ومن نظمه قوله:

نُسَاقُ الي الآجال والغَيْنُ تَنْظُرُ ولا زُائِلً هـذا المشـيبُ المُكَـدَرُ

تُمْدُ بنيا الأنسامُ تَستُدُى والنَّفِ

فلا عائد ذاك الشباب الذي مضير

أقوال العلماء فيه:

فكره الحافظ الذهبي في "المعجم المختص" فقال عنه: الإمام المُحدّث المفتى البارع. ووصفه بحفظ المتون وكثرة الاستحضار جماعة منهم الحسيني وابن العراقي. وقال ابن حجى: ما اجتمعت به قط إلا استفدت منه، وقد لاز منه ست سنين.

وقال ابن حبيب: إمام ذوى التسبيح والتهايل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وصنف، وأطرب

الأسماع بأقواله وشنف (⁽³⁾، وحدَّث وأفاد، وطارت أوراق فتاويه في البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير.

وقال ابن حجر: كان كثير الاستحضار، وسارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع الناس به بعد وفاته، ولم يكن على طرييق المحدثين في تحصل العوالي وتمييز العالي من النازل ونحو ذلك من فنونهم، وإنما هو من مُحَدّثي الفقهاء.

وعقب الحافظ السيوطى على كلام الحافظ ابن حجر هذا في "طبقات الحفاظ" بقوله: قلت: العمدة

⁽²⁾ انظر ترجمته في "شذرات الذهب" (18 ا18). يتحقيقي.

في علم الحديث معرفة صحيح الحديث من سقيمه، وعلله واختلاف طرقه ورجالـه جرحـاً وتعديـلاً، وأما العالي والنازل ونحو ذلك، فهو من الفضلات لا من الأصول المهمة.

أهم مصنفاته:

صنَّف ابن كثير عدداً كبيراً من المصنُّفات في التاريخ والحديث والتفسير، والسيرة، منها:

1- البداية والنهاية:

وهو كتاب عظيم القدر، انتفع به العلماء على مر الأيام، وتداولته أيدي الباحثين في كل مكان من أطراف العالم الإسلامي الكبير، تكلم فيه عن أحوال الدنيا منذ بدء الخليقة، وتطرق فيه إلى الحديث عن سير الأنياء، وتحدث فيه بتوسع وإسهاب عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأرخ للفئرة التي تلت حياته -صلى الله عليه وسلم- منذ عهد الخلفاء الراشدين وحتى نهاية سنة (767) هر بتوسع مفيد، وانتهى فيه إلى الكلام عن الفتن التي ستظهر بين يدي الساعة، وقد طبع هذا الكتاب العظيم في مصر منذ فترة طويلة وصورت طبعته عدة مرات، ولكنها خلت من التحقيق والتدفيق والتخريج والضبط والتوثيق والنهرسة المفصلة المفيدة النافعة، وذلك ما حملنا على القيام بتحقيقه تحقيقاً علميا ينسب وقيمة الكتاب الكبرى، فتفاسمنا أجزاءه مع عدد من الأساتذة الباحثين وشرعنا نعمل في تحقيقه لصالح دار ابن كثير بدمشق وفق منهج للتحقيق وضعمه والدنا وأستاذنا المحدّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، وسوف يقوم والدنا الجليل بمراجعة نصوص الأحاديث الواردة في جميع أجزاء الكتاب، وسينشر بجميع أقسامه لأول مرة.

2- تفسير القرآن العظيم:

وهو من أهم كتبه، ويعد من خيرة كتب التفسير التي اعتمد أصحابها في تفسير أيات الكتاب العزيز على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في المقام الأول، ولقد كتب لهذا السّفر العظيم القبول والانتشار في عموم الأقطار والإسلامية، وسوف نعود للكلام عليه لاحقاً إن شاء الله.

3- جامع المسانيد والسنن:

ويعد من خيرة مصنفات ابن كثير في الحديث النبوي، وهو من أواخر الكتب التي صنفها إن لم يكن آخرها، وقد توفي رحمه الله دون أن يتمه، وقد شرع بتحقيقه صديقنا الفاضل الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش من أعيان مكة المكرمة، وقد أخرج منه أربعة مجلدات كبيرة إلى الأن ولا زال يتمم عمله في تحقيقه وإخراجه.

4- ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاعه:

وهو عبارة عن رسالة صغيرة، وقد خصصه للكلام عن مولد رسول الله صلى اللُّــه عليــه وسـلم

ورضاعه باختصار، فقام بسرد الروايات المتعلقة بموضوعه، معولاً في النقل على كتب السيرة النبوية ومستعيناً ببعض المصنفات الحديثة التي عنيت بايراد أحاديث تخص موضوع الكتاب وما يتصل به من الموضوعات الأخرى، وقد قمنا بتحقيقه بالاشتراك مع الأستاذ ياسين محمد السؤاس، ونشرته دار ابن كثير بدمشق سنة (1407هـ= 1987م)

5- الفصول في اختصار سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم:

ويعتبر من المصنفات المختصرة القيمة التي تحدثت عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم باختصار مفيد نافع للعام والخاص وذلك في القسم الأول منه، وأما القسم الثاني فقد تكلم فيه عن أحواله وشمائله وخصائصه صلى الله عيله وسلم باختصار نافع مفيد أيضاً، الأمر الذي جعله محبباً إلى الناس جميعاً. وقد طبع هذا الكتاب أول مرة في مصر طبعة سقيمة غير محققة، ثم طبع للمرة الثانية في دمشق بتحقيق الدكتورين محمد العيد الخطراوي ومحيى الدين مستو، وهي طبعة جيدة محررة متقنة مفهرسة نافعة، كتب لها الانتشار فأعيد طبعها عدة مرات آخرها عن دار ابن كثير بدمشق ومكتبة دار التراث بالمدينة المنورة.

و فاته:

مات ابن كثير يوم الخميس الواقع في 26/ شعبان/ من سنة (774)هـ، فخرجت دمشق كلها خلف جنازته، و دفن إلى جوار شيخه شيخ الإسلام ابن تيميّه بمقبرة الصوفية، رحمه الله تعالى وأحسن إليه.

ثانياً: كتابه التفسير (*):

واسمه تفسير القرآن العظيم" وهو من خيرة التفاسير التي اعتمد أصحابها في التفسير على صحيح المنقول من تفسير القرآن بالقرآن أو بالسُنَّة لأنها مبينة لكتاب اللَّه تعالى، أو بما قالمه كبار الصحابة والتابعين لأنهم تلقوا ذلك عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، وهذا المنحى يحرص على الإتيان بالآثار الواردة في معنى الآية فيذكرها، ولا يجتهد في بيان معنى من غير أصل ويتوقف عمّا لا طائل تحته ولا فائدة في معرفة ما لم يرد فيه نقل صحيح، وقد اقتفى ابن كثير أثر الإمام محمد بن جرير الطبري في تفسيره حيث أورد فيه الأحاديث والآثار بالأسانيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام والتابعين، وقدّم لتفسيره بمقدمة طويلة هامة أبان فيها عن رأيه في شؤون

[&]quot;ك رقد أفدت في كنابة هذا الفصل مما جاء في مقدمة ابن كثير لنفسيره فيما يتصل ببيان منهجه، ومما كتبه عنه العالم الفاضل الدكتور محمد حسين الذهبي في كنابه النافع "النفسير والمفسرون" ومما كتبه من صبقي إلى الكنابة عن هذا التفسير القيّم، كوالدي وآستاذي المُحدّث الشيخ عبد الغادر الأرنازر ضرحفظه انذّ وبلاك في حياته، والصديق العزيز الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، والأستاذ طه عبد الرزوف سعد، نفع انذّ نعال بهما، ومن مصادر أخرى كثيرة نحدث أصحابها عن هذا التفسير الجليل القدر باحتصار في مصنّعاتهم التي ترجوا فيها لمولف، وحمهم انذّ تعالى وأحسن إليهم، وجزاهم عما وعن المسلمين خير الجؤاء، مع شيء من التصرف والاختصار أثناء نقلنا عنها جمعاً.

ﷺ ﷺ ﴿ وَهُوهِ وَهُو

التفسير حيث يقول: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطريق إلى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر فإن أعياك ذلك فعليك بالسُّنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن. قال الله تعالى: (وأنزلنا اليك الذكر لتبيّن للناس ما نُزل إليهم) (الله عليه وسلم الله صلى الله عليه وسلم: "ألا إنبي أوتيت القرآن ومثله معه (أقل يعني السُنّة، والسُنّة أيضاً تنزل عليهم بالوحي كما ينزل القرآن إلا أنها لا تنلى كما يتلى القرآن، وقد استدل الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع بيان ذلك".

وابن كثير يرجح في "تفسيره" بعض الأقوال على بعض، ويضعف بعض الروايات ويصحّح بعضها الأخر، ويساعد على ذلك خبرته بعلوم الحديث ومصطلحه، وينقل عن التفاسير الأخرى التي تقدمته، كتفسير الطبري، وتفسير أبي حاتم، وتفسير ابن عطية، وغير ذلك من التفاسير الأخرى.

ويبيّن ابن كثير -رحمه الله- معاني الأيات القرآنية ويدخل باختصار في المناقشات الفقهية، واستباط الأحكام، ويُنبّه إلى ما ورد من التفسير بالمأثور من منكرات الإسرائليات، ويحذر منها إجمالاً تارة، وعلى وجه النميين والبيان لبعضها تارة أخرى، ويتحاشى المباحث الإعرابية وفنون البلاغة والاستطراد للعلوم الأخرى.

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (67) وما بعدها من سورة البقرة (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة...) إلى آخر القصة، نراه يقص لنا قصة طويلة وغريبة عن طلبهم للبقرة المخصوصة، وعن وجودهم لها عند رجل من بني إسرائيل كان من أبر الناس بأبيه. الخ، ويروي كل ما قيل في ذلك عن بعض علماء السلف.. ثم بعد أن يفرغ من هذا كله يقول ما نصه: "وهذه السياقات عن عبيدة وأبي العالية والسدّي وغيرهم فيها اختلاف، والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل، وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدق و لا تكذب، فلهذا لا يعتمد عليه إلا ما وافق الحق عندنا، والله أعلم.

ومثلاً عند تفسيره لأول سورة (ق) نراه يعرض لمعنى هذا الحرف في أول السورة (ق) ويقول: ... وقد روي عن بعض السلّف أنهم قالوا: (ق) جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف، وكأن هذا حوالله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم مما لا يصدّق ولا يكذّب، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاف بعض زنادقتهم، يلبّسون به على الناس أمر دينهم، كلما افترى في هذه الأمة مع جلاله قدر علمائها وحفاظها وأئمتها أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى وقلة الحقاظ النقاد فيهم، وشربهم الخمور وتحريف

الله (44). الأية (44).

أَ وَرَاهُ أَبَو دَارُدُ وَمَهُ (4604) في النسمة: باب في لزوم السَّنَّة، وأحمد في "المسند" (لها 131) وذكره الحنطيب الشبريزي في "مشكاة المصابيح" (1 57) من حديث المفدام بن معدي كرب، وصحّح الألباني إسناده فيما عليه.

علمانهم عنهم في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "وحدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج (6) فيما قد يجوزه العقل، فأما فيما تحيله العقول ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل، والله أعلم.

كما يلاحظ على ابن كثير أنه يدخل في المناقشات الفقهية، ويذكر أقوال العلماء وأدّلتهم عندما يشرح أية من آيات الأحكام، وإن شنت أن تسرى مثالاً لذلك فارجع اليه عند قوله تعالى في الآية (185) من سورة البقرة: (.. فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر..) فإنه يذكر أربع مسائل تتعلق بهذه الآية، ويذكر أقوال العلماء فيها، وأدلتهم على ما ذهبوا اليها.

وهكذا يدخل ابن كثير في خلافات الفقهاء، ويخوض في مذاهبهم وأدلتهم كلما تكلم عن أيـة لهـا تعلق بالأحكام، ولكنه مع هذا مقتصـد مقل لا يسرف كما أسرف غيره من فقها المفسرين.

وبالجملة، فإن "تفسير ابن كثير" من خير ما كتب في التفسير المأثور، وقد شهد له بعض العلماء بالخيرية، فقال السيوطي في 'ذيل تذكرة الحفاظ" والزرقاني في "شرح المواهب اللدنية" إنه لم يؤلف على نمطه مثله.

ويمكن تلخيص مميزات تفسير ابن كثير في النقاط التالية:

أ- الاعتماد على النصوص في التفسير.

ب- يبدأ في تفسير الآية بذكر المعنى العام لها ثم يذكر الآراء في ذلك.

ج- يذكر أسباب النزول حين يبين الأحكام المستنبطة من الآيات لأن معرفة السبب سبيل إلى معرفة السبب.

د- ذكره للأحاديث وبيان رواتها ومن خرَّجها من أصحاب المصادر في مصنفاتهم.

هـ- إيراده للآراء والسرد عليها، قابن كثير يورد الآراء في تفسير الآيات ويرجح أو يرد عليها.

و- ذكره للناسخ والمنسوخ لما لهذا الأمر من تبيين الحكم ومعرفـة مـا آل إليه، والعلم بهذا أمر ضروري لكل من يتصدى لكتاب الله تعالى في استبيائه معانيه وإيضاح أحكامه.

ز- تحذيره من أهل الكتاب والروايات الإسرائيلية.

ومع ذلك كله مما أشرنا إليه من حسنات هذا "التفسير" العظيم الشأن فإنه لم يسلم من بعض الانتقاد فيما يتصل بايراده بعض الإسرائيليات، يضاف إلى ذلك عدم تحريه الاستيعاب لما نقل في

ا^(۱) قضعه من حديث رواه استحاري (6| 361) في الأنسياه: باب ما ذكر عن بهي إمسرائيل، والـتزمذي رقسم (2671) في العلسم: بهاب صاحماء في الحديث عن بني إسرائيل، من حديث عند الله بن عسرو بن العاص رضي الله عنه، وتمامه: "بلقوا عني ولو أية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمداً فليتنوأ مفعده من النار".

\$\$\$التِراثِ العربِيِّ \$\$\$\$\$\$\$\$\$\$\$ 79 - ربيغ

تفسير بعض الآيات من كلام أهل اللغة، والكمال لله وحده.

مختصرات التفسير وملخصاته:

ونظراً لشهرة تفسير ابن كثير "بين جماهير المسلمين واستحسانهم لمنهج مؤلّفه بالإجمال، فقد اتجهت جهود عدد من العلماء في العصر الحديث نحو تلخيصه واختصاره.

- المحدّث المحدّث المحدّث المحدّث التفسير عن الحافظ ابن كثير" للعلاّمة المحدّث المحدّق للشيخ أحمد محمد شاكر المصري، المتوفى سنة (1377هـ= 1957م) ولكنه لم يكمل عمله في اختصاره ووصل فيه إلى قوله تعالى: (ليُحقّ الخقّ ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) (7) وهو ما يعدل ربع التفسير تقريباً، ولو أنه تممه لكان أحسن مختصراته دون شك وريب، ومع ذلك فهو عظيم النفع والغائدة على حاله التي تركه عليها، ونسأل الله تعالى أن يلهم أحد شيوخ العلم في هذا العصر إلى إتمام ما بدأ به العلاّمة الشيخ أحمد محمد شاكر في اختصاره له وعلى منهجه.
- 2- وثاني تلك المختصرات أهمية مختصر الأستاذ الشيخ محمد نسيب الرفاعي الحلبي المتوفى سنة (1413هـ= 1992م) والمسمى "تيسير العلي القدير الاختصار تفسير ابن كثير" وتأتي أهميته من حرص مختصره على الإتيان بما هو صحيح من الروايات والأحاديث والأثار مما أورده ابن كثير "تفسيره" قدر الإمكان، يضاف إلى ذلك صفاء الرجل وبعده عن الشطط والمبالغة إلى حد بعيد، ويقع مختصره في أربع مجلدات.
- 3- وثالث تلك المختصرات أهمية مختصر الأستاذ محمد على الصابوني ويقع في شلاث مجلدات والمسمى "مختصر تفسير ابن كثير" وهو مختصر جيد لولا ما انتقد عليه من إيراد الكثير من الروايات الضعيفة.

طبعات تفسير ابن كثير:

لقد طبع "تفسير ابن كثير" طبعات عديدة في مصر ولبنان والسعودية، وكل طبعة من تلك الطبعات تمتاز عن غيرها بمزايا مختلفة، وبعضها أحسن من بعض بنسب مختلفة تتبع قيمة الجهود المبذولة فيها وحرص الناشر على إخراجها الإخراج الذي يليق بمثل هذا الكتاب العظيم.

⁷⁾ سورة الأنفال: الأينز8).

فهرس البحوث والدراسات / مجلة التراث العربي/

العدد	الصفحة	الكاتب	عنوان البحث
			"حرف الألف"
75	109	محمد امین ابو جوهر	1 - ابر اهیم النظام
74	9	نصر الدين البحرة	2–ابن رشد
74	48	د. نایف بلوز	3- ابن رشد بين الأيديولوجيا والعقلانية
74	145	ميكال فوركادا	4- ابن رشد في السياق العلمي الأندلسي
74	121	د. عمار عامر	5- ابن رشد في كتابه المفقود عربياً (شرح جمهورية أفلاطون)
74	176	محمود الأرناؤوط	6- أخبار النراث العربي
75	122	محمود الأرناؤوط	7- أخبار التراث العربي
76	160	محمود الأرناؤوط	8- أخبار النراث العربي
77	156	محمود الأرناؤوط	9- أخبار التراث العربي
75	69	أحمد الحسين	10- أدب الفنات الهامشية في العصر العباسي
76	80	د. وحيد كبابة	11- أصول صناعة الشعر عند المعري
77	127	د. نشأت حمارنة	12- أقدم المعجمات الطبية العربية
76	60	د. حسين جمعة	13- أنا سكان السفينة (نظرية الشعر في النقد العربي القديم)
76	116	أحمد سعيد هواش	14- الإعاشة والطب في التراث العربي الحربي

العدد	الصفحة	الكاتب	عنوان البحث
			"حرف الباء"
77	68	محمود فاخوري	15- بين الصحاح والقاموس المحيط
			"حرف التاء"
77	77	د. محمد علي الزركان	16- تداخل المصطلحات العلمية (بين المحدثين واللغويين والفقهاء)
76	129	د. نجمان ياسين	17- التفكير الاجتماعي والاقتصادي عند المقريزي
74	159	د. عبد الله أبو راشد	18 - تلخيص السياسة لابن رشد
			"حرف الحاء"
74	91	د. حسین حرب	19 - حدود العقل الرشدي
76	150	نافذ سويد	2- الحرفيون ودورهم التاريخي
75	63	د. محمد فائز وفائي	21- الحضارة العربية في الأندلس (التي أبدعت في ظل الإسلام)
74	155	د. ارغوليول	22- حوار الثقافات على خطا ابن رشد
74	7	نصر الدين البحرة	23- حول ندوة ابن رشد في دمشق
			"حرف الدال"
74	164	د. جعفر دك الباب	24- دعوة إلى فلسفة رشدية عربية معاصرة
			"حرف السين"
74	104	هاني مندس	25- السببية عند ابن رشد
			"حرف الشين"
75	23	د. أحمد عبد القادر صلاحية	26- الشعر الأندلسي في تواريخ الأدب العربي

العدد	الصفحة	الكاتب	عنوان البحث
			"حرف الصاد"
75	91	نافذ سويد	27- صناعة الأسلحة في العصر الإسلامي
75	38	د. محسـن اســماعیل محمد	28- الصورة الشعرية عند يحيى الغزال الأندلسي
			"حرف العين"
75	7	نصر الدين البحرة	-29 عبد الملك بن زهر الأندلسي ومكانته العلمية
74	66	د، محمود خضره	3- عصىر ابن رشد ومشروعية التأويل
			"حرف الفاء"
74	114	لؤي بلال	31- الفلك عند ابن رشد
74	134	حسين الحموي	32- الفلسفة الرشدية بين اجتهاد العقل وارتداد القلب
74	181	أحلام الترك	33- الفهرست السنوي لمجلة النراث العربي
77	30	د، جعفر دك الباب	34- في نظام المعجم العربي
			"حرف القاف"
75	52	عبد الحكيم الذنون	35- قصر الحمراء في غرناطة
			"حرف الكاف"
75	101	د. عبد الله حنا	36-كتاب القضاء والنواب لشكري العسلي
			"حرف اللام"
77	47	د. عمر موسى باشا	37- لسان العرب المعجم اللغوي العربي الكبير في التراث العربي
76	40	سعد محمد الكردي	38- اللغات الأخرى في القرآن الكريم وموقف الطبري منها
76	7	نصر الدين البحرة	39- ليالي دمشق في الأربعينات

العدد	الصفحة	عنوان البحث الصفحة	
			"حرف الميم"
76	123	محمد منذر لطفي	40- المأمون وراء محنة ابن حنبل
74	17	د. محمد محفل	41- مدخل تاریخی إلى عالم ابن رشد
77	53	د. مسعود بوبو	42- معاجم الأبنية
77	109	د. محمد زهير البابا	43- المعاجم الطبية العربية
76	27	عبد الوهاب مدور	44- المعجزات العلمية في القرآن الكريم
77	7	نصر الدين البحرة	45- معجم عين الفعل
77	15	د. عبد الحفيظ السطلي	46- المعجمات العربية أطوار التأليف فيها
77	97	د. عدنان البني	47- المعجمية في الشرق العربي القديم
77	83	هشام نحاس	47- المعجم المجهول والفصاح المظلومات
74	78	د. يوسف سلامة	49- مفهوم السلطة في فلسفة ابن رشد
76	138	ماجدة محناية	50- مفهوم النفس عند أبي حيان التوحيدي
76	53	د. بوجمعة بوبعيو	51- المقدمة الطللية بين الاستجابة النفسية والثقليـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
75	17	الياس تيرس سادابا ت:/ عدنان أل طعمة	52- الموروثات المشرقية في العصر الأندلسي
		47	"حرف النون"
74	38	د. حامد خلیل	53- النزعة العقلية عند ابن رشد
76	93	د. نشات حمارنة	54- نظرة حديثة لفهم تاريخ الطب العربي
			"حرف الواو"
75	81	د. محمود الحاج قاسم محمد	55- وسائل الإنعاش وقصص لأموات عادوا للحياة في التراث الطبي العربي

فهرس الكُتَّاب السنة التاسعة عشرة 1998 من مجلة التراث العربي

العدد	الصفحة	اسم الكاتب وعنوان بحثه
		(حرف الألف)
75	109	أبو جوهر، محمد أمين
		• ابر اهیم النظّام
74	159	أبو راشد، د.عبد الله
		*تلخیص السیاسة لابن رشد
74	155	د.أرغوليول
		*حوار الثقافات على خطا ابن رشد
74	181	الأرناؤوط، محمود
		*أخبار التراث العربي
75	122	*أخبار التراث العربي
76	160	*أخبار التراث العربي
77	156	*أخبار التراث العربي
75	17	آل طعمة، د.عدنان
		 المورثات المشرقية في العصر الأندلسي /ترجمة/
		(حرف الباء)
	1	البابا، د.محمود زهير
77	109	 المعاجم الطبية العربية
		البحرة، نصر الدين
74	9	•ابن رشد
74	7	محول ندوة ابن رشد في دمشق

العدد	الصفحة	اسم الكاتب وعنوان بحثه
75	7	*عبد الملك بن زهر الأندلسي ومكانته العلمية
76	7	اليالي دمشق في الأربعينيات
77	7	معجم عين الفعل
		بلال، لۇي
74	114	*الفلك عند ابن رشد
		بلوز، د.نایف
74	48	*ابن رشد بين الأيديولوجيا والعقلانية
		البني، د.عدنان
77	97	 المعجمية في الشرق العربي القديم
		بو بعيو، د.بو جمعة
76	53	•المقدمة الطللية بين الاستجابة النفسية والتقليد الغني
		بويو، د.مسعود
77	53	*معاجم الأبنية
		(حرف التاء)
	1.	الترك، أحلام
74	181	*الفهرست السنوي لمجلة التراث العربي
		(حرف الجيم)
		جمعة، د.حسين
76	60	*أنا سكان السفينة (نظرية الشعر في النقد العربي القديم)
		(حرف الحاء)
		الحاج قاسم محمد، د.محمود
75	81	•وسانل الانعاش وقصص لأموات عادوا للحياة
		حرب، د.حسین
74	91	محدود العقل الرشدي

العدد	الصفحة	اسم الكاتب وعنوان بحثه
		الحسين، أحمد
75	69	*أدب الفئات الهامشية في العصر العباسي
		حمارنة، د.نشأت
77	127	*أقدم المعجمات الطبية العربية
76	93	"نظرية حديثة لفهم تاريخ الطب العربي
		الحموي، حسين
74	134	*الفلسفة الرشدية بين اجتهاد العقل وارتداد القلب
		حنا، عبد الله
75	101	 كتاب القضاء والنواب لشكري العسلي
		(حرف الخاء)
		خضرة، د.محمود
74	66	•عصر ابن رشد ومشروعية التأويل
		خلیل، د.حامد
74	38	النزعة العقلية عند ابن رشد
		(حرف الدال)
		دك الباب، د.جعفر
74	164	*دعوة إلى فلسفة رشدية عربية معاصرة
77	30	 • في نظام المعجم العربي
		(حرف الذال)
		الذنون، عبد الحكيم
75	52	°قصر الحمراء في غرناطة
		(حرف الزاي)
		الزركان، د.محمد علي
77	77	وتداخل المصطلحات العلمية بين المحدثين والفقهاء واللغويين

العدد	الصفحة	اسم الكاتب وعنوان بحثه
		(حرف السين)
		سادابا، الياس تيرس
75	17	°المورثات المشرقية في العصر الأندلسي /تأليف/
77	15	السطلي، د.عبد الحفيظ
		المعجمات العربية وأطوار التأليف فيها
		سلامة، د.يوسف
74	78	*مفهوم السلطة في فلسفة ابن رشد
		سويد، نافذ
76	150	 الحرفيون ودور هم التاريخي
75	91	•صناعة الأسلحة في العصر الإسلامي
		(حرف الصاد)
		صلاحية، د.أحمد عبد القادر
75	23	الشعر الأندلسي في تواريخ الأدب العربي
		(حرف العين)
		عامر، د.عمار
74	121	ابن رشد في كتابه المفقود عربياً /شرح جمهورية أفلاطون/
		(حرف الفاء)
		فاخوري، محمود
77	68	*بين الصحاح والقاموس المحيط
		فوركادا، ميكال
74	145	 ابن رشد في السياق العلمي الأندلسي
		(حرف الكاف)
		كبابة، د.وحيد
76	80	*أصبول صناعة الشعر عند المعري

\$\$\$ التراثانية والمربية المعربية الم

العدد	الصفحة	اسم الكاتب وعنوان بحثه
		الكردي، سعد محمد
76	40	اللغات الأخرى في القرآن الكريم وموقف الطبري منها
		(حرف اللام)
		لطفي، محمد منذر
76	123	الممأمون وراء محنة ابن حنبل
		(حرف الميم)
		محفل، د.محمد
74	17	مدخل تاریخی إلی عالم ابن رشد
		محمد، د.محسن اسماعیل
75	38	الصورة الشعرية عند يحيى الغزال الأندلسي
		محناية، ماجدة
76	138	مفهوم النفس عند أبي حيان التوحيدي
		مدور، عبد الوهاب
	27	•المعجزات العلمية في القرآن الكريم
		مندس، هاتي
74	104	السببية عند ابن رشد
		موسی باشا، د.عمر
	47	^و لسان العرب المعجم اللغوي العربي الكبير في التراث العربي
		(حرف النون)
		نحاس، هشام
77	83	*المعجم المجهول والفصاح المظلومات
		(حرف الهاء)
		هوامش، أحمد سعيد
76	116	الإعاشة والطب في التراث العربي

العدد	الصفحة	اسم الكاتب وعنوان بحثه
		(حرف الواو)
75	63	وفائي، د.محمد ظافر *الحضارة العربية في الأندلس
-		(حرف الياء)
76	129	ياسين، د.نجمان •التفكير الاجتماعي والاقتصادي عند المقريزي



الخادالكتاب المرب ARAB WRITERS UNION DAMASCUS دمنسق